وزارة المعارف العمومية

المنتخب من أدب العرب

جمعه وشرحه

طه حسين أحمد الاسكندرى أحمد أمين على الجارم

عبد العزيز البشرى أحمد ضيف

الجزء الأول

للسنة الثالثة الثانوية

القاهرة

طبع بالمطبعة الأميرية ببولاق

١٩٣٤

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على نبيه محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد ؛ فقد جمعنا فى هذا الكتاب لطلاب المدارس الثانوية ما تقدمت الينا وزارة المعارف فى جمعه لهم من النصوص الأدبية شعرا ونثرا ، فى مختلف الأغراض والفنون ، وفى متباين الأزمان والعصور . وقد حرصنا أشد الحرص فيه على أمرين نرى أن لهما خطرا عظيما :

(الأول) أن تكون النصوص التى نختارها لكل عصر من عصور الأدب العربى مرآة صافية ، وصورة صادقة واضحة ، للحياة الأدبية فى هذا العصر ، على اختلاف فروعها ، وافتراق نزعات الشعراء والكتاب والأدباء فيها . بحيث يستطيع المعلم أن يعتمد عليه فى تصوير ما يدرس للتعلمين من تاريخ الأدب ، ويستطيع المتعلمون أن يجدوا فيه مصداق ما يسمعون من الأساتذة ، ويقرءون من الكتب ، من حقائق هذا التاريخ .

(الثانى) أن يكون ما اخترناه على صحة تمثيله للعصور الأدبية وصدق تصويره لشخصيات الأدباء ومذاهبهم فى الأدب فى جملته جميلا رائقا ، وجزلا رائعا ، خفيف الموقع من الأسماع ، لطيف المسلك الى النفوس ، يستطيع أن يبعث فى قلوب الشباب حب لغتهم وأدبها ، ويرغبهم فى التزيد منهما والتفقه فيهما . وتوخينا

الى ذلك كله أن يكون جل ما اخترناه من الشعر والنثر سهلا يسيرا يلائم حالة الشباب وطاقته .

وقد تألف هذا الكتاب من جزأين : (الأول) لطيف المختار قريب المتناول وخصصنا به السنة الثالثة ، (والثانى) جزيل المختار مفتن المعنى والغرض وخصصنا به السنتين الرابعة والخامسة .

ونحن نرجو أن نكون قد وفقنا من ذلك الى ما قصدنا ، والله وحده ولى التوفيق .

فهرس الكتاب

العصر الجاهلى

الشعر

عصر الإسلام وبنى أمية

آيات من القرآن الكريم ٣١

الشعر

النثر فى ذلك العصر

طائفة من امثال العرب

صفحة

العصر العباسى الأول

الشعر

النثر فى ذلك العصر

صفحة

الكتابة العلمية التأليفية فى العراق وخراسان فى هذا العصر

الأدب بمصر والشام فى العصر العباسى الثانى

الشعر

صفحة

النثر فى ذلك العصر

الكتابة العلمية التأليفية بمصر والشام

الأدب فى الأندلس

الشعر

صفحة

النثر فى ذلك العصر

الكتابة العلمية التأليفية بالأندلس

عصر المماليك والعثمانيين

الشعـــر

صفحة

النثر فى ذلك العصر

الكتابة العلمية التأليفية فى هذا العصر

العصر الحديث

الشعر

صفحة

النثر فى ذلك العصر

العصر الجاهلى

(١) الشعر

(١) قال امرؤ القيس يصف طول الليل من معلّقته التى أوّلها : [١]

قِفا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَى حبيبٍ ومَنْزِلِ ... بسِقْطِ اللِّوَى بين الدَّخُولِ فحَوْمَلِ [٢]

* * *

ولَيْلٍ كموجِ البحرِ أَرْخَى سُدولَه ... علىّ بأنواعِ الهُمومِ لِيَبْتَلِي [٣]

فقُلْتُ له لمّا تمطّى بِصُلْبِهِ ... وأردَفَ أعجازًا ونَاءَ بكَلْكَلِ: [٤]

ألا أيّها اللّيلُ الطويلُ ألا انْجَلِ ... بِصُبحٍ، وما الإصباحُ منكَ بأمْثَلِ [٥]

فيَا لكَ من ليلٍ كأنَّ نُجومَه ... بكلِّ مُغارِ الفَتْلِ شُدَّتْ بِيَذْبُلِ [٦]

---

(١) هو امرؤ القيس بن حجر الكندى أشهر شعراء الجاهلية ، وأحد الأربعة المقدّمين على غيرهم من شعرائها . وكان يعيش قبل الإسلام بنحو ثمانين سنة . وله ديوان شعر مشروح مطبوع ، منه هذه القصيدة اللامية إحدى القصائد العشر الشهيرة بالمعلقات .

(٢) سقط اللوى والدخول وحومل : أسماء أماكن كان ينزلها أهل محبوبته .

(٣) السدول : الستور جمع سدل ، ويبتلى : يختبر ، أى ورب ليل كموج البحر فى كثافته وظلمته شملنى بأنواع الهموم ليختبرنى أأصبر أم أجزع .

(٤) تمطى بصلبه : تمدّد بوسطه . والأعجاز : جمع عجز ، وهى الأطراف . ومعنى أردف أعجازا : باعد أطرافه عن صلبه فطال من آخره . والكلكل : الصدر . ومعنى ناء بكلكل : بعد بصدره الى الأمام ، أى أن الليل طال عليه لقلقه وأرقه فى جميع أجزائه : أوّله ووسطه وآخره ؛ فلم ينعم فى جزء منه .

(٥) انجل بصبح : أى انكشف عن صبح . ثم راجع نفسه متحسرا فقال : وما الإصباح بأمثل منك ، أى واذا جاء الصبح فليس بأفضل منك ، ولا يفرج من هموى ؛ فهمومى دائمة ليلا ونهارا .

(٦) ثم تعجب من طوله فقال (فيا لك من ليل) أى ياعجبا لك من ليل ، ومعنى قوله (بكل مغار الفتل) أى بكل حبل محكم الفتل متين . ويذبل جبل من جبال نجد . يعنى كأن نجوم هذا الليل لطوله ربطت بحبال متينة بالجبل المسمى بيذبل ؛ فلا تتزحزح من مكانها ، والليل دائم بدوامها وعدم حركتها .

كأنَّ الثُّريَّا عُلِّقت في مَصَامِهَا   بأمراسِ كَتَّانٍ إلَى صُمّ جَندَلِ(١)

وقال يفخرُ و يأسف :

وكُلُّ مَكَارِمِ الأَخلاقِ صَارت   إليـهِ هِمَّتِي وبهِ اكتسابي(٢)

وقد طَوَّفتُ في الآفاقِ حَتَّى   رَضِيتُ مِنَ الغَنيمـةِ بالإِيَابِ(٣)

ومن قوله :

إذا المرءُ لم يَخزُنْ عليـهِ لسانَه   فلَيسَ على شيء سـواه بخَزَّانِ(٤)

ولَهُ من قصيدته التي مطلعها :

ألا أنعِم صباحًا أيُّهـا الطَّلَلُ البـالِي   وهل ينعَمَنْ من كان في العُصُر الخالي؟(٥)

---

(١) الثريا : مجموع من كواكب صغيرة القدر متضام بعضها الى بعض على هيئة مثلث ، كأنها كف إنسان أو عنقود عنب . والمصام : الموقف . والأمراس : الحبال . (المعنى) وكأن الثريا من نجومك — أيها الليل — قد علقت أيضا بحبال كتان متينة الى جنادل وصخور صماء ؛ فهي لا تنتقل أيضا من مكانها .

(٢) صارت اليه : تحولت ومالت اليه . وبه اكتسابي : أي وبسببه اكتسب .

(٣) أي وقد أكثرت الطواف في الآفاق حتى أعياني الطواف ، وحتى رضيت أن أعود بدل الغنيمة الى أهلي بنفسي . وكان أكثر خروجهم وأسفارهم لطلب الغنائم .

(٤) أي اذا عجز المرء عن ضبط الكلام الذي يخرج من لسانه فهو عن ضبط غيره أعجز .

(٥) عم صباحا ، وأنعم صباحا : تحية الصباح في الجاهلية ، كقولهم : عم ، وأنعم مساء . لتحية المساء ، وعم ظلاما : لتحية الليل . و (عم) : فعل أمر من وعم يعم كوزن يزن ، وأنعم صباحا : من النعمة والنعيم . وهو معنى عم أيضا . والطلل : الشاخص من الأشياء على وجه الأرض . والمراد هنا آثار دار المحبوبة الشاخصة . والبالي : الدارس الذي كادت معالمه تخفى . والعصر : لغة في العصر . والخالي : الماضي . (المعنى) أنه مرّ صباحا على دار كانت تنزلها محبوبته في العُصُر الماضي ، فشاهد فيها الدارس فحياه بقوله : انعم صباحا الخ . ثم راجع نفسه ، وقال : كيف أدعو بالنعمة لشيء وجد منذ زمان طويل ، فارقه أهله وبلِيَ ، وفارقته النعمة بفراقهم .

* * *

وقـــد أغتدِى ، والطيرُ فى وُكُناتِهـا ... لِغَيثٍ من الوَسْمِىِّ رائـــدُه خالِ(١)

تحَـاماهُ أطــرافُ الرماحِ تحاميًـا ... وجاد عليـــه كُلُّ أسْحَمَ هَطّـالِ(٢)

بِعِجْلِزةٍ قـــد أتْرَزَ الجـــرىُ لحمَها ... كُمَيْتٍ كأنّهـا هِراوةُ مِنْـوالِ(٣)

ذَعَرتُ بهـا سِربًا نقيًّـا جلودُه ، ... وأكْرُعُه وَشْىُ البُرود من الخـالِ(٤)

كأن الصُّـــوارَ إذ تَجاهـــدْنَ عُدوةً ... على جَمَزى ــ خَيـــلٌ تجولُ بأجْلالِ(٥)

---

(١) المراد بالغيث هنا : البقل والمرعى ، لأنه أثر الغيث ، وهو المطر . والوسمى : أول مطر الربيع . والرائد : من يبعثه أهله فى طلب المرعى . وخال : أى خال بنفسه . (المعنى) وقد أبكر (والطير لم تزل جاثمة فى أوكارها) لطلب الصيد فى مرعى لم يجد أحد على رعيه ، فاذا رادهِ رائد جرى، مثلى وجد نفسه منفردًا لا يزاحمه عليه مزاحم .

(٢) الأسحم هنا : السحاب الأسود اللون المتراكم . والهطال : الكثير المطر . (المعنى) أن هـذا المرعى منيع تحاماه الرماح أى الفرسان الحاملوها ، لأنه بين حيين متعاديين ؛ فيخشى رعيـه كل منهما ؛ ولكنى بجرائى قصدته للصيد ، وهو خصب لتوالى الأمطار عليه .

(٣) العجلزة : الفرس الصلبة العضل . وأترز الجرى لحمها : أى أيبسه وضمّره . والكميت : الحمراء الى سواد . والهراوة : العصا الغليظة . (المعنى) أنه يذهب الى الصيد فى هذا الوادى بفرس مضمرة صلبة كأنها الخشبة الغليظة الصلبة التى تلف عليها شقة الثياب عند نسجها بالمنوال .

(٤) ذعرت : أخفت وأفزعت . والسرب : القطيع من بقر الوحش . والأكرع : جمع كراع وهى أطراف القوائم . الخال : الثوب الناعم من ثياب اليمن . (المعنى) أفزعت ، وهجت بهذه الفرس قطيعا من الوحش بيض الجلود مخططة الأكارع بالسواد ؛ فكأنها ثياب اليمن الموشاة .

(٥) الصوار : القطيع من بقر الوحش ، وتجاهدن : اجتهدن فى العدو ، وعلى : بمعنى مع . والجمزى : نوع من العدو . والأجلال : جمع جل ، وهو ما يوضع على ظهر الفرس ساترا له . (المعنى) كأن قطيع بقر الوحش عند ما اجتهدن فى أن يجرين جرية الجمزى (وهو جرى سريع مع وثب) خيول تجرى عليها جلال بيض ، إذ كانت خلقـة بقر الوحش أن تكون ظهورها بيضاء ، وقوائمها سوداء ، فأسافلها تشبه بالبرود وأعاليها تشبه بالجلال .

بِجَالِ الصُّــوارِ ، واتَّقــيْنَ بِقَرهَبٍ طويلِ القَرَا والرَّوْقِ أخنَسَ ذَيَّالِ[١]
فَعَادَيْتُ منـــه بيْنَ ثورٍ ونَعجةٍ وكان عِدائى إذ رَكِبْتُ على بالى[٢]
كأنِّى بِفَتْخاءِ الجَنَاحَيْنِ لَقْـــوةٍ على عَجَلٍ منهــا ــ أُطَاطِئُ شِمْــلالى[٣]
تَخَطَّفُ خِزّانَ الأُنَيْعِمِ بالضُّـــحَى وقــد جَحَرتْ منهــا ثَعالِبُ أَوْرَالِ[٤]
كأنَّ قلوبَ الطَّـــيرِ رطبًا ويابسًــا لدى وَكْرِها ــ العُنَّابُ والحَشَفُ البالى[٥]

(١) بجال الصوار : أى دار فى نواحى الأرض ، والقرهب : الكبير الضخم من الثيران ، والقرا : الظهر . والروق : القرن ، والأخنس : المنخفض قصبة الأنف ، وذلك من صفات البقر ، والذيال : الطويل الذيل . (المعنى) فدار هذا القطيع دورة . واتقين الصائد بهذا القرهب وتسترن به ، وجعلنه مما يلى الصائد ؛ لأنه أشدهن . وهذا القرهب طويل الظهر والقرن أخنس الأنف طويل الذنب .

(٢) فعاديت منــه : أى به وعادى بين الصيدين عداء : والى العــدو وتابعه فى طلق واحد . وكان عدائى الخ أى كان على تهمم منى واشتغال به .

(٣) الفتخ : لين وطول فى جناح الطائر . واللقوة : السريعة التى تخطف كل شىء . وطأطأ فرسه : ونخزه بفخذيه وحركه للعدو ، والشملال السريعة الخفيفة ؛ يريد فرسه . (المعنى) كأنى عند ما حثثت فرسى وهيجتها للعدو ــ أستحث عقابا طويلة الجناحين سريعة عجلة . أى أن فرسه تشبه العقاب .

(٤) الأنيعم وأورال : موضعان . والخزان : جمع خزز «بضم ففتح» وهو ذكر الأرانب . وجحرت : اختفت فى أجحارها . (المعنى) أن هذه العقاب التى شبه بها فرسه تخطف أرانب الأنيعم ، أما ثعالب أورال فلخبثها تدخل أجحارها .

(٥) العناب : ثمر كالنبق أحمر . والحشف : الردىء المتقبض من التمر (المعنى) كأن قلوب الطير الرطب منها واليابس فى وكر هذه العقاب عناب وحشف بال ، أى أنها تأتى بقلوب الطير طعما لفراخها لصغر حجمها . ولكثرة ما تصيد يبقى الكثير منها فى وكرها ما بين حديث رطب وعتيق يابس ــ قالوا : وهذا أحسن بيت جاء به تشبيه شيئين بشيئين فى حالين مختلفتين .

فلو أنّ ما أســـعَى لأدنى معيشــةٍ كفانى (ولم أطلبْ) قليلٌ مِن المـال[١]

ولكنما أســـعى لمجـــد مُـؤثّلٍ وقد يُدرك المجـدَ المؤثّلَ أمثالى[٢]

وما المـــرءُ ما دامتْ حُشاشةُ نفسه بمُدرِك أطـرافِ الخُطوب ولا آلِ[٣]

(٢) ومن معلقة لَبِيد بن ربيعة التى مطلعها : [٤]

عَفَتِ الديارُ : مَحلُّهـا فمُقـامُهـا بِمِنًى تأبّدَ غولُهـا فـرِجامُهـا[٥]

(١و٢) فاعل كفانى : لفظ قليل — ومفعول أطلب محذوف تقديره ولم أطلب الملك الذى أسعى لاسترجاعه ، وإنما يرضى بالقليل من يسعى لأدنى معيشة ، أى أطلب عيشة الملك والمجد . المؤثل الأصيل فينا الثابت فى بيتنا ، ومثلى من يدرك هذا المجد .

(٣) الحشاشة : بقية النفس . والخطوب : الأمور العظيمة . وأطرافها : غاياتها . والآلى : المقصر . (المعنى) أن الإنسان مع سعيه فى دوام حياته لا يدرك نهاية كل ما يريد ، ولو لم يقصر فى الطلب .

(٤) هو أبو عقيل لبيد بن ربيعة العامرى أحد أشراف الشعراء والقوّاد والمعمرين الأجواد ، وهو من بنى عامر بن صعصعة إحدى القبائل المضرية ، وأمه عبسية . وكان فى الجاهلية شجاعا فاتكا جوادا شاعرا شهد له النابغة ، وهو غلام بأنه أشعر هوازن حين سمع معلقته . ولما ظهر الإسلام أسلم ، ونسك ، وحفظ القرآن كله حتى لم يرو له فى الإسلام غير بيت واحد وهو :

ما عاتب الحرّ الكريم كنفسه والمرء يصلحه الجليس الصالح

ولما فتح المسلمون الأمصار سكن الكوفة حتى مات سنة إحدى وأربعين من الهجرة . قيل إنه عاش ثلاثين ومائة سنة . ولبيد شاعر يجيد الفخر والرثاء فى لفظ جزل ومعنى جيد وحكمة وموعظة .

(٥) عفت الديار : درست ، ومحلها : بدل ، أو عطف بيان من الديار ، فمقامها : معطوف على محلها . والفاء هنا للترتيب الذكرى أى لعطف ما يحسن ذكره بعد سابقه إذا تفاوتا بخصوص أو عموم أو تفصيل أو إجمال ، إذ أن المحل (كما هنا) مكان الحلول أى النزول ، ولو لم تكن مدة النزول طويلة ، والمقام : مكان الإقامة ، وهى الثبات والاستقرار فى المكان طويلا بأن يصير دار إقامة . وعند الجرمى من كبار أئمة النحو يين أنها لا تفيد الترتيب فى الأماكن . والأشبه أن تكون هنا بمعنى (الى) كقوله تعالى : "إن الله لا يستحى أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها" . وتأبد : توحش ، وخلا من أهله . ومنى وغول ورجام : مواضع فى وسط نجد . وليست منى هنا (منى مكة) . (المعنى) درس مكان النزول ومكان الإقامة من ديار أحبتنا بمنى متوحشا غولها ورجامها منهم .

* * *

إنا اذا التقتِ المجامعُ لم يَزَل   مِنَّا لِزازُ عظيمةٍ جَشَّامُها (١)
ومقسِّمٌ يُعطِى العشيرَة حقَّها   ومُغَذمِرٌ لحقوقها هَضَّامُها (٢)
فَضْلًا وذو كرمٍ يُعِين على الندَى   سَمْحٌ كسوبُ رغائبٍ غَنَّامُها (٣)
مِنْ مَعشرٍ سَنَّتْ لهم آباؤهم   ولكلّ قومٍ سُنَّةٌ وإمامُها (٤)
لا يَطبَعُون ولا يَبورُ فَعَالُهم   إذ لا يَمِيلُ مع الهَوَى أحلامها (٥)
فاقنَعْ بما قَسَمَ المليكُ، فإنّما   قَسَمَ الخلائق بيننا علّامها (٦)
واذا الأمانةُ قُسِّمَتْ فى مَعشَرٍ   أَوْفَى بأوفر حظِّنا قَسَّامُها (٧)
فبنى لنا بيتًا رفيعًا سَمْكُهُ   فسما اليه كَهْلُها وغُلامُها
وهم السعاةُ إذَا العشيرةُ أفظِعَت   وهُمُ فوارسُها، وهُمْ حُكَّامُها (٨)

(١) أخذ يتمدح بقومه، ويعدد مآثرهم، فقال: (إنا اذا التقت المجامع ... الخ) ولزاز كل شىء: الملازم له. والجشام: المتكلف القيام بالأمور الشاقة. (المعنى) اذا اجتمع الناس لخطب عظيم كان منا من يقوم بالمهم فيه.

(٢ و٣) ومنا العادل الذى يقسم الغنائم فى العشيرة؛ فيعطى كل ذى حق حقه، ومنا الرئيس المستبد الذى يحكم على قومه بما شاء؛ فلا يرد حكمه لهيبته، ولو هضم حق هذا وأعطاه ذاك، وإنما يفعل ذلك رغبة فى الفضل على غيره وزيادة التحكم فيه. ومنا الكريم السمح الأخلاق الكثير الكسب والغنم للنفائس.

(٤) أى سنت لهم آباؤهم هذه السنة الكريمة، والإمام: المثال الذى يحاكى فى كل شىء.

(٥) الطبع: الدنس، والبوار: الهلاك، والفعال كسحاب: فعل الخير، والأحلام: العقول. (المعنى) لا يدنسون أعراضهم، ولا يفنى عملهم الخير، ولا تغلب أهواؤهم عقولهم.

(٦) الخلائق: الطبائع، وعلامها هو الله تعالى.

(٧) أى أوفى قسام الحظوظ — وهو الله تعالى — بأوفر نصيب لنا من الأمانة.

(٨) أى اذا حل بالعشيرة خطب فظيع سعوا لنجدتها وإسعافها.

وهُـــمْ ربيـــعٌ للمجاوِرِ فيهـــمُ   والمرمِـــلاتِ إذا تطاولَ عامُهـا (١)
وهم العشيرةُ أن يُبطِّئَ حاســدٌ   أو أن يميلَ مع العـــدوِّ لئامُهـا (٢)

(٣) قال النابغة الذُّبيانى من قصيدته التى يمدح بهـا النعمان، ويعتذر اليه، والتى مطلعها : (٣)

عفا ذو حُسًا من فَرْتَنَى، فالفوارعُ   فجنبا أَريكٍ، فالتِّـلاعُ الدوافـعُ (٤)

---

(١) وهم ربيع أى بمنزلة الربيع فى الخصب لمن جاورهم ، وللرملات أى الأرامل اذا تطاول عامها . وكانت الأرملة تبقى بلا زواج مدة : كان ذلك فى الجاهليـة وأول الإسـلام ، ثم نسخ بجعل تلك المدة أربعة أشهر وعشرا .

(٢) أن يبطئ حاسد أى خشـية أن يبطئ حاسد . (المعنى) أنهم متعاضدون خشية أن يبطئ الحساد بعضهم عن نصرة بعض . أو أن يميل لئامهم الى الأعداء .

(٣) هو أبو أمامة زياد بن معاوية ، أحد أشراف قبيـلة ذبيان من القبائل المضرية ، وأحد فحول شعراء الجاهلية . لقب بالنابغة لنبوغه فى الشعر بغاءة وهو كبير . وهو ممن تكسب بالشعر فى الجاهلية ولكنه آثر مدح الملوك ؛ ملوك المناذرة بالحيرة والغساسنة بالشام ، وكان ممن مدحهم من الأولين النعمان بن المنذر ، فقرّبه اليـه ، ثم وشى به عنده ، وهم بقتله ، نفر الى ملوك الشام فدحهم . ولم يطب مقامه بالشام ، فعاد يستعطف النعمان بقصائد رائعة كانت سبباً فى عفوه عنه . وطال عمر النابغة . ومات قبيل الإسلام . و يعده كثير من أصحاب المعلقات وأن معلقته هى قصيدته التى أولها :

يا دار ميـــة بالعلياء فالسند   أقوت وطال عليها سالف الأمد

أو أنها القصيدة التى أولهـا :

عوجوا فحيوا لنعم دمنة الدار   ماذا تحيون من نؤى وأحجار

ومن أشهر قصائده القصيدة التى نشرحها .

(٤) عفا : درس ، وذو حسا والفوارع وأريك والتلاع : أسماء مواضـع ، وذو حسا منها : واد بأرض الشربة من ديار عبس وغطفان ، وذبيان : قبيلة الشاعر من غطفان . وفرتنى اسم امرأة . (المعنى) عفا من منازل فرتنى ذو حسا وما جاوره من الفوارع وجانبي أريك فتلك التلاع التى تدفع المياه الى الوادى ؛ جمع تلعة ، وهى مجرى الماء الى الوادى ونفس الوادى المنهبط .

* * *

أتاني – أبيتَ اللعنَ – أنك لُمْتَني ... وتلك التي تَسْتَكُّ منها المسامع (١)
مقالةُ أنْ قد قُلْتُ : سوفَ أناله ، ... وذلكَ من تِلقاءِ مِثلك رائعُ (٢)
لعَمرى – وما عمرى على بهيِّنٍ – ... لقد نَطَقَتْ بُطْلاً عليَّ الأقارعُ (٣)
أقارعُ عَوْفٍ ، لا أحاولُ غيرَها ... وُجوهُ قُرودٍ تبتغى مَن تُجادِعُ (٤)
أتاكَ امرُؤٌ مستبطنٌ لىَ بُغْضةً ... له من عدوٍّ مثلِ ذلك شافعُ (٥)
أتاك بقولٍ هَلْهَلِ النسجِ كاذبٍ ... ولم يأتِ بالحق الذى هو ناصع (٦)
أتاك بقول لم أكنْ لأقولَه ... ولو كُبِلْتُ فى ساعِدَىَّ الجوامع (٧)
حلفتُ ، فلم أترك لنفسك رِيبةً ... وهل يأثَمَنْ ذو أُمّةٍ ، وهو طائع (٨)
بمُصْطحباتٍ من لِصافٍ وثَبْرةٍ ... يَزُرنَ إلالاً ، سَيرُهُنَّ التدافُعُ (٩)

---

(١) أبيت اللعن : كلمة يدعى بها للملوك ، أى حفظت مما تلعن به . وتستك : تضيق . (المعنى) أتتنى عنك ملامة يضيق عنها السمع و يأباها .

(٢) سوف أناله أى بهجاء أو بأذى . وتلقاء : بمعنى اللقاء أى وذلك مفزع عن لقاء مثلك .

(٣) أراد بالأقارع بنى قريع بن عوف ، وكانوا وشوا به الى النعمان .

(٤) تجادع : تشاتم .

(٥) أى أتاك امرؤ منهم مستبطن لى بغضا له يشفعه آخر مثله من الأعداء بالوشاية .

(٦) هلهل كجعفر : صفة لقول ، أى أتاك بقول سخيف النسج كاذب ، ولم يأتك بالحق الواضح .

(٧) الجوامع : جمع جامعة وهى : الغل والقيد فى اليد أو العنق ، وكبلت أى ضيقت .

(٨) الأمة : الدين والاستقامة أى وهل آثم فى يمينى ، وأنا أدين لك وفى طاعتك .

(٩) لصاف وثبرة ماءان يستقى منهما الركبان على طريق مكة . و إلال جبل عن يمين إمام الحج حيث يقف بعرفة (المعنى) حلفت بنوق مصطحبات للحجاج يتناولنها من لصاف وثبرة الى عرفة حيث ينتهين الى إلال يزرنه ، ثم يقصدن مكة متدافعات فى السير أى يدفع بعضهن بعضا من الازدحام . وحلف بهذه النوق التى تزور عرفة ومكة تعظيما لها

سِهَامًا تُبارِى الرِّيحَ خُوصًا عيونُها ... لَهنّ رذايا بالطّـريق ودائع (١)

عليهنّ شُعْثٌ عامِدون لحجِّهم ... فهُنّ كأطـراف الحَنِىّ خواضع (٢)

لَكلّفْتَنِي ذنبَ امرئٍ ، وتركتَـهُ ... كذِى العُرِّ يُكْوَى غيرُه وهو راتع (٣)

فإن كنت لاذو الضِّغْنِ عنّى مُكَذَّبٌ ... ولا حَلِـفِى على الـبَرَاءة نافع

ولا أنا مأمونٌ بشىء أقـولُه ... وأنت بأمرٍ — لا مَحالةَ — واقع (٤)

فإنكَ كالليـلِ الذى هو مُـدرِكى ... وإن خِلْتُ أنّ المنتأَى عنك واسع (٥)

خطاطيفُ حُجْنٌ فى حِبالٍ مَتِينةٍ ... تُمَـدُّ بهـا أيدٍ إليـك نوازع (٦)

---

(١) السهام : طائر أكبر من الخطاف سريع الطيران . وتبارى الريح : تعارضها . وخوصا عيونها : أى ضيقات عيونها ، والرذايا : جمع رذية ، وهو المتروك المطروح من الإبل الهالك فى أثناء الطريق . (المعنى) تزور هذه الإبل إلا لا حال كونهن سريعات السير كالسهام ضيقات العيون من الجهد واتقاء الغبار ، وقد سقط منها هوالك فى الطريق مودعة به .

(٢) شعث : جمع أشعث ، وهو المغبر الشعر من طول السفر المتفرقه ، والحنىّ : جمع حنية ، وهى القوس . (المعنى) على هـذه النوق رجال شعث قاصدون للحج ، وقد أصبحت هذه النوق من عناء السير ضامرة كالأقواس المبرية خاضعة الأعناق عياء وتعبا .

(٣) لكلفتنى : جواب القسم . والعر : قروح مثـل القوباء تخرج من الإبل متفـرقة فى مشافرها وقوائمها ، فتكوى الصحاح فى هذه المواضع لئلا تعديها المراض . (المعنى) لقد أخذتنى بذنب الجانى وتركته وأنا وهو كمثل الفصيل المعرور : يترك راتعا يأكل ما شاء فى مرعاه ، ويكوى غيره وهو سليم .

(٤) وأنت بأمر لا محالة واقع ، أى وأنت فى أمر صدى أو أمر قطيعتى واقع لا محالة .

(٥) فإنك كالليل الخ أى فإن عقابك ومؤاخذتك كالليل أى لا أنجو من عقابك مهما اتسعت أمامى مذاهب البعد منك والهرب عنك . وخص الليل دون النهار لأن الليل موحش يخشى شره كما يخشى عقاب الملك .

(٦) خطاطيف : خبر لمبتدأ محذوف أى لك خطاطيف . جمع خطاف . أو مبتدأ سوغ الابتداء به الوصف وتمد خبره . وحجن : جمع أحجن أى معوج . (المعنى) أن لك خطاطيف تمتد إلى بها أيد تنزع بى إليك وتجذبنى .

أتوعِدُ عبدًا لم يخنْك أمانةً   ويُتركُ عبدٌ ظالمٌ وهو ضالع (١)
وأنت ربيعٌ يُنعشُ الناسَ سَيبُه   وسيفٌ أُعيرتْهُ المنيّةُ قاطع (٢)
أبى اللهُ إلّا عدلَهُ ووفاءَهُ   فلا النُّكْرُ معروفٌ، ولا العُرفُ ضائع (٣)
وتُسقى إذا ما شئتَ غيرَ مُصَرَّدٍ   بزوراءَ، فى حافاتها المسكُ كانع (٤)

وقال النابغة الذبيانى من قصيدة يتنصل ويعتذر :

فلا لعَمْرُ الذى مسَّحْتُ كعبتَه   وماهُريقَ على الأنصاب من جَسد (٥)
والمؤمنِ العائذاتِ الطيرَ تمسَحُها   ركبانُ مكةَ بين الغَيلِ والسَّعَد (٦)
ما قلتُ من سيّئٍ مما أُتيتُ به   إذًا فلا رفعتْ سوطى إلىّ يدى ! (٧)
إذًا فعاقبنى ربّى مُعاقبةً   قرّتْ بها عينُ مَن يأتيك بالفنَد (٨)

(١) الضالع : الجائر المذنب .   (٢) السيب : العطاء .

(٣) أى أن الله عادل : ليس النكر مقبولا عنده ، ولا المعروف ضائعا وهو جاعل النعمان بإرادته عادلا . وإذا أعدنا الضمير على النعمان فالمعنى ظاهر أيضا .

(٤) التصريد : الشرب دون الرى ، وزوراء : دار كانت بالحيرة للناذرة ، وكنع المسك بالشىء : تراكم ولزق . والبيت دعاء للنعمان .

(٥) الأنصاب : جمع نصب بضمتين ، وهى حجارة كانت حول الكعبة تنصب على شكل المذابح عند النصارى، فتذبح عليها القرابين للأصنام . والجسد هنا : معناه الدم (المعنى) يحلف بالله ورب الكعبة التى طاف بها ومسح بسورها ، ويحلف بدماء الذبائح التى يذبحها الحجاج .

(٦) المؤمن اسم فاعل من آمنه : إذا أزال عنه الخوف . والعائذات : جمع عائذة ، وهى الطير والحمام الملتجئة الى حرم مكة ؛ فلا تصاد ، ولا تهاج ، ولذلك من أمنها صارت تقع على الركبان القادمين الى مكة فيمسحونها ما بين الغيل والسعد وهما غيضتان كانتا بمكة من منافعها .

(٧) ما قلت الخ جواب القسم أى ما قلت الكلام الذى اتهمت به ، وإذا كنت قلته فشلت يمينى .

(٨) الفند : الكذب والتقوّل على الناس .

إلا مقالةَ أقــوام شَقِيتُ بهـا ... كانتْ مقالتُهم قَـرْعاً على الكَبِد
أُنبئتُ أنّ أبا قابوسَ أوعدَني ... ولا قـرارَ على زَأْرٍ من الأسـد (١)
مهــلًا فِداءٌ لكَ الأقوامُ كلُّهُــمُ ... وما أُثمِّرُ مِنْ مَالٍ ومن وَلدِ!
لا تَقْذِفَنِّي بِرُكْنٍ لا كِفاءَ له ... وإن تَأَثَّفَــكَ الأعداءُ بالرِّفَــد (٢)

(٤) قال دُريد بن الصِّمة فى رِثاء أخيه : (٣)

أرَثَّ جديدُ الحَبْـلِ مِن أمِّ معْبَدِ ... بعاقبــةٍ ، أم أخلفتْ كلَّ موعِدِ (٤)

---

(١) أبو قابوس كنية النعمان بن المنذر . وأوعدنى : هددنى . والزأر والزئير صوت الأسد ؛ جعل تهديد النعمان له بمنزلة زئير الأسد الذى لا يقرّ من سمعه فى مكانه .

(٢) الركن : الجانب الأقوى ، والأمر العظيم . ولا كفاء له : أى لا نظير له . وأن تأثفك الخ : أى وإن أحاط بك أعدائى ؛ فكانوا بمنزلة الأثافى من القدر ، وهى الأحجار الثلاثة التى توضع عليها . والرفد : جمع رفدة بكسر الراء ، وهى العصبة . أى لا ترمينّى منك بالأمر العظيم الذى لا نظير له ؛ فانى لا أقوم باحتماله ، وإن أحاط بك أعدائى عصبا يتعاونون على السعاية بى عندك .

(٣) هو دريد بن الصمة أحد فرسان العرب وسيد بنى جشم من قبائل هوازن . ويقال إنه أشعر فرسان العرب وأكثرهم غزوا . وأدرك الإسلام ولم يسلم . وخرج مع قومه فى غزوة حنين ، ولا فضل فيه للحرب ، وانما أخرجوه تيمنا برأيه ، فقتل فى ذلك اليوم . وكان له إخوة ثلاثة ، منهم عبد الله ، قتلوا فى غارات مختلفة ، وعبد الله قتله بنو غطفان ؛ لأن دريدا كان أغار عليهم واستاق إبلهم ، فنزل عبد الله فى الطريق ليقتسم الغنيمة فنهاه دريد خوف لحاق غطفان بهم ، فأصر ، فلحقت بهم عند منعرج اللوى فقتلت بنو عبس منهم عبد الله ، وأراد دريد أن ينقذه فلم يغن ، وسقط هو أيضا ، فتماوت ، وظنته غطفان قتيلا ، فنجا ، وهزمت جشم قبيلته . وبقى حزينا على أخيه يرثيه دهرا ، فلامته امرأته أم معبد ، وصغرت شأن أخيه ، فطلقها ، وقال فيها وفى قصة مقتل أخيه هذه القصيدة .

(٤) رث الحبل : بلى ، والمراد عهده من أم معبد ، وبعاقبة أى بآخرة : أى أخيرا ، والاستفهام من باب تجاهل العارف ؛ اذ هو عارف بأنه رث .

وبانت ، ولم أحمَدْ إليك نوالَها ... ولم ترجُ منّا رِدّةَ اليــومِ أو غدِ (١)

كأنّ حُولَ الحيِّ إذ متعَ الضُّحى ... بناصيــةِ الشّحناء، عصْبةُ مِذْوَدِ (٢)

أو الأثأبُ العمُّ المحــرّمُ ســوقُهُ ... بكابةَ لم يُخبَــطْ ، ولم يتعضّــدِ (٣)

فقلتُ لعارِضٍ وأصحاب عارضٍ ... ورهطِ بنى السوداءِ، والقومُ شُهّدِى (٤)

عَلانيــةً : ظُنُّوا بألفَىْ مُـدجَّجٍ ... سَراتُهــمُ فى الفـارِسىِّ المُسرَّدِ (٥)

وقلتُ لهم : إن الأَحاليفَ هذه ... مُطَنِّبةٌ بين الستّـارِ وثَهْمَدِ (٦)

ولمـا رأيتُ الخيــلَ قُبْلاً كأنها ... جَرادٌ يُبارى وِجْهةَ الريحِ مُغْتَدِى (٧)

أمرتُهــمُ أمرى بمُنْعَرَجِ اللّوَى ... فلم يستَبينوا الرُّشْدَ إلّا ضُحى الغدِ (٨)

---

(١) وبانت : بعدت ، ونوالها : خيرها ، والردة : الرجوع . (المعنى) بانت أم معبد غير حميدة الصحبة ، فلا ترجو منا ردّة لطلاقها .

(٢) الحول : جمع حمل بالكسر : ما يحمل على الإبل مثلاً ، ومتع الضحى : بلغ آخر غايته ، وهو الضحى الأكبر ، والعصبة بفتح فسكون الشجرة تعلق فى شىء عال فتكون كالخيمة عليه كشجر اللبلاب ونحوه ، ومذود : اسم جبل (المعنى) كأن حمول الحى وخراجهم عند ترحلهم عصبة علقت فى عرانين الجبل .

(٣) الأثأب : شجر . والعم : العظيم . والمحرم : الممنوع قطع سوقه . وكابة : موضع . ولم يخبط أى لم تعصب فروعه وتخبط بالعصى فيكسر ولم يتعضد أى يقطع .

(٤) عارض : أخ له حضر غزاتهم هذه ، ورهط بنى السوداء أصحاب أخيه عبد الله .

(٥) علانية : جهرة ، ظنوا أى أيقنوا أن سيلحقكم ألفا مدجج بالسلاح ، والفارسى : الدرع . والمسرد : المتتابع الحلق ، أى أنه ضيق النسج .

(٦) الأحاليف : جمع أحلاف وهم المتحالفون على نصرة بعضهم لبعض ، ومطنبة : ضاربة الأطناب بين هذين المكانين .

(٧) قبلا : أى عيانا ومقابلة ، يبارى : يسابق ، ومغتد : أى فى غداة .

(٨) [illegible]

فلما عصَوْنى كنتُ منهم ، وقد أرى   غَوايتهم أنى بهـــمْ غيرُ مُهتـدى (١)
وهل أنا إلا من غَزِيَّةَ؟ إن غوَتْ   غَوَيتُ وإنْ ترْشُـدْ غَزِيَّةُ أَرْشُدِ (٢)
دعانى أخى ، والخيل بينى وبينَه   فلمـا دَعانى لم يجِـدْنى بقُعْـدُدِ (٣)
أخ أرضعتْنى أمُّه من لِبانها   بِثَـدْىٍ صَفاءٍ بيننـا لم يُجَـدَّدِ (٤)
فجئتُ إليـه ، والرماحُ تَنُوشُـهُ   كوقْع الصَّياصِى فى النَّسيجِ المُمَدَّدِ (٥)
وكُنْتُ كذاتِ البَوِّ ريعتْ فأقبلتْ   إلى قِطَعٍ من جِلد بَوٍّ مُجَلَّدِ (٦)
فطاعنتُ عنه الخيلَ حتى تَنَهْنَهتْ   وحتى علانى حالكُ اللون أسـودُ (٧)
قِتالَ امرئٍ آسَى أخاهُ بنفسـه   ويعلَمُ أنَّ المـرءَ غيرُ مُخَلَّدِ (٨)
تنادَوا ، فقالوا : أرْدَتِ الخيلُ فارسا !   فقلتُ : أعبدُ الله ذلكم الرَّدِى ؟ (٩)
فإن يكُ عبـدُ الله خَلَّى مكانَه   فمـا كان وقّافًا ولا طائشَ اليـدِ (١٠)

---

(١) كنت منهم أى كنت على رأيهم مع أنى أراهم غاوين ضالين وأنى غير مهتد باتباعهم .

(٢) غزية : حى من جشم ، وهم رهط دريد الأدنون .

(٣) القعدد : الجبان يقعد عن نصرة قومه ، أى أنى عطفت عليه لإنقاذه .

(٤) لم يجدد : لم يقطع رضاعنا له حتى أتمما مدة الرضاع .

(٥) تنوشه : تتناوله بالطعن . والصياصى . جمع صيصاة : شوكة يسوى بها الحائك نسجه .

(٦) البو : ولد الناقة والبقرة ، يحشى جلده تبنا ، فتجد رائحته فيه ، فترأمه أمه وتدر اللبن له .

(٧) تنهنهت : كفت . أسود بالضم ، وفيه عيب الإقواء . وهو اختلاف حركة الروى أى الحرف الأخير من البيت فى الإعراب . وقيل إنه على تقدير ياء نسب مخففة للوزن ، وأنه أسودى كما قال العجاج

أطـربا وأنت قنسرى   والدهر بالإنسان دوارى

أى دوار ، والياء للمبالغة .

(٨) قتال امرئ : أى قاتلت عنه قتال امرئ فادى أخاه بنفسه .

(٩) أردت : أهلكت ، والردى : الهالك .

(١٠) وقافا : هيابا يقف عن القتال جبنا ، ولا طائش اليد . أى مخطئ اليد فى الضرب والرمى .

ولا بَرِمًا إمّا الرياحُ تناوحَتْ ... بِرَطْبِ العِضاهِ والضَّريعِ المُعضَّدِ (١)
وتَخْرِجُ منه صِرّةُ القُرِّ جُرأَةً ... وطُولُ السُّرى دُرّىَ عَضْبٍ مُهنَّدِ (٢)
كَمِيشُ الإزارِ خارجٌ نِصفُ ساقِهِ ... صبورٌ على الضرّاءِ طَلّاعُ أنْجُدِ (٣)
قليلُ تشكّيهِ المصيباتِ ذاكرٌ ... مِن اليوم أعقابَ الأحاديثِ فى غدِ (٤)
اذا هَبَطَ الأرضَ الفضاءَ تَزيّنتْ ... لِرُؤيتِهِ كالمأتَمِ المتَلَبِّدِ (٥)
وكم غارةٍ بالليلِ واليومِ قبلَه ... تداركَها منّى بِسِيدٍ عَمَرَّدِ (٦)
سليمُ الشظى عَبْلُ الشَّوَى شَنِجُ النَّسا ... طويلُ القَرا نَهْدٌ أسيلُ المُقلَّدِ (٧)
يفوتُ طويلَ القوم عَقْدُ عِذارِه ... مُنيفٌ كجِذعِ النّخلةِ المتَجرِّدِ (٨)

(١) البرم : من لا يدخل مع القوم فى الميسر ضنا بالجزور، وكانوا يطعمون لحومها الفقراء، وإما الرياح : إن شرطية وما زائدة، وتناوحت . هبت من كل ناحية، وذلك زمن البرد والشتاء، والعضاه : الشجر الشائك . والضريع : نبات لا تقربه الدواب لخبثه، والمعضد : المقطع .

(٢) صرة القر : شدة البرد ، والسرى : السير بالليل — أى وتخرج منه شدة البرد وطول السرى رجلا ماضيا فى الأمور كأنه السيف المهند اللامع .

(٣) كميش الإزار : إما أن يكون كناية عن خفته وسرعته ، وإما أنه لا يطيل إزاره كالمترفين المشبهين بالنساء بل إن نشاطه يستدعى أن يقصر ثوبه بحيث يظهر نصف ساقه . وطلاع أنجد : كناية عن اقتحام الصعاب ، والأنجد : جمع نجد .

(٤) أى يحسب حساب العواقب ، فلا يقول اليوم ما يحاسب عليه غدا .

(٥) تزينت : اجتمعت الناس فيها كمأتم النساء ينظرون اليه .

(٦) أى تداركها عنى بفرس يشبه ذئبا شرسا فى عسلانه .

(٧) الشظى : العظم اللازق بالساعد أو الساق ، والعبل : الضخم . والشوى : الأطراف . والنسا عصب يجرى فى الفخذ والساق . والشنج : المنقبض ، وهو مدح فى الفرس . والقرا : الظهر . والأسيل : الأملس المستوى . والمقلد : العنق .

(٨) وصف هذا الفرس بارتفاع رأسه ، فقال يفوت الخ . والعذار من اللجام : ما سال على خد الفرس وعقده على رأسه خلف أذنه . يعنى أن أعلى رأسه أطول من قامة رجل طويل ، ومنيف : عال ، والمتجرد من النخيل : الذى زالت أصول كربه فصار أملس . ثم رجع الى رثاء أخيه فقال : وكنت الخ .

وكنتُ كأنّى واثق بمُصَـــدَّرٍ يُمشّى بأكناف الخَبِيل فَتَهْمَـــد (١)
له كُلُّ مَنْ يَلْقَى من الناسِ وَاحدًا وإنْ يلقَ مَثْنَى القَوْم يفرَحْ ويَزْدَد (٢)
وهَوَّنَ وَجْدِى أنّنى لم أقُـــلْ له : كَذَبتَ، ولم أبخل بما مَلَكَتْ يَدِى (٣)

(٥) قال عَلْقَمة بن عَبَدَة التميمى : (٤)

طحَا بكَ قَلْبٌ فى الحسانِ طَرُوبُ بُعَيدَ الشَّبابِ عَصْرَ حانَ مشيبُ (٥)
يُكلِّفُنى لَيْـــلَى، وقد شَطَّ وَلْيُهـا وعادَتْ عَوادٍ بيننـا وخُطوب (٦)

---

(١) المصدّر : الأسد . والخبيل وثهمد : موضعان — أى وكنت عند تقىّ بأخى كأنى واثق بأسد يمشى بأكناف الخبيل فثهمد .

(٢) أى له مقاتلة كل منفرد يلقاه من الناس فاذا لقى اثنين لم يجبن عنهما ، بل يفرح و يزداد فرحا و يحمل عليهما .

(٣) أى طيب نفسى أنى لم أجفه ، ولم أبخل عليه بما ملكت يدى فلم ألم نفسى بعد فقده بأنى لم أقم بحقه ، وجعل لم أقل له كذبت كناية عن الجفاء .

(٤) هو علقمة الفحل بن عبدة بن ناشرة التيمى ، شاعر جاهلى مجيد من أقران امرئ القيس . مات قبل الإسلام بزمن طويل . وإنما قيل له «الفحل» من أجل أن يتميز فى الأخبار من شاعر آخر فى قبيله أيضا يسمى علقمة الخصى بن سهل ، و يكنى أبا الوضاح أدرك الإسلام وأسلم . وقيل سمى «الفحل» لأنه خلف امرأ القيس على زوجته بعد أن طلقها ؛ لأنها فضلت علقمة عليه حين حكماها فى شعرهما .

(٥) طحا به قلبه : ذهب به كل مذهب ، والطروب : من الطرب ، وهو خفة السرور والشوق الى الشىء ، وبعيد : تصغير بعد — وحان المشيب : قرب ، أو آن أوانه — أى أضلك قلبك الطروب فى حب الحسان بعد ما ذهب الشباب وقرب المشيب — والخطاب لنفسه . ثم التفت وتكلم عن نفسه ، فقال : يكلفنى الخ .

(٦) وشط وليها : بعد عنك قربها ودنوها ومواصلتها — وعادت : شغلت وصرفت ، مقلوب عداه عن الأمر : صرفه ، والعوادى : جمع عادية ، وهى الأمر الشاغل عن الشىء . والخطوب : جمع خطب ، وهو الأمر العظيم من حوادث الدهر . (المعنى) أن قلبى هذا يكلفنى حب ليلى مع أنها بعدت عنه ، وعز عليه قربها ، وحالت بينه وبينها حوائل وشواغل وحوادث صوارف عنها .

مُنعَّمــةٌ ، ما يُستطاعُ كلامُها   على بابِهـا مِن أن تُزارَ رَقيبُ (١)
إذا غاب عنها البَعْلُ لم تُفشِ سِرَّهُ   وتُرضِى إيابَ البَعلِ حِينَ يؤُوبُ (٢)
فلا تَعــدِلِى بينى وبيــنَ مُغمَّرٍ   سَقَتكِ رَوايا المُزْنِ حين تصوبُ (٣)
سَــقاكِ يمــانٍ ذو حَبِيٍّ وعارضٌ   تَروحُ به جُنحَ العَشِيِّ جَنُــوبُ (٤)
وما أنتَ ؟ أم ما ذِكرُها رَبَعِيَّــةً   يُخَــطُّ لهــا من ثَرْمَدَاءَ قَلِيبُ (٥)
فإن تسألونى بالنســاءِ فإننى   بَصِــيرٌ بأدواءِ النســاءِ طبيبُ (٦)
إذا شابَ رأسُ المرءِ أوْ قلَّ مالُهُ   فليسَ له مِــن وُدِّهِنَّ نَصيبُ
يُرِدْنَ ثَرَاءَ المــالِ حيثُ عَلِمْنَهُ   وشَرْخُ الشبـاب عندهُن عَجِيبُ (٧)

(١) منعمة : من النعيم فهى محجبة يعنى بحراستها أهلها .

(٢) لم تفش سره : كناية عن أنها لم تخنه ، ولذلك هى ترضى إيابه فلا يعجبها غيره ، وإذا قرئ وترضى (بالضم) كان المعنى وتجعل إيابه رضيا حيدا بألا يشك فى صونها .

(٣) فلا تعدلى : أى فلا تسوى ، والمغمر من الرجال : المحمق الذى يستجهله الناس ، سقتك الخ : يدعو لها بأن تسقيها المزن الروية أى التى تروى حين تمطر – يريد أنه رجل عاقل نبيل ينبغى لها أن تحرص عليه . ثم عاد الى الدعاء لها فقال : سقاك الخ .

(٤) أى ... سقاك سحاب يمان أى يأتى من ناحية جنوبى نجد . أصله يمنى خففوا ياء النسب وزادوا الألف عوضا عنها ، فعومل المنسوب معاملة المنقوص ، الحبى : السحاب المتراكم بعضه على بعض ، فيكون سيره بطيئا ، كأنه يحبو ، ويكون لذلك مطره غزيرا ، والعارض : السحاب المعترض فى ... والجنوب : الريح الجنوبية . (المعنى) سقاك سحاب يمان مركوم . وسقاك سحاب عارض تسوقه فى ... ريح جنوبية . ثم عدل عن هذا ، وقال : وما أنت الخ .

(٥) وما أنت : ما استفهامية للتعجب وأم للاضراب بمعنى بل ، أى ما شأنك ؟ بل ما ... لذكرك ليلى ، وهى ربعية من ربيعة وأنت تميمى ، وقد رحلت الى بلادها حيث خط لها فى ثرمداء قليب والقليب البئر وثرمداء موضع . ثم أخذ يصف أخلاق النساء وطباعهن ، فقال : فإن تسألونى الخ .

(٦) الأدواء : جمع داء ، أى بطباعهن المعيبة التى بمنزلة الأمراض فيهن .

(٧) الثراء : الكثرة ، أى يحببن من يعلمن عنده مالا . وشرخ الشباب أوله ، وعجيب : معجب .

فدعها ! وسلِّ الهمَّ عنكَ بجَسْرةٍ ... كَهمِّكَ فيهـا بالرداف خَبِيبُ (١)

الى الحارث الوهَّاب أعملتُ ناقتى ... بِكَلْكَلِها والقُصْرَيَيْنِ وجِيب (٢)

وَقَال عَلْقَمةُ بنُ عَبَدَة :

والحمدُ لا يُشترى إلّا له ثَمنٌ ... مما يَضِنّ به الأقوامُ مَعلُومُ (٣)

وَالجُـودُ نافيـةٌ للمـال مَهلكةٌ ... والبُخْلُ مُبْقٍ لأهليـه ومذمُومُ (٤)

والمـالُ صُوفُ قَرارٍ يَلْعبُون به ... على نِقَـادَتِه وافٍ ومَجْـلُوم (٥)

ومُطعَمُ الغُنْم يومَ الغُنْم مُطْعَمُه ... أنَّى تَوَجَّه، وَالمحرومُ مَحْـرُوم (٦)

---

(١) الجسرة : الناقة القوية الماضية ، وكهمك أى مثل همتك فى المضاء والقوة ، والرداف : جمع رديف ، والرديف والردف : كل شيء يكون خلف الراكب ، ولو حقائب . والخبيب : السير السريع .
(المعنى) أى فدع ليلى هذه ، وسل الهم عنها برحلة على ناقة قوية سريعة مثل همتك فى المضاء والنفاذ ، وفى سيرها سرعة ولو حملت خلف الراكب لها عدة أثقال .

(٢) والحارث الوهاب : يريد به الحارث بن جبلة بن أبى شمر الغسانى ، وكان أسر أخاه شاسا ، فرحل اليه يطلب خلاصه وفكه ، وأعمل الناقة : وجهها وأجهدها ، والكلكل : الصدر وما بين الترقوتين ، وهو المناسب هنا ، والقصريان : ضلعان تليان الترقوتين ، والوجيب : خفقان القلب . أى أنه لشدة إجهادها فى السير اشتد نبض قلبها ، وبان ذلك فى كلكلها وقصر يها لقرب القلب منهما .

(٣) يقول : إن الحمد لا يشترى إلا بأثمان تضن بها النفوس . والحمد : الثناء والمدح .

(٤) نافيـة أى مبيد ومهلك — والبخل ... الخ : أى أن البخل يوفر المال وأهله مذمومون ، وأدخل الهاء فى نافية للمبالغة مثل علامة ونسابة .

(٥) القرار : النقد ، وهى غنم صغار الأجرام قصار الواحدة نقدة ، يلعبون به : أى يتداولونه و يعبثون به . واف : كثير ، ومجلوم : مجزوز بالجلم أى المقص . يريد أن منهم من يعطى القليل ومنهم من يعطى الكثير كما أن الصوف على النقد قليل وكثير . والنقادة : جمع لاسم الجمع .

(٦) المعنى : أن الذى جعل الغنم له طعمة فسيطعمه فى يوم الغنم أينما توجه ، ومن حرمه فلن يناله فقضاء الله كائن لا محالة .

وَالْجَهْلُ ذو عَرَضٍ لا يُسْتَرَادُ له ... والحِلْمُ آوِنَةً فى النـاس مَعْدُوم (١)

ومن تَعرّض للغِرْبان يَزْجُرُها ... على سَلَامَتِه ـ لا بُدَّ ـ مَشْئُومُ (٢)

وَكُلُّ حِصْنٍ وإنْ طالَتْ سلامَتُه ... على دعائمه ـ لا بُدَّ ـ مهدُوم (٣)

(٦) وقال طَرَفة بن العَبد من معلقته التى أولها : (٤)

لِخَـوْلَةَ أطلالٌ بِبُرْقَةِ ثَهْمَدِ ... تلوح كباقِى الوَشْمِ فى ظاهرِ اليَـدِ (٥)

* * *

أرى قـبرَ نَحّـام بخيـل بمـاله ... كقَبر غَوِىٍّ فى البَطالةِ مُفسِـدِ (٦)

ترى جُثْوَتَينِ من تُراب عليهما ... صفائحُ صمٌّ من صَفيح مُنَضَّـدِ (٧)

---

(١) ذو عرض أى يعرض لك — لا يستراد له أى لا يراد ولا يطلب فأنت لا تحبه، ولا تريده — آونة : أحيانا المفرد أوان وإوان . (المعنى) أن الناس يسرعون الى الشر والجهل أحيانا فيجدونه .

(٢) المعنى أن من زجر الطير وإن سلم فلا بد أن يصيبه شؤم — والغربان يتشاءم بها ، فمن تعرض لها يزجرها ويطردها خوفا من أن يصيبه الشؤم فلا بد أن يقع ما يخاف ويحذر .

(٣) يقول : كل حصن دامت سلامة أهله فيه فلا بد أن يهلكوا ويخرب الحصن ، ودعائمه : أركانه التى يقوم بها .

(٤) هو طرفة بن العبد البكرى أحد فحول شعراء الجاهلية . مات أبوه وهو صغير فنشأ ميالا الى اللهو والبطالة وقول الشعر وهجاء الناس حتى كان الهجاء سبب قتله شابا لم تزد سنه على ست وعشرين . وهو من أوصف الناس للناقة ، ويميل الى غريب اللفظ وخفى الكنايات . وله ديوان شعر صغير مطبوع .

(٥) خولة : اسم امرأة ، والأطلال : الآثار الشاخصة من الديار بعد دروسها ، وبرقة ثهمد : اسم ديار محبوبته . والوشم : النقش على اليد ونحوها بصبغ أسود بغرز الإبر فى الجلد .

(٦) النحام : الكثير النحيم ، وهو التنحنح بخلا ، والمراد بالغوىّ هنا المسرف فى ماله المبدد له بإنفاقه فى غير صالح .

(٧) الجثوة : الكومة من التراب أو الحجارة ، والصفائح : جمع صفيحة وهى الحجر العريض كالبلاط . المنضد : المصفف المسوّى بعضه الى بعض — أى أن البخيل والمسرف يتساويان بعد موتهما ؛ فلكل منهما قبر عليه كومة من التراب وبعض حجارة مصففة .

أرى الموتَ يعتامُ الكرامَ ويصطفي ... عقيلةَ مالِ الفاحشِ المتشدِّدِ (١)

أرى العيشَ كنزًا ناقصًا كلَّ ليلةٍ ... وما تَنقُصِ الأيامُ والدهرُ ينفَدِ (٢)

لعمرُكَ إنَّ الموتَ ما أخطأَ الفتى ... لكالطِّوَلِ المُرخَى وثِنْياه باليدِ (٣)

متى ما يشأْ يوما يَقُدْه لحتفِهِ ... ومن يكُ في حبلِ المنيّةِ ينقَدِ (٤)

ومنها :

وظُلمُ ذوي القربى أشدُّ مَضاضةً ... على المرءِ من وَقْعِ الحُسامِ المهنَّدِ (٥)

* * *

ومنها :

أرى الموتَ أعدادَ النفوسِ ولا أرَى ... بعيدًا غدًا، ما أقربَ اليومَ من غَدِ! (٦)

ستُبدي لك الأيامُ ما كنتَ جاهلا ... ويأتيكَ بالأخبارِ مَن لم تُزوِّدِ (٧)

---

(١) يعتام : يصطفي ويختار . وعقيلة كل شيء : خيرته وأنفسه عند أهله ؛ فهم يعقلونه أي يمنعونه الناس لذلك . والفاحش المتشدد : الشديد البخل .

(٢) العيش هنا : العمر والحياة .

(٣) ما أخطأ الفتى : أي مدة إخطائه له بإبقائه حيا دهرا طويلا . والطول : الحبل ، وثنياه : طرفاه المثنيان منه . (المعنى) أن الموت إذا أغفل بعض الناس ، وطال عمرهم لا يخرجون عن قدرته وسلطانه ؛ فمثله كمثل من بيده طرفا حبل مربوط برأس فرس إذا شاء جذبه إليه فانقاد له . كذلك الإنسان لا محالة ميت ، وإن طال عمره .

(٤) الحتف : الموت — يقول : إن زمام الإنسان بيد الموت متى أراد جره إلى هلاكه . ولا مناص للمرء من الموت .

(٥) أشد مضاضة : أي أشد حرقة وألما .

(٦) الأعداد هنا : جمع عد بكسر العين ، وهو الماء الدائم الذي لا تنقطع مادته مثل ماء العيون والآبار لا ماء الغدران . (المعنى) أرى الموت موردا للأحياء دائما لا يفنى ؛ فهم دائما وارده .

(٧) أي ستظهر لك الأيام ما كان خافيا عليك ، ويأتيك بالأخبار من لم تسأله عنها وتتكلف مؤونة زاده ليسافر ويجلبها لك .

ويأتيك بالأخبار من لم تبِع له بَتاتاً، ولم تضرب له وقتَ موعِد (١)

(٧) قال سَلامةُ بنُ جَندَل السعدى التميمى : (٢)

أودى الشبابُ حميدًا ذو التعاجيب أودى ، وذلك شأوٌ غيرُ مطلوب (٣)
ولّى حَثيثاً ، وهذا الشيبُ يتبعهُ لو كانَ يُدركه رَكضُ اليعاقيب (٤)
أودى الشبابُ الذى مجدٌ عواقبُه فيــه نَلَذُّ ، ولا لَذّاتِ للشيب (٥)
يومانِ يومُ مقـاماتٍ وأنـديةٍ ويومُ سَـيْرٍ الى الأعداءِ تأويب (٦)
همّتْ مَعَــدٌّ بنا همًّـا فنهنَهَـا عنّا طِعـانٌ فَضَربٌ غيرُ تذبيب (٧)

(١) تبيع هنا بمعنى تشترى ، وهو من كلمات الأضداد فى اللغة . والبتات : الزاد والجهاز .

(٢) شاعر جاهلى مجيد من فرسان تميم ، وشعره متين سلس صحيح الرواية ، وكان معاصرا لعمرو بن هند والنعمان بن المنذر .

(٣) أودى : هلك وزال ، والتعاجيب : العجائب ، والشأو : الغاية . (المعنى) مضى الشباب ذو العجائب محمودا بما كان فيه من اللذات العجيبة ، مضى وأصبح الآن غاية لا تدرك .

(٤) حثيثا : سريعا ، واليعاقيب : جمع يعقوب ، وله معان : منها أنه ذكر القطا والحجل ، وملكة النحل ، والعقاب ، والخيل المشبهة بيعاقيب الحجل فى الركض لسرعتها ، وكلها مناسبة هنا ، وأقربها الأخير . ولو هنا : للتمنى .

(٥) أصل معنى المجد فى الإبل ونحوها أن ترعى فتشبع ، وهو مناسب هنا بدليل بقية البيت ، ومن معانيه الكرم وشرف الفعال ، وهو مناسب أيضا ، وعواقب الأمور أواخرها . (المعنى) زال الشباب الذى كان أواخره بل أوائله شبعا وامتلاء من اللذات ، وعلى الثانى زال الشباب الذى انتهى بفعال كلها شرف وكرم .

(٦) يومان : أى لنا يومان ، والتأويب : السير السريع ، أى أن لنا يومين : يوما نجلس فى المقامات والأندية للسمر أو للتشاور ، ويوما نسير الى الأعداء سيرا سريعا .

(٧) معد : الشعب العظيم الذى يشمل ربيعة ومضر ، ونهنها : كفها ، ويقال : طعان غير تذبيب : اذا بولغ فيه . وجعله هنا صفة للضرب أى همت قبائل معد بقتالنا مرة فكفها عنا طعاننا وضربنا الشديدان .

بالمَشْرفِيِّ ومصـــقولٍ أســنّتُها ... صُمِّ العوامِـل صَدْقَاتِ الأنابيب (١)
يَجْلُو أسِــنّتَها فِتيانُ عاديةٍ ... لا مُقْرَفين ولا سُــودٍ جَعابيب (٢)
سوّى الثِّقَافُ قَناها ، فهي مُحكَمةٌ ... قليلةُ الزَّيغِ من سَنٍّ وتركيب (٣)
زُرقًا أسِــنّتُها حُمْــرًا مُثقّفــةً ... أطــرافُهنّ مَقيــلٌ لليعاسيب (٤)
كأنّها بأكفِّ القــومِ إذ لحِقــوا ... مواتحُ البئر أو أشْــطانُ مَطلوب (٥)
كلا الفريقين : أعلاهُمْ وأسفلُهمْ ... يشْـقى بأرماحِنـا غيرَ التكاذيب (٦)
إنّي وَجَدتُ بَني سَــعْدٍ يُفضّلُهمْ ... كلُّ شِهابٍ على الأعداء مَشْهُوب (٧)

---

(١) بالمشرفى : بالسيف المنسوب إلى مشارف الشام ، وهى القرى العربية التى على حدود الشام تجلب منها السيوف المشرفية ، ومصقول أسنتها : أى وبرماح مصـقول أسنتها ، وعامل الرمح : صدره أى الجزء الذى يلى منه السنان ، والصدق : الصلب المستوى من الرماح . والأنابيب : كعوب الرماح .

(٢) العادية : أوّل جماعة تحمل من الرجالة أو الفرسان ، والمقرف : الذى تكون أمه عربيـة وأبوه أعجميا بعكس الهجين ، والجعابيب : جمع جعبوب وهو الضعيف النذل لا خير فيه ، أو القصير الذميم .

(٣) الثقاف : الآلة التى يسوّى بها الثقاف الرماح أى يسوّيها ، وهى خشبة فى وسطها نقب ، الزيغ : الميـل والعوج ، ولا يريد أن بها زيغا قليلا بل لا زيغ فيها . والسن : تركيب السنان أى أن أسنتها ركبت فيها معتدلة غير معوجة .

(٤) والمقيل : القيلولة فى الظهر ، واليعاسيب : جمع يعسوب ، وهو عظيم النحل . (المعنى) سوى الثقاف القنا زرقا أسنتها حمرا مثقفة فكانت أطرافهن مكانا لتعلق رءوس السادات من الأعداء .

(٥) المواتح : الحبال الطويلة التى يمتح بها البئر أى ينزح ماؤها ، والأشطان : الحبال الطويلة والبئر الطلوب : البعيدة الماء ، والمطلوب من هذا المعنى .

(٦) غير التكاذيب : أى غير ذوى التكاذيب ، جمع تكذيب وهو أن يحمل الفارس على الأعداء ، ثم لا يصدّق الحملة ، فيرتد عنهم جبنا . (المعنى) كلا الفريقين من الأعداء : الأشراف منهم ، والوضعاء أصيبوا برماحنا إلا من فر منهم جبنا .

(٧) بنو سعد بطن من تميم قوم الشاعر . (المعنى) إنى وجدت قوى يفضلهم على الناس أن كل شجاع فيهم بمنزلة الشهاب المتقد على الأعداء .

الى تميمٍ حُماةِ العِزِّ نِسبتُهمْ ... وكلِّ ذي حَسَبٍ في الناس منسوب (١)
قومٌ إذا صَرَّحت كَحْلٌ بيوتُهُمُ ... عِزُّ الذليلِ، ومأوى كلِّ قُرضوب (٢)
يُنجيهمُ من دواهي الشر إن أزَمتْ ... صَبْرٌ عليها، وقِبْصٌ غيرُ محسوب (٣)
كُنَّا نَحُلُّ اذا هبَّتْ شآميةٌ ... بكل وادٍ حَطيبِ الجَوْف مجدوب (٤)
شِيبِ المَبارِكِ مَدروسٍ مدافِعُه ... هابِي المَراغِ قليلِ الوَدْق مَوْظوب (٥)
كنا اذا ما أتانا صارخٌ فَزِعٌ ... كان الصُّراخُ له قَرْعَ الظنابيب (٦)
وشَدَّ كُورٍ على وَجناءَ ناجيةٍ ... وشَدَّ سَرْجٍ على جَرداءَ سُرحوب (٧)

(١) نسبة بني سعد الى تميم والى كل ذى حسب معروف النسب .

(٢) الكحل : السنة الشديدة الجدب ، والقرضوب : الفقير الذى لا يصيب شيئا إلا أكله .

(٣) أزمت : عضت . والقبص : العدد الكثير لا يقدر على حسبه من كثرته . ثم وصف صبرهم على الشدائد والجدب بالبيتين الآتيين .

(٤) الريح الشآمية : باردة واذا هبت فى الشتاء ، وهو زمن الجدب عندهم، كانت أبرد . (المعنى) نصبر على الجدب ونحل الوديان المجدوبة التى ليس بها إلا الحطب .

(٥) شيب : يعنى أن مبارك إبلهم فى الوادى المجدوب الذى نزلوه شيب أى بيضاء من الغبار والجدب لا خضرة فيها ، أو من الصقيع لأنهم ينزلونه زمن الشتاء . والمدروس : العافى المحو المعالم . والمدافع : جمع مدفع ، وهو مجرى المياه ، وهابى المراغ أى أن المكان الذى تمرغ فيه إبلهم هاب لقلة المطر الذى يثبته ، والموظوب : الذى قد وظب حتى أكل ما فيه . (المعنى) هذا الوادى الذى نضطر الى الإقامة فيه زمن الشتاء — مباركه بيض لا خضرة فيها أو أن الصقيع كساه بالبياض ، ومجارى مياهه مدروسة لعدم المياه التى تجرى فيها ، ومراغ إبله هاب بالتراب والغبار، وقد أكل كل ما فيه من العشب ، فلم يبق فيه شىء يرعى . يصف قومه بالجلد والصبر على الشدائد .

(٦) الظنابيب : جمع ظنبوب ، وهو حرف عظم الساق من أمام . أى اذا استصرخ بنا واستنجد مستغيث أسرعنا فى نجدته . وهو مثل يضرب للتهيؤ للأمر بسرعة . وأصله من قرع ظنابيب الإبل لتبرك سريعا فتركب . وفسر هذا التهيؤ بالبيت الآتى .

(٧) الكور : الرحل الذى يوضع على ظهر الناقة ليركب عليها ، والوجناء : الناقة الصلبة الجسم ، والناجية : السريعة السير ، والجرداء : الفرس القصيرة الشعر وذلك من محاسنها . والسرحوب : الطويلة .

يقـالُ : مَحبِسُها أدنى لمَرْتَعِهـا ... وإن تعـادَى بِبَكْءٍ كلُّ محْلُوب (١)

حتى تُرِكْنا، وما تُثْنَى ظعائنُنـا ... يأخذْنَ بين سواد الخَطِّ فاللُّوب (٢)

(٨) وقَال عَبْدُ يَغُوثَ الحَارِثِي : (٣)

ألا لا تَلومانى كفى اللـومَ ما بِيَا ... فما لكُما في اللوم خيرٌ ولا لِيـا (٤)

أَلَمْ تعلَمـا أنَّ الملامةَ نفعُهـا ... قليـلٌ وما لومى أخى من شِماليا (٥)

فيـا راكبًا إمَّا عرضْتَ فبلِّغَنْ ... نداماىَ من نجرانَ أنْ لا تلاقيـا

أبا كَرِب والأَيْهَمَـيْنِ كِلَيْهِـما ... وقيْسًا بأعلى حضرَموتَ اليمـانيا (٦)

جزى الله قوْمى بالكُلَاب مَلامةً ... صريحَهُـمُ والآخَرينَ المَواليـا (٧)

---

(١) يقال محبسها الخ يعنى يقال فى وصفها : إن محبس هذه الإبل وهذه الخيل على الجدب ومقابلة العدو على الثغر ومواضع المخافة — أدنى وأقرب وأولى من أن ترتع وتخصب فتضيع الثغر . وتعادى : تبارى فى العدو، والبكء : قلة اللبن فى المحلوب . أى ولو جرت النوق التى تحلب اللبن قليل لقلة رعيها .

(٢) تثنى : ترجع و يرد بعضها على بعض أى تمنع عن سيرها وتحال دونه . والظعينة : المرأة المسافرة فى هودجها ، وسواد الخط : يريد بلاد الخط من ساحل البحرين ، واللوب : الحجارة السود، وتكون فى الجبال الغربية من بلاد العرب . (المعنى) ما زلنا ندافع العدو حتى ترك لنا البلاد فأصبحت ظعائننا يسرن ما بين سواحل البحرين الى حدود الحجاز، لا يثنيهن العدو عن طريق

(٣) هو عبد يغوث بن وقاص الحارثى اليمنى أسر يوم الكلاب وهو يوم بين تميم واليمن ، وقد أسرته تيم الرباب وهو شاعر فارس مقدم فى قومه ينتمى الى بيت عرق فى الشعر .

(٤) أى كفى اللوم ما أنا فيه : فلا تحتاجون الى لومى مع ما ترون من أسرى وجهدى .

(٥) يقول : ليس لومى أخى من شمائلى أى أخلاقى .

(٦) أبو كرب والأيهمان : من اليمن ، وقيس بن معد يكرب الكندى كذلك .

(٧) صريحهم : خالصهم ومحضهم . والموالى هنا : الحلفاء

ولو شئتُ نجّتنى من الخيل نَهْدَةٌ ... ترى خلفَها الحُوَّ الجيادَ تَواليا (١)
ولكنّنى أحمى ذِمارَ أبيكمُ ... وكان الرماحُ يَختطفن المُحاميا (٢)
أقولُ وقد شَدُّوا لسانى بِنِسْعةٍ : ... أمَعْشَرَ تَيْــمٍ أطلِقُوا عنْ لِسَانيا (٣)
أمعشر تيم قــد ملكتم فأسْجِحوا ... فانَّ أخاكم لم يكنْ من بَوَائيا (٤)
فان تَقتُلونى تقتـلوا بِىَ سَيِّدًا ... وإن تُطلِقونى تَحْرُبُونِى بمـا ليـا (٥)
أحقًّا عبـادَ اللهِ أَن لستُ سامعًا ... نَشـيدَ الرِّعاءِ المُعْزِبِين المَتَاليـا (٦)
وتضـحكُ منى شـيخةٌ عبشميةٌ ... كأنْ لَم ترى قبـلِى أسيرا يمـانيا (٧)
وقـد علِمَتْ عِرسى مُلَيكةُ أننى ... أنَا الليثُ مَعْــدُوًّا عـلىَّ وعَاديا
وقد كنتُ نَحّارَالجزور ، ومُعْمِلَ الْـ ... ـمَطِىِّ ، وأمضِى حيثُ لاحَىَّ ماضيا
وأنحَــرُ للشَّرْب الكريم مطيَّـتى ... وأصدعُ بين القَينَتَين رِدائيـا (٨)

---

(١) النهدة : الفرس المرتفعة الخلق ، والحو : الخيل التى تضرب الى خضرة ، وقوله تواليا أى تتلوها وتتبعها لأن فرسه خفيفة قد تقدّمت الخيل .

(٢) الذمار : ما يجب على الرجل حفظه من منعه جاراً وطلبه ثأرا — يختطفن : يذهبن به .

(٣) هذا مثل ، فاللسان لا يشد بنسعة ، وانما أراد أفعلوا بى خيرا لينطلق لسانى بشكركم وانكم مالم تفعلوا فلسانى مشدود لا أستطيع مدحكم .

(٤) اسجحوا : سهلوا و يسروا أمرى ، والبوائى : جمع بواء بمعنى سـواء . أى أن صاحبكم ليس نظيرى فلا أقتل به ، يقال يا فلان بؤ بفلان أى اذهب به ، يقال ذلك للمقتول بمن قتل .

(٥) أى و إن تطلقونى أدفع دية عظيمة لصاحبكم بحيث يهلك منها مالى .

(٦) المعزب : المتنحى بإبله ، والمتالى التى قد نتج بعضها و بق بعض ، والواحدة متلية .

(٧) عبشمية نسبة الى عبد شمس ، والأسير : المشدود .

(٨) الشرب الشاربون ، المفرد شارب كصحب وصاحب . والمطية : البعير هنا — أصدع أشق والقينة الأمة مغنية كانت أو غير مغنية والأوّل هو المراد هنا يصف نفسه بالكرم والترف .

وكنتُ إذا ما الخيلُ شَمَّصَها القَنَا   لَبِيقًا بتَصريفِ القنــاةِ بَنَــانيا [١]

وَعَادِيةٍ سَومَ الجــرادِ وَزَعْتُهــا   بكفِّي وقـــد أَنْحَوْا اليَّ العواليــا [٢]

كأنِّيَ لم أركَبْ جوادًا ولم أقُــلْ   لِخَيــلِيَ : كُرِّي نَفِّسِي عن رجاليا

ولم أَسبإِ الزِّقَ الرَّوِيَّ ، ولم أَقُل   لِأَيْسارِ صِدْقٍ أعظِموا ضَوْءَ نارِيا [٣]

(٩) وقال ذو الإصبع العَدْواني : [٤]

لِيَ ٱبنُ عمٍّ على ما كانَ من خُلُقٍ   مختلفــانِ : فَأَقْلِيـــه ، ويَقْلِيني [٥]

أزرى بنــا أنَّنــا شَالتْ نَعَامتُنــا   فخــالَني دُونَه ، وخِلتُـــه دوني [٦]

يا عمـــرُو إلَّا تدعْ شَتْمِي ومَنْقَصَتِي   أَضْرِبْكَ ،حتى تقولَ الهامةُ : اسقوني [٧]

---

(١) شمص : ضرب ونخس ، والقنا : الرماح واللبيق الحاذق .

(٢) العادية : القوم يعدون ، والخيل كذلك — سوم الجراد : انتشاره فى طلب المرعى . وزعتها : كففتها ومنعتها — أنحوا الرماح : أمالوها وقصـدوا بها إلى ، والعالية من الرمح فى ثلثه الأعلى دون السـنان بذراع . يقول ورب جماعة من الفرسان تعدو على فى كثرة الجراد وشيوعه قد كففتها عنى ، وقد أمالوا رماحهم نحوى فى القتال .

(٣) السباء : اشتراء الخمر ، والأيسار الذين يضربون القداح فى المقامرة ، يقول : كأنى لم أشرب الخمر ، ولم أقل للقامرين معى أعلوا ضوء النار للشواء أولا كرام الضيفان الذين يقصدونها ، وكان ذلك من مفاخر العرب .

(٤) هو حرثان بن الحارث من عدوان من مضر شاعر فارس من قدماء الشعراء فى الجاهلية وقد عمر طويلا حتى خرف وأهتر ومات قبل الإسلام .

(٥) على ما كان من خلق أى من تخالق ومعاملة بيننا ، يريد أنهما مختلفان ، أقليه : أبغضه .

(٦) أزرى بنا : قصر بنا وعابنا ، وقوله شالت نعامتنا : معناه تفرق أمرنا واختلف فتنافرنا ، فصرت لا أطمئن اليه ولا يطمئن الى .

(٧) الهامة : الرأس وهى موضع العطش عند العرب قديما ، فهو على ذلك يقول أضربك حتى تعطش وله تأويل آخر ، وهو أنه يقال : إن الرجل إذا قتل فلم يدرك بثأره خرجت هامة من نوع البوم من قبره فلا تزال تصيح : اسقونى حتى يثأر له ويكون المراد على هذا : أضربك حتى تقتل .

لاهِ ابنُ عمّك! لا أفضلتَ فى حَسَبٍ عنّى ، ولا أنتَ ديّانى فتخْــزُونى[١]
ولا تقُــوتُ عيالى يومَ مَسْــغَبةٍ ، ولا بنَفْسِك فى العَــزّاءِ تكفينى[٢]
إنى لَعمْــرُكَ ما بابِى بذى غَلَقٍ عن الصَّـدِيقِ ، ولا خَيْرِى بممْنُونِ[٣]
ولا لسـانِى على الأدنى بمنْطَلِقٍ بالفاحشَاتِ ، ولا فتْكى بمأمونِ
عَفٌّ يؤوسٌ ، إذا ما خِفْتُ من بَلدٍ هُــونًا فلستُ بوقّافٍ على الهُــونِ[٤]
عَــنِّى إليكَ ، فما أمِّى براعيــةٍ ترْعَى المخاضَ ، وما رأيى بمغبُــونِ[٥]
كلُّ امرئٍ راجعٌ يوماً لشيمتــه وإنْ تخَلّق أخلاقًا إلى حينِ[٦]
إنّى أبِىٌّ أَبِىٌّ ذو مُحَافَظَــةٍ وابنُ أبِىٍّ أبِىٍّ من أبيّــينِ[٧]
وأنــتُمْ معشــرٌ زيْدٌ على مِائَةٍ فأجْمِعُــوا أمرَكم كُلًّا فكيدونى[٨]
فإنْ علِمْتمْ سبيلَ الرُّشْــدِ فانطلِقوا وإن جهِلتم سبيلَ الرشــدِ فأْتونى[٩]

---

(١) لاه ابن عمك : أصله لله ابن عمك فحذفت اللام الخافضــة اكتفاء بالتى تليها ، والديان القائم بالأمر . يقول : لست القائم فى أمرى فتخزونى أى تسوسنى وتدبر أمرى .

(٢) المسغبة : المجاعة . والعزاء : الضيق والشدّة .

(٣) أى لا أدّخر عن صاحبى شيئا ولا أمنّ عليه .

(٤) عف : أى عفيف عما ليس لى ، يؤوس : لست بذى طمع ، فأنا يائس مما فى يد غيرى ، والهون : الهوان والذلة .

(٥) أى لست بابن أمة ، وخص المخاض لأن رعيها عمل المهين .

(٦) الشيمة : الطبع ، يريد أن التخلق لا يدوم ولا بد أن يرجع الإنسان إلى طباعه التى تغلب عليه .

(٧) يصف نفسه وآباءه بالعز والمنعة .

(٨) زيد على مائة : زيادة عليها .

(٩) أى فإن عرفتم سبيل الرشد فاذهبوا لوجهتكم ، وإن فزعتم إلى رأيى أجبتكم ونصحت لكم .

ماذا عليّ وإن كنتم ذوي كرم ألّا أحبّكمُ إذ لم تحبّـــوني
لو تشربون دمي لم يُرْوِ شاربكم ولا دماؤكمُ جمعًا تـــروّيني
اللهُ يعلمُـــني ، واللهُ يعلمـــكمْ واللهُ يجزيكمُ عنّي ، ويجـــزيني
قد كنتُ أوتيكمُ نُصحي ، وأمنحكمْ وُدّي على مُثبَتٍ في الصّـــدر مكنون(١)
لا يُخـــرجُ الكُرْهُ مني غيرَ مأبيـــةٍ ولا ألين لمَن لا يبتغي لِيـــني(٢)

(١٠) قال عَمرو بن كُلثوم التَّغْلَبي من معلقته يفخر بقومه : (٣)

وقـــد عَلِم القبائلُ من مَعَـــدٍّ إذا قُبَبٌ بأبطَحها بُنِينا (٤)
بأنّا المطعِمُون إذا قـــدَرنا وأنا المهلكُون إذا ابتُلينا (٥)
وأنا المـــانِعون لمـــا أردنا وأنا النازلُون بحيثُ شِينا (٦)
وأنا التاركـــون إذا سخطنـــا وأنا الآخِذون إذا رضـــينا

---

(١) مكنون : مستور .

(٢) يقول ، إذا أكرهت على الشيء لم يكن عندي إلا الإباء له فلا أعطي على القسر شيئا .

(٣) هو أبو الأسود عمرو بن كلثوم بن مالك التغلبي ، سيد تغلب وفارسها وشاعرها وخطيبها ، وهو أحد أصحاب المعلقات ، مات قبل الاسلام بنحو خمسين سنة .

(٤) معد بن عدنان : هو أبو الشعب العظيم العدناني المقابل للشعب القحطاني من العرب — والقبب البيوت من الجلد تبنى للملوك والسادة .

(٥) يعني أننا إذا قدرنا على الناس لا نستذلهم بل نطعمهم ونرغد عيشهم ، وإذا ابتلانا عدونا بحرب أهلكناه .

(٦) يريد أننا نمنع ونحمي ما نريد من البـــلاد والناس ، فلا يستطيع أحد أخذه منا ولا معارضتنا ، فلنا البلاد ننزل أي مكان شئنا .

ونشربُ إن وَرَدْنا الماءَ صَفْوًا ... ويشربُ غيرُنا كدِرًا وطِينا [1]

إذا ما المَلْكُ سامَ الناسَ خَسْفًا ... أَبَيْنا أن نُقِرَّ الذُّلَّ فينا

لنا الدنيا ومَن أمسى عليها ... ونَبْطِشُ حينَ نبطِش قادرينا

بُغاةً ظالمين وما ظُلِمْنا ... ولكنّا سنبدأ ظالمينا [2]

ملأْنا البَرَّ حتى ضاق عنّا ... ونحن البحرَ نملؤه سَفِينا [3]

إذا بَلَغَ الرضيعُ لنا فِطامًا ... تَخِرُّ له الجبابرُ ساجدينا

(١١) قال الحارث بن حِلِّزة اليَشكرى من قصيدة يفتخر: [4]

ولئن سألتَ إذا الكتيبةُ أحجمتْ ... وتبيَّنتْ رِعةُ الجبانِ الأهوجِ [5]

وحسِبتَ وقْعَ سُيوفِنا برءوسهم ... وقعَ السحابِ على الطِّرافِ المُشرَجِ [6]

---

(١) أى لا يشرب الناس من المورد إلا بعد أن نشرب، فيكون الماء قد تكدر بالطين .

(٢) كانت العرب تتباهى بالحرية والمنعة ويفخرون بأنه ليس فى استطاعة غيرهم أن يظلمهم لقوّته ، بل هم الذين يبدءون غيرهم بالظلم لاعتقادهم أن (من لا يظلم الناس يظلم) .

(٣) كانت تغلب تسكن شواطئ الفرات وربما امتدت ديارهم إلى ساحل الخليج الفارسى ؛ ولذلك يقع فى شعر تغلب وأختها بكر بن وائل ذكر السفن وأدواتها .

(٤) هو الحارث بن حلزة اليشكرى البكرى ، أحد أصحاب المعلقات العشر وأصحاب البديهة والارتجال . وكان فى بكر بن وائل قريع عمرو بن كلثوم فى تغلب وخصما عنيدا له .

(٥) الرعة . الخوف . والأهوج : الأحمق الطائش الطويل .

(٦) السحاب هنا : المطر . والطراف : البيت أو القبة من أدم أى جلد . والمشرج : المخيط بعضُ قطعه فى بعض . وشبه وقع السيوف على الرءوس بوقع المطر على القبة من الجلد لبيان كثرة وقعها وتميز صوت وقعها ؛ لأنه حينئذ يكون كالطبل .

وإذا اللِّقــاحُ تروّحتْ بعشيّةٍ ... رَتَكَ النعـامِ إلى كنيفِ العَـرْفَجِ (١)

ألفيتَنا للضيفِ خــيرَ عِمـارةٍ ... إن لم يكن لَبَنٌ فعَطْفُ المدْعَجِ (٢)

(١٢) وقال عَبِيدُ بن الأبرص من بائيته المشهورة التى أوّلها : (٣)

أقفرَ من أهلِه مَلْحُوبُ ... فالقُطَّبيّاتُ فالذَّنــوبُ (٤)

* * *

وكلُّ ذى غَيْبــةٍ يؤوبُ ... وغائبُ الموْتِ لا يؤوب

أعاقرٌ مثــلُ ذاتِ وُلْدٍ ... أو غانِمٌ مثــلُ مَنْ يخيبُ

من يَسألِ الناسَ يَحرِموه ... وسائــلُ اللهِ لا يخيبُ

ساعِدْ بأرضٍ ان كنتَ فيها ... ولا تَقلْ : إنني غَريب

(١) اللقاح : جمع لقحة وهى الناقة ذات اللبن . وتروحت : رجعت إلى مباركها آخر النهار . وارتك : مقاربة الخطو ، والكنيف حظــيرة من شجر للابل . والعرفج : شجر سريع الالتهـاب ، أى واذا راحت النوق ذوات اللبن إلى كنفها المتخذة من شجر العرفج مسرعة إسراع النعام ألفيتنا الخ .

(٢) ألفيتنا : وجدتنا ، والعمارة هنا : العشــيرة والأهل . والمدعج : قدح الميسر الذى يقامر به ، أى ان لم يكن لبن عطفنا على القداح فضربناها ونحرنا النوق التى ربحنا للضيف .

(٣) عبيد بفتح العين وكسر الباء . هو عبيد بن الأبرص الأسدى أحد فحول شعراء الجاهلية وقدمائهم وبائيته التى منها هــذه الأبيات من مجزوء البسيط وأكثر أبياتها مضطربة الوزن ، لكن أغراضها ومعانيها شريفة

(٤) ملحوب والقطبيات والذنوب : أسماء أماكن .

(١٣) وقال الأفوهُ الأوْدِىّ : (١)

البيْت لا يُبتَنى إلا له عَمَدٌ ولا عمادَ اذا لم تُرْسَ أوتادُ (٢)
فإن تجمّعَ أوتادٌ وأعمدةٌ وساكنٌ بلغوا الأمرَ الذى كادوا (٣)
لا يصلُحُ الناس فوضَى لا سَرَاة لهم ولا سَراةَ إذا جُهّالُهم سادوا
تُهدَى الأمورُ بأهلِ الرأيِ ما صلَحتْ فان تولّتْ فبالأشرار تنقاد
إذا تولّى سَراةُ الناس أمرَهمُ نَمَا على ذاكَ أمر القوْمِ فازدادوا

(١) هو صلاءة بن عمرو الأودى أحد فحول شعراء الجاهلية وحكمائها وسادتها وفرسانها .

(٢) هـذا البيت والذى بعده تمثيل لمذهبه ورأيه فى سياسة الناس ، صلاح أمورهم إذا تولى حكمهم وقيادتهم سراتهم وذوو الأحساب والرأى فيهم فما دام هؤلاء بأيديهم الحل والعقد صلحت أمورهم وعظمت شئونهم وبلغوا ما أرادوا ، فاذا تغلب الجهال بقوتهم عم الفساد .

(٣) كادوا هنا بمعنى أرادوا .

عصر صدر الاسلام وبنى أمية

(١) آيات من القرآن الكريم (١)

بسم الله الرحمن الرحيم

لقد جاءكم رسول من أنفسكم (٢) عزيز عليه ما عنتم (٣) حريص عليكم (٤) بالمؤمنين رءوف رحيم . فإن تولوا فقل حسبى الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم (٥) .

وأوحينا الى موسى وأخيه أن تبوءا لقومكما بمصر بيوتا واجعلوا بيوتكم قبلة وأقيموا الصلوة وبشر المؤمنين (٦) . وقال موسى ربنا إنك ءاتيت فرعون وملأه زينة وأموالا فى الحيوة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك (٧) ربنا اطمس (٨) على أموالهم واشدد

---

(١) هو كتاب الله الحكيم أنزله على نبيه محمد عليه الصلاة والسلام منجما بحسب الحوادث والمناسبات ، ويعدّ هذا الكتاب أساس الشريعة الإسلامية ومعجزة الرسالة المحمدية ، فهو المثل الأعلى للبلاغة ، مقسم الى أجزاء وسور . (٢) أى من جنسكم .

(٣) أى عنتكم ولقاؤكم المكاره ؛ فما مصدرية .

(٤) حريص عليكم أى على إيمانكم وصلاح شأنكم .

(٥) تولوا : انصرفوا عن الإيمان بك فقل (يا محمد) — حسبى الله يكفينى معرتهم ، ويعيننى عليهم .

(٦) موسى : هو رسول الله ، وأخوه هو هارون — تبوءا : اتخذا مباءة ومقرا — اجعلوا أى أنتما وقومكما — قبلة : مصلى .

(٧) ليضلوا : متعلقة بآتيت .

(٨) اطمس على أموالهم أى أهلكها وامحقها .

على قُلوبِهِمْ فلا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا العذابَ الأَليمَ . قال قد أُجيبَت دعوتُكما فاستَقيما ولا تَتَّبِعانِّ سبيلَ الذينَ لا يعلَمونَ . وجوَزْنا ببني إسْراءيلَ البحرَ فأَتْبَعَهُمْ فِرعونُ وجُنودُه بَغْيًا وعَدْوًا(١) حَتَّى إذا أدرَكَهُ الغَرَقُ قال ءامَنتُ انه لا إله إلا الذى ءامَنَتْ به بنو إسراءيلَ وأنا مِن المسلمينَ ءآلئنَ(٢) وقَدْ عَصَيتَ قَبلُ وكُنتَ مِنَ المفسدينَ .

* * *

أَفَمَنْ يَعلَمُ أنَّما أُنزِلَ إليكَ مِنْ رَبِّكَ الحَقُّ(٣) كَمَنْ هُوَ أعْمَى(٤) إنَّما يَتَذَكَّرُ أولُوا الألبٰب(٥) الذينَ يُوفونَ بعَهْدِ الله(٦) ولا يَنْقُضونَ الميثٰقَ(٧) والذينَ يَصِلونَ ما أَمَرَ اللهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ(٨) وَيَخشَوْنَ رَبَّهُمْ ويَخافونَ سُوءَ الحِساب . والذين صَبَرُوا ابْتِغاءَ وَجْهِ رَبِّهِم(٩) وأقامُوا الصَّلٰوةَ وأنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنٰهُمْ سِرًّا وعَلانِيَةً ويدرءُون(١٠) بالحَسَنةِ السَّيِّئَةَ أولٰئكَ لَهُمْ عُقبَى الدَّار(١١) .

---

(١) أتبعهم : أدركهم — بغيا وعدوا أى باغين عادين .

(٢) أى أتؤمن الآن، وقد أيست من نفسك، ولم يبق لك اختيار .

(٣) أى ويستجيب لك .

(٤) أعمى لا يستبصر فلا يصدق .

(٥) الألباب : العقول، جمع لب .

(٦) عهد الله : ماعقدوه على أنفسهم من اتباع شريعته .

(٧) ما وثقوا من المواثيق والعهود مع الله أو مع الناس .

(٨) أى يرعون القرابة الخاصة والعامة، ويؤدّون جميع الحقوق .

(٩) طلبا لرضاه .

(١٠) يدفعونها : أى يقابلون الإساءة بالإحسان .

(١١) أى عاقبة الدنيا ومآل أهلها الأبرار من حسن المثوبة .

إنَّ اللهَ يأمرُ بالعدلِ والإحسانِ وإيتاءِ ذي القربى[1] وينهى عنِ الفحشاءِ والمنكرِ والبغيِ يعظكم لعلكم تذكّرون[2] . وأوفوا بعهدِ اللهِ إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمانَ بعدَ توكيدِها وقد جعلتمُ اللهَ عليكم كفيلًا[3] إنَّ اللهَ يعلمُ ما تفعلون .

وقضى ربُّكَ ألّا تعبدوا إلّا إيّاه وبالوالدينِ إحسانًا[4] ، إمّا يبلغنَّ[5] عندكَ الكبرَ أحدُهما أو كلاهما فلا تقل لهما أُفٍّ ولا تنهرهما[6] وقل لهما قولًا كريمًا ، واخفض لهما جناحَ الذلِّ منَ الرحمةِ وقل ربِّ ارحمهما كما ربّياني صغيرًا[7] ، ربُّكم أعلمُ بما في نفوسِكم إن تكونوا صالحين فإنّه كانَ للأوّابينَ[8] غفورًا ، وآتِ ذا القربى حقَّه والمسكينَ وابنَ السبيلِ[9] ولا تبذّر تبذيرًا ، إنَّ المبذّرين كانوا إخوانَ الشياطين وكانَ الشيطانُ لربِّه كفورًا .

ألم ترَ أنَّ اللهَ يولجُ[10] الليلَ في النهارِ ويولجُ النهارَ في الليلِ وسخّرَ الشمسَ والقمرَ ، كلٌّ يجري إلى أجلٍ مسمّى[11] وأنَّ اللهَ بما تعملونَ خبيرٌ ، ذلكَ[12] بأنَّ اللهَ هو الحقُّ وأنَّ

---

(١) الإحسان : إجادة الطاعات والأعمال . إيتاء : إعطاء مال ونحوه .

(٢) الفحشاء : الذنوب الكبيرة . المنكر : هو ما ينكر على متعاطيه . البغى : العدوان والتجبر . تذكّرون : تتعظون .

(٣) كفيلا شاهدا بتلك البيعة .

(٤) إحسانا : مفعول مطلق لفعل محذوف أى وأن تحسنوا بهما إحسانا .

(٥) إما هى إن الشرطية زيدت عليها ما تأكيدا .

(٦) تنهر : تزجر بغلظة . والقول الكريم : هو الجميل اللين لا شراسة فيه .

(٧) كما ربيانى ، أى لتربيتهما إياى صغيرا .

(٨) الأوابون : التوابون .

(٩) ابن السبيل : المسافر المحتاج يستحق الزكاة .

(١٠) يولج : يدخل ، والمراد تعاقبهما وتبادلهما الزيادة والنقص .

(١١) أجل مسمى : نهاية معلومة .

(١٢) ذلك إشارة الى الذى ذكره من نظام الفلك وغيره — بأن : أى بسبب أن .

مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَـٰطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ، أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ(١) تَجْرِى فِى الْبَحْرِ بِنِعْمَةِ اللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَـٰتِهِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ، وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَالظُّلَلِ(٢) دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّـٰهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَـٰتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ(٣) .

أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَـٰمًا فَهُمْ لَهَا مَـٰلِكُونَ، وَذَلَّلْنَـٰهَا(٤) لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ(٥) وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ، وَلَهُمْ فِيهَا مَنَـٰفِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ، وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ ءَالِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ(٦) ، لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ(٧) جُندٌ مُّحْضَرُونَ، فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ، أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَـٰنُ أَنَّا خَلَقْنَـٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ(٨) وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا(٩) وَنَسِىَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحْىِ الْعِظَـٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ(١٠)، قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ، الَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ، أَوَلَيْسَ الَّذِى خَلَقَ السَّمَـٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ بِقَـٰدِرٍ

---

(١) الفلك : السفينة للمفرد والجمع ؛ نعمة الله : إحسانه فى تهيئته أسبابه .

(٢) غشيهم : علاهم وغطاهم . الظلل : جمع ظلة كقلة وقلل ، والظلة : ما يظل من سحاب أو جبل أو غيرهما . (٣) مقتصد : مقيم على الطريق القصد السوى الذى هو التوحيد . يجحد : يكفر . الختار : الغدار .

(٤) الأنعام : الإبل ، وتطلق على البقر والغنم أيضا والمفرد نعم . ذللناها : صيرناها منقادة .

(٥) ركوبهم : مركوبهم .

(٦) رجاء أن ينصروهم فيما حزبهم من الأمور والحق أنهم لا يستطيعون .

(٧) هم : أى المشركون . لهم : أى لآلهتهم . جند محضرون : أى معدون لحفظهم و [illegible]

(٨) مبين : شديد الخصومة .

(٩) المثل : الأمر العجيب [illegible] من يحى) . (١٠) الرميم : ما بلى من العظام .

عَلَىٰ أن يَخْلُقَ مِثلَهم ، بَلَىٰ(١) وهو الخَلّاقُ العَـليمُ ، إنَّمـا أَمرُه(٢) إذا أرادَ شيْئًا أنْ يقُولَ له كُنْ فيَكُونُ ، فَسبحَنَ(٣) الذى بِيَدِهِ ملَكُوتُ كُلِّ شىْءٍ وإليه تُرجَعُونَ .

(ب) الشــــعر

(١) قال أُمَيَّةُ بن أبى الصَّلْتِ يعتِب على ابن له :(٤)

غَذَوْتُكَ مَولُودًا وعُلْتُك يافعًا ... تُعَلُّ بمـا أُدنِى إليك وتُنْهَل(٥)

إذا ليلةٌ نابتك بالشَّكْوِ لم أبِتْ ... لِشكواكَ إلا ساهرًا أتملمَلُ(٦)

كأنى أنا المَطروقُ دونَكَ بالذى ... طُرِقتَ به دونى ، وعَيْنِى تَهمِلُ(٧)

تَخافُ الردَى نفْسى عليكَ ، وإنها ... لَتعـلمُ أنَّ الموتَ حتْمٌ مؤجَّل(٨)

فلمَّا بلغتَ السنَّ والغايةَ التى ... إليها مَدى ما كنتُ فيكَ أُؤمِّل

---

(١) بلى : جواب من الله تعالى لتقرير ما بعد النفى للدلالة على أنه لا جواب سواه .

(٢) امره : شأنه .

(٣) سبحان : مفعول مطلق بمعنى تنزيها . الملكوت : الملك العظيم والتاء للمبالغة، وإليـه ترجعون : تعودون اليه ليحاسبكم . وفى هذه الجملة وعد ووعيد معا .

(٤) هو عبد الله بن أبى ربيعـة الثقفى نشأ بالطائف جاهليا يلتمس المعارف الدينية متعبدا راجيا أن يكون نبى العرب ، حتى اذا كانت بعثة النبى صلى الله عليه وسـلم نقمها عليه ، وناصبه مع أعدائه حتى مات بالطائف سـنة ٩ هـ . ويمتاز شـعره بالسهولة ، والدخيـل من الألفاظ ، وتناول الأساطير ، والأمور الدينية مع المدح والحكمة وكان أكثر مدحه فى عبد الله بن جدعان القرشى .

(٥) غذاه : قام بمؤونته ، وعاله : كفله وقام به ، واليافع : من قارب العشرين ، تعل : من العلل ، وهو الشرب الثانى . والنهل : الشرب الأول ، يريد أنه يسبغ عليه من نعمه الكثير والقليل .

(٦) أتململ : أتقلب على المد وهى الجمر .

(٧) تهمل : أى يسيل منها الدمع .

(٨) الردى : الهلاك ، حتم أى لا مفر منه . مؤجل أى له وقت .

جعلتَ جزائى منك جَبْهًا وغِلْظَة ... كأنكَ أنتَ المنعِمُ المتفضِّلُ (١)
فليْتَكَ إذ لم ترعَ حقَّ أُبُوَّتي ... فعلْتَ كما الجارُ المجاوِرُ يفعلُ (٢)
وسمَّيْتَنِي باسم المفنَّدِ رأيُه ... وفى رأيِك التفنيدُ لوكنتَ تعقِلُ (٣)
تراه مُعَدًّا للخلافِ كأنه ... بِرَدٍّ على أهلِ الصواب مُوَكَّلُ (٤)

(٢) قال ضِرارُ بن الخطَّاب بنِ مِرْداس : (٥)

عجِبتُ لفخرِ الأَوْسِ، والحَيْنُ دائرٌ ... عليهم غدًا، والدهرُ فيه بصائرُ (٦)

* * *

فإن تظفَروا فى يوم بدرٍ فإنما ... بأحمد أمسى جَدُّكم، وهو ظاهر (٧)
وبالنَّفَرِ الأخيارِ هُمْ أولياؤُه ... يُحامون فى اللأْواءِ، والموتُ حاضر (٨)
يُعَدُّ أبو بكرٍ وحمزةُ فيهمُ ... ويُدْعَى علىٌّ وَسْطَ مَنْ أنتَ ذاكر

(١) الجبه : مقابلة الانسان بما يكره .

(٢) أى ليتك اذا أبيت أن تعاملى معاملة الأب عاملنى كما يعمل الجار جاره .

(٣) فنده : نسبه الى سوء العقل أى وصفنى بسوء الرأى والغباوة، ولو عقلت لعلمت أن الفند حقيق بأن ينسب اليك لا إلى . (٤) معدا : أى محضرا ومهيئا، أى أنه يهيئ الخلاف، و يقابل به كل رأى كأنه كلف أن يفند آراء أهل الصواب .

(٥) هو ضرار بن الخطاب بن مرداس الفهرى، فارس مقدم منذ الجاهلية . ولما جاء الاسلام كان يناضل الرسول، و يناقض شعراءه . وشعره يتصل بحروب وأحداث فى الجاهلية وصدر الإسلام منه هذه القطعة التى يرد بها على الأنصار فخرهم بنصرة بدر المشهورة .

(٦) الحين : الموت، أى إنى عجب لفخر الأوس بنصرهم مع أن الموت سينالهم بعد حين وفى حوادث الدهر عبر للتبصر . (٧) الجد : الحظ والسعادة والظفر . (٨) اللأواء : الشدة

أولئــك لا مَنْ نُتِّجَتْ فى ديارها ... بنو الأوْسِ والنجّارِ حِينَ تُفــاخِرِ (١)
ولكنْ أبوهُم مِن لُؤَىِّ بنِ غالب ... إذا عُدَّتِ الأنسابُ كَعْبٌ وعامر
هُمُ الطاعنون الخيلَ فى كل مَعْرِك ... غداةَ الهيــاج الأطيبون الأكابر

(٣) وقال كعب بن مالك : (٢)

عَجِبْــتُ لأمرِ اللهِ واللهُ قادرٌ ... علـى ما أراد ، ليس للهِ قاهرُ
قضَى يومَ بدرٍ أن نُلاقِىَ معشــراً ... بَغَوْا ، وسبيلُ البغْيِ بالنــاسِ جائر
وقد حَشَدُوا ، واستَنْفَروا من يَليهمُ ... من النـاسِ ، حتى جَمْعُهــم متكاثر
وسارتْ إلينــا لا تُحــاوِلُ غــيْرَنا ... بأجمعهــا : كَعْبٌ جميعاً ، وعامر
وفينا رسولُ اللهِ ، والأوسُ حولَه ... له مَعْقِلٌ منهــم عزيزٌ وناصــر
وجَمْــعُ بنى النــجارِ تحتَ لوائهِ ... يُمشُّون فى المــاذِىّ ، والنَّقْعُ ثائر (٣)
فلمّــا لَقِيناهمْ ، وكلٌّ مجــاهــدٌ ... لأصحــابه مُسْتَبْسِلُ النفْسِ صابر
شهِدْنا بأنَّ اللهَ لا ربَّ غــيْرُه ... وأنَّ رســولَ اللهِ بالحــقِّ ظاهر
وقد عُرِّيَتْ بِيضٌ خِفاف كأنهــا ... مَقَايِيسُ يُزْهيهــا لعينيــكَ شاهر (٤)

---

(١) أولئك : أى أولئك هم الأبطال . نُتجت : ولدت .

(٢) كعب بن مالك الخزرجى من شعراء الرسول صـلى الله عليه وسلم وأصحابه نشأ فى المدينة وأسلم ودافع أعداء الرسول عنه ، وروى عنه كثيرا من الأحاديث ثم كان عثمانيا يدعو الأنصار لنصر عثمان ، وتغلب على شعره النزعة الدينية فى أسلوب واضح متين .

(٣) الماذى هنا : السلاح من الحديد المجلو ، والنقع : غبار الحرب .

(٤) البيض الخفاف السيوف : والمقاييس ، جمع مقياس ، وهو شـعلة النار ، ويزهيها : يشعلها ، وشاهر السيف : رافعه .

ـيـنَّ أبَدْنَا جمعَهـــمْ فتبـــدَّدوا — وكانَ يُلاقِي الحَيْنَ مَنْ هو فاجر (١)

كُبَّ أبو جهـــلٍ صريعا لِوجهِه — وعُتْبَـةُ قــد غادرْنَه وهـــو عاثِر (٢)

شَـيْبَةَ والتَّيْمِيَّ غادرْن فى الوغَى — وما منهـــمُ إلّا بذى العَرش كافِر

مسَوْا وَقُودَ النـارِ فى مُستَقرِّها — وكلُّ كفورٍ فى جهـنَّمَ صائر

كانَ رسولُ الله قد قَالَ : أقبِـلوا — فـوَلّوا ، وقالُوا : إنمـا أنتَ ساحر

أمرٍ أراد اللهُ أن يَهلِكوا به — وليس لأمرٍ حَمَّـــه الله زاجر (٣)

(٤) قال كعبُ بن زهير يخَاطب الرسول عليه السلام : (٤)

بَانَتْ سُعادُ فَقلْبي اليـومَ مَتْبولُ — مُتَيَّمٌ إثْرَهـا لم يُجْـزَ مَكْبُولُ (٥)

وما سُـعادُ غَداةَ البَـينِ إذ رَحَلوا — إلّا أغَنُّ غَضيضُ الطَّرفِ مكْحولُ (٦)

تَجلُو عَوارِضَ ذى ظَلْمٍ إذا ابتَسمتْ — كأنهُ مُنْهَـلٌ بِالرَّاحِ مَعْـلُولُ (٧)

---

١) الحين : الموت والهلاك .

٢) كب : صرع والنون فى غادرنه للسيوف ، والعاثر يراد به المصروع .

٣) حمه الله : قضاه ، زاجر رادّ .

٤) هو كعب بن زهير بن أبي سلمى شاعر مخضرم . نشأ فى أسرة شاعرة ذات خواص فنية متشابهة
سلم ومدح الرسول بقصيدته هذه التى نورد شيئا منها هنا ويقال إنه توفى سنة ٢٤ هـ .

٥) بانت : فارقت — سعاد إسم امرأة يخترعهـا الشاعر ليجعلها موضوع نسيبه الافتتاحى . متبول :
الحب . مكبول : مقيد .

٦) الأغن الذى فى صوته غنة وهى صوت محبوب . غضيض الطرف أى فى عينها كسر وفتور .

٧) تجلو : تكشف — عوارض أسنان — ذى ظلم أى ثغر ذى ظلم ، وهو ماء الأسنان و بريقها —
بالراح : مسقى بالخمر مرة بعد أخرى .

شُجَّتْ بِذِى شَبَمٍ من ماءِ مَحْنِيَةٍ صافٍ بأبطحَ أضحى وهو مَشمولُ (١)
تَنفِى الرياحُ القذَى عنه وأفرطهُ مِنْ صَوْبِ غادية بِيضٌ يَعالِيلُ (٢)

* * *

نُبِّئْتُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ أوعَدَنِى والعَفْوُ عندَ رسُولِ اللهِ مأمُولُ (٣)
مَهلًا هدَاكَ الذِى أعطَاكَ نافلةَ الْـ قُرآنِ فيها مَواعِيظٌ وتفصِيلُ (٤)
لا تأخُذَنِّى بأقوالِ الوُشاةِ ، ولم أُذنِبْ ، ولو كَثُرَت فِىَّ الأقاوِيل
إنَّ الرسولَ لَنُورٌ يُستضاءُ به مُهنَّدٌ مِن سُيوفِ اللهِ مسلُولُ (٥)
فى عُصبةٍ مِن قُرَيْشٍ قال قائلهمْ ببطنِ مكّةَ لمّا أسلَمُوا : زُولُوا (٦)
زَالُوا ، فما زَالَ أنكاسٌ ولا كُشُفٌ عنـدَ اللقاءِ ولا مِيلٌ مَعازِيل (٧)
يَمشُون مشْيَ الجِمالِ الزُّهرِ يَعصِمُهمْ ضَربٌ إذا عَرَّدَ السُّودُ التَّنابِيل (٨)

---

(١) شجت : مزجت بالماء لتذهب سورتها — بذى شبم أى بماء ذى شبم وهو البرد ، والمحنية : منعطف الوادى حيث يصفو الماء ، والأبطح : مسيل فيه دقاق الحصى ، والمشمول : الذى ضربته ريح الشمال حتى برد .

(٢) القذى : ما يسقط فى الماء من تبن أو نحوه ، أفرطه : ملأه ، والصوب : المطر ، والعادية : الغمامة تأتى صباحا ، واليعاليل : الجبال — أى ملأ هذا الأبطح سيل آت من جبال بيض وقد تكون هذا السيل من مطر الغمام . (٣) أوعد : هدد .

(٤) نافلة القرآن : عطية القرآن من إضافة المشبه به إلى المشبه — تفصيل — تبيين .

(٥) مهند سيف منسوب إلى الهند لاشتهارها بصنع السيوف .

(٦) زولوا : هاجروا من مكة الى المدينة .

(٧) النكس : الضعيف ، والكشف : جمع أكشف ، وهو من لا ترس له ، والميل : جمع أميل ، وهو من لا سيف له ، أو من لا يحسن الركوب ، والمعازيل : جمع معزول وهو من لا سلاح له .

(٨) الزهر : البيض . وعرد : فر وأعرض ، والتنابيل : القصار : جمع تنبل ، وتنبال .

شُمُّ العَرانينِ أبطالٌ لَبوسُهمُ ... مِنْ نَسْجِ دَاودَ فى الهَيْجا سَرابيلُ (١)
بِيضٌ سَوابِغُ قد شُكَّتْ لَهَا حَلَقٌ ... كأنَّها حَلَقُ القَفْعَاءِ مَجدُولُ (٢)
لَيسُوا مَفَاريحَ إن نَالتْ رِماحُهمُ ... قوماً، وليسوا مَجَازِيعاً إذا نِيلُوا (٣)
لايَقَعُ الطَّعْنُ إلا فى نُحُورِهِم ... لَيْسَ لَهُمْ عَن حِيَاضِ الموتِ تَهليلُ (٤)

(٥) قالت عاتكةُ بنتُ عبد المطلب : (٥)

سائِلْ بنا فى قومنا ... ولْيَكْفِ من شَرٍّ سَمَاعُهْ (٦)
قَيْسًا وما جَمَعُوا لنا ... فى مَجْمَعٍ باقٍ شَنَاعُهْ (٧)
فيهِ السَّنَوَّرُ والقَنَا ... والكَبْشُ مُلْتَمِعٌ قِناعُهْ (٨)

---

(١) شم العرانين : شم الأنوف . أى أعزة ، المفرد عزيز ، واللبوس : اللباس . السرابيل : الدروع ، أى أن لباسهم دروع من نسج داود الذى ألين له الحديد .

(٢) بيض : صفة للسرابيل . السوابغ : الطوال ، والقفعاء : نبات ينبسط على الأرض يشبه حلق الدروع .

(٣) المفاريح : جمع مفراح ، الشديد الفرح ، والمجازيع : جمع مجزاع ، الشديد الحزن ، أى لا يفرحون لنصر ، ولا يحزنون لهزيمة ، لاعتيادهم القتال ولشجاعتهم ووثوقهم من الفوز أخيرا .

(٤) التهليل : الجبن والفرار .

(٥) كان لعبد المطلب ست بنات كلهنّ شواعر ، ومنهنّ عاتكة هذه ، وكانت أنبههنّ صيتا لقوة شعرها ونبل نجارها وهذه الأبيات تتصل بحوادث عكاظ .

(٦) وليكف من شر سماعه : مثل ، ويراد بالشر هنا الحرب أى أن الحديث عن الحرب وما تجره من أوزار وأهوال يكفى ويغنى عن مشاهدتها .

(٧) قيسا : مفعول به لسائل فى البيت قبله ، والشناع : القبيح ، أى سل قيسا ، وسل ما جمعوه لمقاتلتنا مما لا يزال قبح أثره باقيا .

(٨) السنور : الدرع ، الكبش : رئيس الجيش — المراد بالقناع بيض الحديد التى تلبس على الرأس .

بعكاظَ يُعْشِى النـاظِريـ … ـنَ ـ إذاهُمُ لَمَحُوا ـ شُعاعُه (١)

فيـــهِ قتلْنَا مالكــًا … قَسْـرًا، وأسْلَمَهُ رَعاعُه (٢)

ومُجَــدَّلًا غادرْنَــهُ … بالقــاعِ تنهشُه ضِبــاعُه (٣)

(٦) قالَ مالكُ بنُ الرَّيْبِ التَّمِيمى : (٤)

أَلَا لَيْتَ شِـعْرِى هل أبيتَنَّ ليـــلةً … بِجَنْبِ الغَضَى أُزجِى القِلَاصَ النَّواجِيا؟ (٥)

فليتَ الغَضَى لم يقطَعِ الرَّكبُ عَرْضَهُ … وليتَ الغَضَى ماشَى الرِّكابَ لَيالِيا (٦)

لقدْ كانَ فى أهلِ الغَضَى لوْ دنا الغضى … مَزارٌ، ولٰكنَّ الغَضَى ليس دانِيًا

أَلَمْ تَرَنِى بِعْتُ الضـــلالةَ بالهـدَى … وأصبحْتُ فى جيشِ ابنِ عفَّانَ غازِيًا

---

(١) بعكاظ : متعلق بكلمة مجمع فى البيت الثانى، يعشى الناظرين أى يضعف أبصارهم ، وشعاعه فاعل يعشى، والضمير فى شعاعه يعود على المجمع أى شعاع ما فيه من سيوف ودروع .

(٢) الضمير فى فيه يعود على المجمع أيضا ، والقسر : القهر، والرعاع : سفلة الناس ، تريد أن جند مالك كان مؤلفا من العبيد وأخلاط الناس لذلك أسلموه وخذلوه .

(٣) المجدل : المطروح على الجدالة ، وهى الأرض، والنون فى غادرنه للخيل المفهومة من السياق، والقاع : ما استوى من الأرض، والنهش : انتزاع اللحم بتقدم الأسنان .

(٤) مالك بن الريب شاعر فاتك لص نشأ فى بادية البصرة يقول الشعر الجيد الرقيق . ولقد اشتهر بقطع السبل حتى استتابه واصطحبه للغزو سعيد بن عثمان بن عفان والى خراسان من قبل معاوية . وهنا فقد مرض مالك بالطريق، فقال هذه القصيدة يذكر مرضه وغربته .

(٥) الغضى : واد بنجد وشجر يشبه الأثل . أزجى : أسوق . القلاص : جمع قلوص وهى الناقة الطويلة القوائم . النواجى : جمع ناجية وهى السريعة . ومعنى ليت شعرى الخ ليتنى أعرف جواب هذا الاستفهام .

(٦) ماشى الركاب : سايرها وسايرته أى سربا فيه .

***

تذكّرتُ من يبكي عليّ، فلم أجدْ ... سوى السيفِ والرمحِ الرُّدَيْنِيِّ باكيا(١)

وأشقرَ خِنذيذٍ يجُرُّ عِنانَه ... إلى الماءِ لم يترُكْ لهُ الدهرُ ساقيا(٢)

ولكنْ بأطرافِ السُّمَينةِ نِسوةٌ ... عزيزٌ عليهِنَّ العشيَّةَ مابيا(٣)

صريعٌ على أيدي الرِّجالِ بمُقفرةٍ ... يُسوُّونَ قبرِي حيثُ حُمَّ قضائيا(٤)

ولمّا تراءتْ عندَ مَروَ منيّتي ... وخَلَّ بها جسمِي وحانتْ وفاتِيا(٥)

أقولُ لأصحابي: ارفعُوني، لأنّني ... يَقَرُّ بعيني أنْ سُهيلٌ بدا لِيا(٦)

فيا صاحِبَيْ رَحْلِي دنا الموتُ! فانزلا ... برابيةٍ إنّي مُقيمٌ لياليا(٧)

أقيما عليّ اليومَ أو بعضَ ليلةٍ ... ولا تُعجِلاني قد تبيّنَ ما بِيا

وقوما إذا ما استُلَّ روحي فهيِّئا ... لِيَ السِّدْرَ والأكفانَ ثم ابكيا لِيا(٨)

وخُطّا بأطرافِ الأسنّةِ مضجعِي ... ورُدّا على عينيَّ فضلَ رِدائيا(٩)

---

(١) الردينى : منسوب الى ردينة وهى امرأة كانت تقوم الرماح ، أى لا أجد من يبكى علىّ فى دار الغربة سوى سيفى ورمحى ؛ لأنهما عماده .

(٢) وأشقر : أى وفرس أشقر . خنذيذ : طويل صلب .

(٣) السمينة : مكان فى طريق البصرة حيث نشأ الشاعر .

(٤) حم قضائى : أى قدر موتى .

(٥) مرو : مدينة بخراسان . خل : نقص وهزل . حانت : قربت .

(٦) ارفعونى لأرى سهيلا ، لأن الشاعر يمانى الأصل ، ومطلع سهيل من جهة اليمن . يقر بعينى : يسرنى .

(٧) الرابية : ما ارتفع من الأرض .

(٨) السدر : ورق النبق يستعمل فى تغسيل الميت .

(٩) فضل الرداء طرفه الزائد وخص الأسنة تكريما لنفسه وإشارة الى شجاعته .

ولا تَحْسُــــدَانِي بارك اللهُ فيــكُما — من الأرضِ ذاتِ العَرْضِ أن تُوسِعا ليا
خُذَانِي فجُــرَّانِي بِبُرْدِي إليـكُما — فقد كُنتُ قبــلَ اليومِ صَعْبًا قِياديا(١)
أقلِّبُ طَرْفِي فوقَ رَحْلِي فــلا أرَى — بِهِ مِن عُيُونِ المــانَسات مُراعِيَا(٢)
وبِالرَّمْــلِ مِنَّا نِســوةٌ لو شَهِدْنَنِي — بَكَيْنَ ، وفَــدَّيْنَ الطبيبَ المُدَاوِيَا(٣)
فمِنهُنَّ أمٌّ وابنتَاهـا وخَالَتِي — وباكيةٌ أخرى تَهِيــجُ البواكيا(٤)
وما كانَ عهــدُ الرملِ منِّي وأهـلِه — ذميمًا ولا بِالرَّمــلِ ودَّعتُ قَالِيـا(٥)

(٧) قالت الخنساء ترثى صخرا : (٦)

أعَيْنَيَّ جُــودَا ولا تَجْمُــدَا — ألَا تَبْكِيَانِ لِصــخْرِ النــدَى (٧)
ألا تبكِيَانِ الجَــريءَ الجميــعَ — ألا تبكِيَانِ الفَــتَى السيِّدا (٨)
رفيــعُ العِمَادِ طَـويلُ النِّجا — دِ ، سَاد عشــيرَتَه أمْرَدَا (٩)

(١) البرد فى الأصل ثوب مخطط : يشير الى هوانه الحالى .

(٢) المـانسات : جمع مانسة المرأة تتبختر فى مشيها .

(٣) الرمل موضع بعينه — فدين الطبيب أى قلن له : نحن فداؤك لو شفيته .

(٤) باكية أخرى يريد زوجه .

(٥) القالى : المبغض الكاره .

(٦) هى السيدة تماضر بنت عمرو بن الشريد السلمية نشأت فى بيت مجد وسيادة تقول المقطوعات من الشعر فلما قتــل أخواها صخر ومعاوية جزعت عليهما ونبغت فى الرثاء لذلك . وقد توفيت بالبادية فى خلافة معاوية قبل سنة ٤٦ ﻫ .

(٧) جمدت العين : بخلت بالمـاء لشدّة الحزن ، والندى : السخاء وفى إضافة صخر الى الندى معنى بديع أى أنه ملك الندى يأمره فيطيع .

(٨) الجميع : المجتمع القلب عند الشدّة والهول .

(٩) تصفه أوّلا بالشرف وعلو المكانة ، ثم الشجاعة ، ثم بسبقه الى المجد صغيرا .

إذا بسَط القومُ عندَ النِّضالِ أكفَّهمُ يبتغِى المَحْمَدَا (١)
وكانَ ابتدارُهمُ للعَلا ءِ — سار فمدَّ إليهِ يدا (٢)
فنالَ التى فوْق أيديهِمِ من المجدِ ثم انتمَى مُصْعِدا (٣)
ويحمِلُ للقومِ ما عَالَهمْ وإنْ كانَ أصغرَهم مَوْلِدا (٤)
جَمُوعُ الضُّيوف إلى بيتِه يرى أفضلَ الكسبِ أن يُحْمَدَا

(٨) وقال حسَّانُ بن ثابت يوم فتح مكة : (٥)

عَفَتْ ذاتُ الأصابِع فالجِواءُ إلى عَذْراءَ مَنزِلُها خَلاءُ (٦)
دِيارٌ مِنْ بَنى الحَسْحاسِ قَفْرٌ تُعَفِّيها الروامِسُ والسماءُ (٧)
وكانتْ لا يزالُ بها أنيسٌ خِلالَ مُرُوجِها نَعَمٌ وشاءُ (٨)
فدعْ هذَا ؛ ولكِن مَنْ لِطَيْفٍ يُؤرِّقنى إذا ذَهبَ العِشاءُ؟ (٩)

---

(١) النضال : التفاخر، والمحمد : الحمد . (المعنى) اذا تسابق الناس عند التفاخر لاكتساب الحمد الخ .

(٢) الابتدار : الإسراع والتسابق . والعلاء : الرفعة والمجد . (المعنى) اذا كان اسراعهم لنيل المجد دار فتناوله .

(٣) أى فنال المجد الذى لم تصل اليه أيديهم ؛ لأنه فوقها ، ثم انتمى أى أبعد مرتفعا . ويروى ثم مضى مصعدا

(٤) ما عالهم : أى ما غلبهم وشق عليهم وأهمهم من عظائم الأمور .

(٥) هو أبو الوليد حسان بن ثابت الأنصارى نشأ جاهليا ، ثم أسلم ، وصار شاعر الرسول . وكانت وفاته سنة ٥٤ هـ . ويتناول شعره المدح والهجاء والفخر فى أسلوب جاهلى جزل و إسلامى سلس مألوف .

(٦) ذات الأصابع والجواء وعذراء مواضع بالشام .

(٧) الروامس : الرياح التى تدفن الآثار، والمراد بالسماء الأمطار .

(٨) النعم : الإبل والشاء ، أو خاص بالإبل .

(٩) العشاء من المغرب الى العتمة ، والمعنى دع الحديث فى الأطلال ، وأرشدنى الى من يدفع عنى طيف الخيال الذى يؤرقنى اذا اشتد ظلام الليل .

* * *

عدِمْنا خيلَنا إن لم تَرَوْها ... تُثيرُ النَّقعَ موعِدُها كَدَاء (١)
يُبارينَ الأسِنّةَ مُصْغِياتٍ ... على أكتافِها الأَسَلُ الظِّماء (٢)
تَظَلُّ جيادُنا مُتَمَطِّراتٍ ... تُلَطِّمُهُنَّ بالخُمُرِ النساء (٣)
فإمّا تُعْرِضوا عنا اعتمَرْنا ... وكان الفتحُ وانكشف الغِطاء (٤)
وإلّا فاصبِروا لجِلادِ يومٍ ... يُعِزُّ اللهُ فيه مَنْ يَشاء
وقال اللهُ : قد يسّرتُ جُنْدًا ... هم الأنصارُ عُرْضَتُها اللقاء (٥)
لنا في كل يومٍ مِن مَعَدٍّ ... قِتالٌ أو سِبابٌ أو هِجاء
فنَحكُمُ بالقوافي مَن هَجانا ... ونَضرِبُ حين تختلطُ الدماء (٦)

---

(١) كداء : ثنية بالقرب من مكة ، وجملة عدمنا : دعائية .

(٢) المباراة : المسابقة . والأسنة : جمع سنان ، وهو حديد الرمح ، والأسل : الرماح ، أى أن الخيل تسابق الأسنة التى يضعها الفرسان حذاء عنقها ظنا منها أن الأسنة تجرى معها شوطا ، ومصغيات : حال من الأسنة أى مائلات للطعن ، وظمأ الرماح : شدة شغفها بالدم والقتال .

(٣) تمطرت الخيل : جاءت يسبق بعضها بعضا ، ولطمه : ضربه ، والخمر : جمع خمار ، وهو الثوب تغطى به المرأة رأسها . أى أن النساء يمسحن بخمرهن على الخيل لما أصابها من الجهد . ولما غشيها من عرق وغبار .

(٤) فإما : أصلها إن ما ، وهى إن الشرطية المدغمة فى ما الزائدة ، واعتمرنا : أدينا العمرة وهى زيارة البيت الحرام ، أى إن أعرضتم عنا تركنا الحرب وزرنا البيت وتم فتح مكة بلا قتال .

(٥) عرضتها : أى همتها وقوتها ، أى أن الأنصار قوتها فى اللقاء والقتال

(٦) حكم الفرس : جعل للجامه حكمة ، فأخضعه ، أى نخضع بشعرنا من هجانا ، ونقاتل بشجاعة حينما تختلط دماؤنا بدماء أعدائنا ، فنحن أقوياء اللسان والقلب .

وقال اللهُ : قــد أرسلتُ عبدًا لحـقِّ القَول إن نفع البَــلاء (١)
شهِدتُ به ، وقومى صدَّقوه، فقُلتم : ما نُجيب ، وما نشــاء
وجبريلٌ أمينُ اللهِ فينـا ، وروحُ القُدْسِ ليس له كِفاء (٢)
أَلَا أبلغ أبا سُفيانَ عنِّى فأنت مُجَــوَّفٌ نَخْبٌ هَــواء (٣)
بأن ســيوفَنا تركتك عبــدًا وعبــدُ الدارِ سادتُها الإماء
هجوتَ محمــدا ، فأجبتُ عنه وعنــد اللهِ فى ذاك الجــزاء
أتهجوهُ ، ولستَ له بكفء، فشرُّكما لخــيرِكما الفِــداء
فمن يهجو رســولَ اللهِ منكم ويمــدَحُه وينصُره سَــواء
فإنَّ أبى ووالدَه وعِرضى لعِــرْضِ محمــدٍ منكم وِقاء

(٩) قال الحُطَيئة : (٤)

وَطَاوِى ثلاثٍ عَاصِبِ البَطْنِ مُرْمِلٍ ببَيْداءَ لم يَعرِفْ بهَـا سَاكِنٌ رَسْمَـا (٥)
أَخى جَفْوةٍ فيــهِ مِنَ الإنس وَحشةٌ يَرَى البُؤسَ فيها من شَراسَتِهِ نُعْمَى (٦)

(١) البلاء : الاختبار مصدر بلاه يبلوه .

(٢) الكفاء : أى المكافئ أى المساوى .

(٣) المجوّف : من لا قلب له ، والنخب : الجبان ، والهواء : الفارغ .

(٤) أبو مليكة جرول الحطيئة العبسى ، نشأ معلول النسب قبيح الصورة ناقما على الناس هجاء . وهو جيد الشعر مستوى الأسلوب يعدّ سيد المخضرمين فى الناحية الفنية وغلب عليه المدح والهجاء حتى مات سنة ٥٩ هـ .

(٥) الطاوى : الجائع . ثلاث أى ليال ثلاث . عاصب البطن : معصوبه من شدّة الجوع . مرمل : فاقد الزاد فقير . بيداء : فلاة . الرسم : العلامة وما كان لاحقا بالأرض من آثار الديار — يذكر رجلا بائسا فى مفازة مقفرة .

(٦) الشراسة : سوء الخلق والحال — يقول : إن سوء الحال بلغ به أن يعدّ البؤس نعمة .

وأفــردَ فى شِعْب عجــوزًا إزاءَها ... ثلاثةُ أشــباحٍ تخالُهُمُ بَهْمـا[١]
حُفاةً عراةً ما اغتــذَوْا خبزَ مَـلَّةٍ ... ولا عَرَفُوا للبُرِّ مُـذ خُلِقُوا طَعْما[٢]
رأى شَبَحًا وَسْطَ الظَّلامِ فَراعَه ... فلمّـا رأى ضَـيفًا تَشَـمَّرَ واهتَمّا[٣]
فقالَ: هيا ربّاه ! ضيفٌ ولا قِرًى ! ... بحقِّكَ ، لا تحـرِمْه تا الليــلَةَ اللحما[٤]
فقال ابنُــه لمّـا رآه بحَــيْرةٍ ... أيا أبتِ اذبَحْــني! ويسِّرْ لهم طَعْما
ولا تَعتذر بالعُــدمِ علَّ الذى طــرا ... يَظُــنُّ لنــا مالًا فيُوسِــعَنا ذَمّا
فَرَوّى قليــلًا ، ثم أحجَم بُرهَــةً ، ... وإن هُوَ لم يَذبَحْ فتــاهُ فقد هَمّا
فبينا هُمـا عَنَّتْ عَلى البُعــدِ عَانَةٌ ... قد انتَظمت من خَلفِ مِسْحَلِها نَظْما[٥]
عِطاشًا تُريدُ المـاءَ فانسابَ نَحــوَها ... عَلى أنَّهُ مِنهـا إلى دَمِهـا أظما
فأمهَلَهـا حتى تروَّتْ عِطاشُهـا ... فأرســلَ فيها من كِنانَتِــه سَهْمًا[٦]
فخَرَّتْ نَحوصٌ ذاتُ جَحشٍ سَمِينَةٌ ... قد اكتنزتْ لحمًـا وقد طُبِّقَتْ شَحما[٧]
فَيا بِشْرَهُ إذ جَرَّها نَحــوَ قَومِــه ... ويا بِشرَهُم لمـا رأوا كَلْمَهـا يَدْمَى[٨]

---

(١) الأشباح : جمع شبح وهى الشخص . البهم : جمع بهمة أولاد البقر والمعز والضأن .

(٢) الملة : رماد التنور الحار وخبزها ما يخبز فيها ، يصف بؤس أهل هذا البيت .

(٣) راعه : أفزعه .

(٤) هيا حرف نداء . القرى : ما يقدّم للضيف من طعام ونحوه تا الليلة : أى هذه الليلة .

(٥) عنت : ظهرت واعترضت . والعانة : القطيع من حمر الوحش . المسحل : حمار الوحش يقود القطيع أثناء السير الى الماء أو غيره .

(٦) تروت : رويت بمعنى شربت .

(٧) خرت : سقطت صريعة . نحوص : سمينة . اكتنزت : امتلأت . طبقت : تفشت وعمها الشحم .

(٨) الكلم : الجرح — والبيت للتعجب من سرورهم .

وباتوا كِرامًا قد قَضوا حقَّ ضَيْفِهِمْ … وما غَرِمُوا غُرْمًا، وقد غَنِموا غُنْمًا

وباتَ أبُوهُمْ مِنْ بَشاشَتِهِ أباً … لِضيفِهِمُ والأُمُّ مِن بِشْرِها أُمّا

ومن كلامه يمدح بَغيض بن عامر وقومه :

يَسُوسُونَ أحلامًا بعيدًا أناتُها … وإن غَضِبُوا جاءَ الحَفِيظةُ والجِدُّ[1]

أولئكَ قومٌ إنْ بَنَوْا أحسَنُوا البُنَى … وإنْ عاهدوا أوفَوْا، وإنْ عَقَدُوا شَدُّوا[2]

وإن كانَت النُّعمى عليهمْ جَزَوْا بها … وإن أنعَموا لا كَدَّرُوها، ولا كَدُّوا[3]

وإن قالَ مَوْلاهُم على جُلِّ حادِثٍ … من الدَّهرِ: رُدُّوا بعضَ أحلامِكُمْ رَدُّوا[4]

مَطاعِينُ في الهَيجا مكاشِيفُ لِلدُّجَى … بَنَى لهمُ آباؤُهُمْ وبَنَى الجَدُّ[5]

---

(١) الأحلام : جمع حلم : هو العقل . الأناة : التأنى . الحفيظة : الغضب للشرف . الجد : الاجتهاد والسرعة . (المعنى) أنهم يحكمون الناس بأحلام سديدة الرأى فى وقت الرضا ، وأما اذا غضبوا فهم أهل حفيظة وفزع .

(٢) البنى : جمع بنية . ما يبنون من مجد . عقدوا العزيمة : أوثقوها ، أى وإن عزموا على الحرب حملوا .

(٣) كدروا النعمة : أى أفسدوها بالمن وكدوا من أعطوه بطلب الجزاء على النعمة .

(٤) المولى : ابن العم أو الجار أو الحليف . على جل حادث : أى عند الخطب العظيم اذا استشارهم أحد . ردوا ... الخ : أى أمدوه بالرأى السديد .

(٥) مطاعين : جمع مطعان كثير الطعن . ومكاشيف : جمع مكشاف كثير الكشف . الدجى : ظلمة الليل أى الخطوب المدلهمة ، فهم كرام حكماء شجعان منذ القدم .

(١٠) قال الأخطلُ يمدحُ عبد الملك بنَ مروانَ ويهجُو قيسًا وبنى كُليب من قصيدة أولها : [١]

خَفَّ القَطِينُ فراحُوا مِنكَ أو بَكَرُوا ... وأزعَجَتْهُـــمْ نَوًى فى صَرفِها غِـــيَرُ[٢]

* * *

فِى نَبْعَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ يَعْصِبُونَ بِهَا ... مَا إنْ يُوَازَى بِأَعْلَى نَبْتِهَا الشَّـجَرُ[٣]

حُشْدٌ عَلَى الحَقِّ، عَنْ قَوْلِ الخَنَا خُرُسٌ ... وَإِنْ أَلَمَّتْ بِهِمْ مَكْرُوهَةٌ صَـــبَرُوا[٤]

فإنْ تَدَجَّتْ عَلَى الآفَاقِ مُظْلِمَـةٌ ... كَانَ لَهُمْ مَخْرَجٌ مِنْهَـا ومُعْتَصَرُ[٥]

أَعْطَاهُمُ اللهُ جَـــدًّا يُنْصَرُونَ بِهِ ... لَا جَـدَّ إلا صَـــغِيرٌ بعدُ مُحْتَقَـــرُ[٦]

لَمْ يَأْشَرُوا فِيـهِ، إذْ كَانُوا مَوَالِيَـهُ ... وَلَوْ يَكُونُ لِقَوْمٍ غَيْرِهِـمْ أَشِرُوا[٧]

شُمْسُ العَـدَاوَةِ حَتَّى يُسْـتَقَادَ لَهُمْ، ... وَأَعْظَمُ النَّـاسِ أَحْلَامًا إذا قَـدَرُوا[٨]

---

(١) هو أبو مالك غياث الأخطل التغلبى . نشأ فى قومه تغلب بأرض الجزيرة ينتصر لهم على مضر عامة وقيس خاصة . ولما كان متصلا بالخلفاء وبحروب قومه مع قيس صار يجيد مدح الملوك ووصف المعارك ، وكذا الخمر لمعاقرته إياها . وكانت وفاته أول خلافة الوليد .

(٢) خف : أسرع . القطين : القطان ، أى السكان والمعاشرون . راح : ذهب فى الرواح من العشى بعد بكر . أزعجتهم : أقلقتهم — نوى فى صرفها ونوائبها غير وأحداث .

(٣) النبعة هنا : الأصل يعصبون بها : يلزمونها . والحديث عن عبد الملك وقومه .

(٤) حشد : مجتمعون . الخنا : الفحش . ألمت : نزلت . مكروهة : نازلة .

(٥) تدجت : أظلمت . معتصر : ملجأ ، أى يستطيعون الخلاص من الأزمات .

(٦) الجد : البخت .

(٧) يأشروا : يبطروا ويطغوا . مواليه : أولياءه .

(٨) شمس : جمع شموس أى عسر شديد على عدوه — يستقاد لهم أى يذل ويخضع لهم العدو . الأحلام : جمع حلم وهو الصبر والأناة . قدروا تمكنوا من العدو . والمعنى : أنهم يعفون إذا انتصروا .

لَا يَسْتَقِلُّ ذَوُو الأَضْغَانِ حَرْبَهُمُ ... وَلَا يُبَيِّنُ فِى عِيدَانِهِمْ خَوَرُ(١)
هُمُ الَّذِينَ يُبَارُونَ الرِّيَاحَ إِذَا ... قَلَّ الطَّعَامُ عَلَى العَافِينَ أَوْ قَتَرُوا(٢)
بَنِى أُمَيَّةَ نُعْمَاكُمْ مُجَلِّلَةٌ ... تَمَّتْ، فَلَا مِنَّةٌ فِيهَا وَلَا كَدَرُ(٣)
بَنِى أُمَيَّةَ إِنِّى نَاصِحٌ لَكُمُ ... فَلَا يَبِيتَنَّ فِيكُمْ آمِنًا زُفَرُ(٤)
وَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا، إِنَّ شَاهِدَهُ ... وَمَا تَغَيَّبَ مِنْ أَخْلَاقِهِمْ دَعَرُ(٥)
إِنَّ الضَّغِينَةَ تَلْقَاهَا، وَإِنْ قَدُمَتْ ... كَالعُرِّ يَكْمُنُ حِينًا ثُمَّ يَنْتَشِرُ(٦)
بَنِى أُمَيَّةَ قَدْ نَاضَلْتُ دُونَكُمُ ... أَبْنَاءَ قَوْمٍ هُمُ آوَوْا، وَهُمْ نَصَرُوا(٧)
حَتَّى أَقَرُّوا، وَهُمْ مِنِّى عَلَى مَضَضٍ، ... وَالقَوْلُ يَنْفُذُ مَا لَا تَنْفُذُ الإِبَرُ(٨)

(١) يستقل : يحتمل . الأضغان : جمع ضغن ، أى حقد — فى عيدانهم أى فى أنفسهم — خور ضعف .

(٢) يبارون الرياح : يسابقونها فى الإسراع الى الكرم . العافون : الذين يطلبون القوت. قتروا : افتقروا ؛ فضيقوا على نفوسهم فى النفقة . يقول : إنهم يسرعون الى الكرم وقت الإمحال .

(٣) نعماكم : عطاياكم للناس . مجللة : عامة . المنة على الناس : ذكر المعروف الذى أسدى اليهم .

(٤) زفر بن الحارث بن كلاب الكلابى ، وكان زعيم قيس على تغلب وعلى أمية .

(٥) شاهده : ظاهره . دعر : فساد ، أى لا تغتروا بصلحه .

(٦) العر : الجرب . يقول : إن الجرب وإن كمن فى الجسم لا بد أن يظهر ، فكذلك العداوة ، وإن بعد عهدها .

(٧) ناضلت دونكم : دافعت عنكم الأنصار الذين آووا الرسول بعد الهجرة ونصروه . والأخطل هو الذى هجا الأنصار لما دعاه الى ذلك يزيد بن معاوية . واليه ينسب البيت المشهور :

ذهبت قريش بالمكارم والعلا ... واللؤم تحت عمائم الأنصار

(٨) أقروا : سكنوا . مضض : وجع . نفذ القول : مضى وجرى ، يشبه الكلام بالإبر فى النفاذ والأثر .

أَفْحَمْتُ عَنْكُمْ بَنِي النَّجَّارِ قَدْ عَلِمَتْ ... عُلْيَا مَعَدٍّ، وَكَانُوا طَالَمَا هَدَرُوا (١)

وَقَيْسَ عَيْلَانَ حَتَّى أَقْبَلُوا رَقَصًا ... فَبَايَعُوكَ جِهَارًا بَعْدَ مَا كَفَرُوا (٢)

ضَجُّوا مِنَ الْحَرْبِ إِذْ عَضَّتْ غَوَارِبَهُمْ ... وَقَيْسُ عَيْلَانَ مِنْ أَخْلَاقِهَا الضَّجَرُ (٣)

فَلَا هَدَى اللهُ قَيْسًا مِنْ ضَلَالَتِهَا ... وَلَا لَعًا لِبَنِي ذَكْوَانَ إِذْ عَثَرُوا (٤)

مَا إِنْ سَعَى مِنْهُمُ سَاعٍ لِيُدْرِكَنَا ... إِلَّا تَقَاصَرَ عَنَّا وَهْوَ مُنْبَهِرُ (٥)

وَلَمْ يَزَلْ بِسُلَيْمٍ أَمْرُ جَاهِلِهَا ... حَتَّى تَعَايَا بِهَا الْإِيرَادُ وَالصَّدَرُ (٦)

حَتَّى أَصَابَ سُلَيْمًا مِنْ عَدَاوَتِنَا ... إِحْدَى الدَّوَاهِي الَّتِي تُخْشَى وَتُنْتَظَرُ

كَانُوا ذَوِي إِمَّةٍ حَتَّى إِذَا عَلِقَتْ ... بِهِمْ حَبَائِلُ لِلشَّيْطَانِ وَابْتَهَرُوا (٧)

صُكُّوا عَلَى شَارِفٍ صَعْبٍ مَرَاكِبُهَا ... حَصَّاءَ لَيْسَ لَهَا هُلْبٌ وَلَا وَبَرُ (٨)

---

(١) أفحمت : أسكت . بنو النجار : أخوال الرسول من الأنصار، منهم أم عبد المطلب . معد : جد النزارية . هدروا : افتخروا عليكم وهجوكم، يقال هدر البعير إذا ردد صوته في حنجرته .

(٢) قيس عيلان كانت مع ابن الزبير لما خرج على الأمويين بعد معاوية وقتل في عهد عبد الملك . رقصا مسرعين . كفروا خرجوا عليك .

(٣) غوارب : جمع غارب، وهو للبعير ما بين السنام والعنق (المعنى) أن الحرب آلمتهم .

(٤) لا لعا لهم : لا أقالهم الله . يقال للعاثر دعاء عليه . ويقال لعا له أي أقال الله عثرته دعاء له . بنو ذكوان : قبيلة من سليم رهط عمير بن الحباب والجحاف السلميين ، وكانا قد خرجا على بني أمية ، وحاربا تغلب قبيلة الأخطل .

(٥) تقاصر : قصر وتأخر . انبهر الرجل : انقطع نفسه من الإعياء .

(٦) سليم قبيلة عمير بن الحباب وهو المقصود هنا بقوله « جاهلها » . تعايا بها : أعجزها . الإيراد : من ورود الماء والصدر عن الماء — يعني أعجزها تدبير الامور .

(٧) الإمة : النعمة — علقت بهم الخ : ضلوا . ابتهروا : قذفوا بالعيب ليس فيهم .

(٨) صكوا على شارف ، أي حملوا على خطة . الناقة الشارف : الكبيرة المسنة . حصاء : لا وبر لها . الهلب : شعر الذنب .

فَأَصبحتْ مِنهُـمُ سِـنجارُ خالِيَـةً   والمُحَلِّيـاتُ فالخَـابُورُ فالسُّـرَرُ(١)

كَرُّوا إلى حَرَّتَيهِـمْ يَعمُرُونَهُمَا   كمَا تَكُرُّ إلى أوطَانِهَـا البَقَـرُ(٢)

فَالتَفَتُوا وَهُـمْ يَجْنُونَ حَنظَلَهُـمْ   إلى الفُرات . فقُلْنَا : بُعدَ مَا نَظَرُوا(٣)

وَلا يُلاقُونَ فَرَّاصًا إلى نَسَب   حَتَّى يُلاقِيَ جَدْيَ الفَرْقَدِ القَمَـرُ(٤)

ولا الضِّبابَ إذا اخضَرَّتْ عُيونُهمُ   وَلَا عُصَـيَّةَ إلّا أنَّهُـمْ بَشَـرُ(٥)

أمَّا كُلَيبُ بنُ يَرْبُوعٍ فَلَيسَ لَهُـمْ   عِنْـدَ التَفَارُطِ إيرادٌ ولا صَـدَرُ(٦)

وقَـد نُصِرتَ أميرَ المؤمنينَ بِنَـا   لمـا أَتاكَ بِبَطْنِ الغُوطَةِ الخَـبَرُ(٧)

يُعرِّفُونَكَ رأسَ ابنِ الحُبَاب، وقَـدْ   أَضحَى وللسيفِ فى خَيْشُومِهِ أَثَرُ(٨)

---

(١) سنجار : قصبة كورة الفرج من تل أعفر . المحلبيات : بلدة صغيرة بين الموصل وسنجار . الخابور : اسم نهر وواد . السرر : أرض بالجزيرة كسائر المواضع المذكورة .

(٢) الحرة : موضع فيه حجارة سوداء نخرة كأنما أحرقتها النار وحرتهم بعالية نجد . كروا : رجعوا .

(٣) الحنظل : نبت مر . يقول : طمعوا فينا ، و يابعد ما نظروا . وكانت تغلب قبيلة الأخطل تقيم بالجزيرة فى حوض الفرات .

(٤) فراص بن معن بن سعد بن قيس من باهلة و بنو فراص ينتسبون الى تغلب — جدى الفرقد نجم الى جنب القطب يدور مع بنات نعش تعرف به القبلة ، ولا يلتق مع القمر . يقول إنهم قصروا عن نسب هؤلاء ، ولا يشبهونهم إلا فى أنهم بشر .

(٥) الضباب من قيس عيلان : عصية بطن من سليم ، اخضرت : اسودت .

(٦) كليب بن يربوع : رهط جرير . التفارط : التقدم فى طلب الماء . (المعنى) ليس لهم عزيمة فى السبق الى المحامد .

(٧) الغوطة : الكورة التى منها دمشق وهى احدى منازه الدنيا الأربع : الصغد والأبلة وشعب بوان والغوطة . وكانت دمشق عاصمة بنى أمية — وكان رهط الأخطل مع الخليفة فى الحروب الداخلية .

(٨) ابن الحباب هو عمير بن الحباب السلمى ، وقد قتل وحمل رأسه إلى قبائل غسان ، وكان يزيد [illegible] . الخيشوم : أقصى الأنف .

لَا يَسمعُ الصوْتَ مُسْتَكّا مَسَامِعُه   وليسَ يَنْطِقُ حَتَّى يَنطِقَ الحَجَرُ(١)
أمْسَتْ إلى جَانِبِ الحَشَّاكِ جِيفَتُهُ   ورأسُــه دُونَه اليَحْمُومُ والصُّــوَرُ(٢)
يَسْأَلُهُ الصُّــبْرُ مِنْ غَسَّانَ إذْ حَضَرُوا   والحَزْنُ : كَيفَ قَرَاكَ الغِلْمَةُ الجَشَرُ؟(٣)
وَقَــدْ تَفَاقَــمَ أمرٌ غَيرُ مُلْتَئِمٍ   مَا بينَنَا فِيـهِ أرْحَامٌ ولا عِـذَرُ(٤)

(١١) قال الفرزدق يهجو جريرا وهذه إحدى النقائض :(٥)

إنَّ الذي سَمَكَ السماءَ بنَى لنا   بيْتًا دَعائِمُــه أعزُّ وأطــولُ(٦)
بَيْتًا بنَاهُ لنَا المليكُ ، وما بَنَى   حَكَمُ السماءِ فإنَّه لا يُنْقَــلُ(٧)

---

(١) مستكا مسامعه أصم لا يسمع .

(٢) الحشاك واد بأرض الجزيرة كانت فيه وقعة لتغلب على قيس . اليحموم . موضع الشام الصور : قرية على شاطئ الخابور .

(٣) الصبير : بطن من غسان ، وكذلك الحزن . قراك : قتلك . الغلمة : الغلمان جمع غلام . الجشر : جمع جاشر . الرجل يخرج فى إبله الى المرعى و يبيت مكانه لا يعود إلى البيت . وكان عمير يقول إنما بنو تغلب جشر لى آخذ منهم ما شئت . فلما مروا برأسه على هذه القبائل قالوا كيف رأيت قرى غلمتك الجشر ، ساخرين به .

(٤) تفاقم الخ ... زاد الفساد والعدوان . أرحام : جمع رحم أى قرابة . عذر : جمع عذرة بمعنى معذرة ، أى فسد ما بيننا ، فلا تصلحه القرابة أو الأعذار .

(٥) أبو فراس همام بن غالب التميمى الدارمى المعروف بالفرزدق أحد فحول الشعراء الإسلاميين نشأ بين البصرة والبادية يروى الشعر و يعالجه حتى نبغ فيه ، واتصل بولاة العراق يمدحهم و يهجوهم ، و يرحل الى دمشق ، فيمدح الخلفاء ، و ينال الجوائز وقد قضت العوامل السياسية والاجتماعية أن يشتبك مع جرير فى التهاجى والانساب حتى أفحشا وشغلا الناس بنقائضهما ومات سنة ١١٤ هـ .

(٦) سمك : رفع . الدعائم : جمع دعامة وهى عمود البيت . أعز : أقوى .

(٧) المليك : الله جل جلاله — حكم السماء أى القوى المقتدر — لا ينقل لا يزول ، و يريد بيت شرف وعز .

بَيْتًا زُرَارَةُ مُحْتَبٍ بِفِنَائِهِ   وَمُجَاشِعٌ وأَبُو الفَوارِسِ نَهْشَلُ (١)
يَلِجُونَ بَيْتَ مُجَاشِعٍ، وإذَا احْتَبَوْا   بَرَزُوا كأنَّهمُ الجِبَالُ المُثَّلُ (٢)
لا يَحْتَبِي بِفِنَاءِ بيتِكَ مِثْلُهُمْ   أبدًا إذا عُدَّ الفَعَالُ الأفضلُ (٣)
مِنْ عِزِّهِمْ جَحَرتْ كُلَيْبُ بيتَها   زَرْبًا كأنَّهمُ لَدَيْهِ القُمَّلُ (٤)
ضَرَبَتْ عليكَ العنكبوتُ بنَسْجِها،   وقَضَى عليكَ بهِ الكِتَابُ المُنْزَلُ (٥)
أينَ الذينَ بِهِمْ تُسامِي دَارِمًا   أَمْ مَنْ إلَى سَلَفَيْ طُهَيَّةَ تَجْعَلُ ؟ (٦)
يَمْشُونَ فى حَلَقِ الحَدِيدِ كما مَشَتْ   جُرْبُ الجِمالِ بِهَا الكُحَيْلُ المُشْعَلُ (٧)
والمانِعُونَ إذَا النِّسَاءُ تَرادَفَتْ   حَذَرَ السِّبَاءِ جِمَالُهَا لا تُرْحَلُ (٨)

---

(١) زرارة ومجاشع ونهشل : أولاد دارم جد عشيرة الفرزدق يفخر بهم على جرير .

(٢) يلجون : يدخلون . احتبوا : اشتملوا بالثوب . المثل الراسيات : جمع ماثل .

(٣) فناء البيت : المساحة أمامه . الفعال بفتح الفاء : الفعل الحسن والخطاب لجرير، أى ليس لك رجال أشراف كهؤلاء المعدودين تفاخرنى بهم .

(٤) كليب : قوم جرير . جحرت : دخلت زربا كأنه الجحر . الزرب : حظيرة تتخذ لحبس الجداء . القمل : جمع قملة، كالجرادة وأقل منها .

(٥) يعنى أن بيت جرير فى الوهن والذل كبيت العنكبوت . والشطر الثانى إشارة الى الآية الكريمة " وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت " .

(٦) تسامى : تفاخر . طهية : أم جماعة من قوم الفرزدق يفخر بهم على جرير . تجعل هنا : معناها تقرن بهم وتباهى .

(٧) الحلق : جمع حلقة وهى الدرع . جرب الجمال : أى الجمال المصابة بداء الجرب . الكحيل : القطران . المشعل : الكثير . شبه الرجال فى عشيهم ولون الحديد عليهم بالجمال المهنوءة بالقطران .

(٨) ترادفت : ركب بعضهن خلف بعض، السباء : الأسر فى الغارات، لا ترحل : لا توضع عليها الرحال للعجلة . يقول : إن قومى يمنعون حريمهم اذا كانت الغارات وفزعت [illegible]

يَحمِى إذا اخترِطَ السيوفُ نساءَنا ... ضَرْبٌ تَخِرُّ له السواعِدُ أَرْعَلُ (١)

ومُعَصَّبٌ بالتاجِ يَخفِقُ فوقَهُ ... خِرَقُ الملوكِ له خَميسٌ جَحْفَلُ (٢)

مَلِكٌ تَسوقُ له الرماحَ أكفُّنا ... منه تَعَلُّ صُدورُهنَّ وتُنْهَلُ (٣)

قَدْ مَاتَ في أَسَلاتِنا أو عَضَّهُ ... عَضْبٌ بَرونَقِهِ الملوكُ تُقَتَّلُ (٤)

ولَنا قُرَاسِيَةٌ تَظَلُّ خَواضِعًا ... منه مَخافَةَ القُرومُ البُزَّلُ (٥)

مُتَخَمِّطٌ قَطِمٌ لَهُ عَادِيَّةٌ ... فِيهَا العَوَاقِدُ والسِّمَاكُ الأعزَلُ (٦)

ضَخْمُ المَناكِبِ تَحتَ شَجْرِ شُئُونِهِ ... نَابٌ إذا ضَغَمَ الفُحُولَةَ مِقْصَلُ (٧)

وإذا دَعَوْتُ بَنِى فُقَيْمٍ جاءَنِى ... مَجْرٌ لَهُ العَدَدُ الذى لا يُعْدَلُ (٨)

---

(١) اخترط : سل . تخر : تسقط . أرعل : مسترخ مائل وهو صفة لضرب . وإنما يريد أنه يميل ما قطع فيسترخى .

(٢) معصب : متوج والواو : واو رب . وما بعدها : مبتدأ ، وقد مات : خبره — يعنى حسان وقابوس ابنى المنذر . خرق الملوك : الرايات . الخميس : الجيش الضخم . الجحفل : الكثير الخيل .

(٣) منه : أى من الملك — تعل وتنهل من الدم ، والإنهال . الطعن الأول ، والعلل : الطعن الثانى .

(٤) الأسلات : الرماح ، المفرد أسلة . العضب : السيف القاطع . رونقه : فرنده وجوهره .

(٥) القراسية : الضخم الغليظ من الإبل . يقول : لنا عز قديم شبيه بالفحل وهو القراسية . القروم : جمع قرم ، وهو السيد أو الفحل الكريم . البزل : جمع بازل ، وهو الذى نبت نابه .

(٦) متخمط : متغضب فى كبر . قطم : هائج . عادية أولية قديمة ، وأصل المرقد نجم يهتدى به والسماك الأعزل يكون فى نوء المطر ، أى لنا عز وشرف عال كمكان النجوم التى لا تنال ، بعضنا يقتدى به والبعض كريم يستق منه .

(٧) الشجر : مجتمع اللحيين . الشئون : ملتقى قبائل الرأس ، الواحد شأن . ضغم : عض . مقصل : قاطع .

(٨) فقيم من دارم : عشيرة الشاعر . المجر : الجيش الكثير العدد — لا يعدل : ليس له عدل من غيره أى نظير .

وَإذا الرَّبائعُ جاءَنى دُفَّاعُها مَوْجًا كأنَّهُمُ الجرادُ المُرسَلُ (١)
هَذا وفى عَدَوِيَّتِى جُرثومةٌ صَعْبٌ مَناكِبُها نِيافٌ عَيْطَلُ (٢)
وإذا البَراجِمُ بالقُرومِ تَخاطَروا حَوْلى بأغلبَ عِزُّهُ لا يُنزَلُ (٣)
واذا بَذَخْتُ ورايَتِى يَمشِى بِها سُفْيانُ أو عُدَسُ الفَعالِ وجَنْدَلُ (٤)
الأكثَرونَ إذا يُعَدُّ حَصاهُمُ والأكرَمونَ إذا يُعَدُّ الأوَّلُ (٥)
وزَحَلْتَ عن عَتَبِ الطريقِ ولم تجِدْ قَدَمَاكَ حيثُ تَقومُ سُدَّ المَنْقَلُ (٦)
إنَّ الزِّحامَ لغيرِكم فتحيَّنوا وِرْدَ العَشِىِّ إليهِ يَخْلُ المَنْهَلُ (٧)
حُلَلُ الملوكِ لِباسُنا فى أهلِنا والسابغاتِ إلى الوغَى نَتَسَرْبَلُ (٨)

---

(١) الربائع : جمع ربيعة وهى ربيعة الكبرى والصغرى والوسطى . الدفاع : دفاع السيل حين يكثر ويمتد . شبه كثرة الرجال بالسيل حين يدفع .

(٢) العدوية : فكيهة بنت مالك من زيد مناة تنسب اليها بنوها . الجرثومة . الأصل والتراب يجتمع فى أصل الشجرة فيرتفع على ما حوله — صعب مناكبها يعنى نواحيها — نياف طويلة مشرفة . عيطل : طويلة .

(٣) البراجم فى الأصل : رءوس الأشاجع التى هى أصول الأصابع ، والمراد هنا : بنو حنظلة بن مالك ، وهم خمسة تبرجموا على سائر إخوتهم . القروم : الفحول . تخاطروا كما تخطر الفحول بأذنابها إذا تهدد بعضها بعضا . الأغلب : الغليظ العنق .

(٤) بذخت : فخرت فى كبر . والأسماء المذكورة فى البيت من بنى دارم .

(٥) حصاهم : عددهم . الأول يعنى من الآباء والأجداد أو من المساعى والأفعال .

(٦) زحلت : تنحيت ، والخطاب لجرير . العتب : الغلظ فى ارتفاع أى عن وضح الطريق . المنقل : الطريق فى الجبل . يقول اذا سلكنا تنحيت لنا ، ويسد عليك الطريق ، فلم تدر أين تسير ، وتضع قدميك .

(٧) ورد العشى : ورود الماء ليلا . يقول إنكم لضعفكم ومهانتكم لاقبل لكم بالزحام بل تشربون من فضل غيركم .

(٨) الحلة : إزار ورداء . السابغات : الدروع . الوغى : الحرب . نتسربل : نتقمص . فهم فى السلم ملوك ، وفى الحرب ليوث .

أَحْلامُنَـا تَزِنُ الجبَـالَ رَزَانَةً وَتَخَالُنَـا جِنًّا إذا مَا نَجْهَـلُ (١)
فَادْفَعْ بِكَفِّكَ إنْ أرَدْتَ بِنَاءَنَا ثَهْـلانَ ذَا الهَضَبَاتِ، هَلْ يَتَحَلْحَلُ (٢)
وأنَا ابنُ حَنظَلَةَ الأغرِّ وإنَّنِي فى آلِ ضَبَّةَ للمُعِـمُّ المُخْـوِلُ (٣)
فَرْعَانِ قَـدْ بَلَغَ السَّمَاءَ ذُرَاهُمَـا وإلَيْهِمَا مِنْ كُلِّ خَوْفٍ يُعْقَـلُ (٤)
فَلَئِن فَخَرْتُ بِهِمْ لِمِثْلِ قَدِيمِهِمْ أَعْلُو الحُزُونَ بِهِ، وَلا أتَسَهَّلُ (٥)
زَيْدُ الفَـوَارِسِ، وابنُ زَيْدٍ مِنْهُـمُ وأبُو قَبِيصَـةَ، والرَّئِيسُ الأوَّلُ (٦)
أوْصَى عَشِيَّـةَ حِينَ فَارَقَ رَهطَهُ عِندَ الشَّهَادَةِ فى الصَّحِيفَةِ دَغْفَـلُ (٧)
أنَّ ابنَ ضَبَّـةَ كَانَ خَيْراً وَالِدًا وأتَمَّ فى حَسَبِ الكِرَامِ وأفْضَـلُ (٨)
مِمَّنْ يَكُونُ بَنُـو كُلَيْبٍ رَهْطَـهُ أو مَنْ يَكُونُ إلَيهِـمُ يَتَخَـوَّلُ (٩)

---

(١) الأحلام : جمع حلم الصبر والأناة أو العقل وضدّه الجهل والسفه . رزانة : وقارا .

(٢) ثهلان : جبل عظيم بنجد . الهضبات . جمع هضبة الجبل الصغير . هل يتحلحل ، أى هل يزول ويتحرك ؟ فكذلك عزنا .

(٣) حنظلة : هو ابن مالك بن زيد من رهط الشاعر وأمه من ضبة . الأغر : المشهور بالعز والشرف . المعم المخول : الكريم الأعمام والأخوال .

(٤) ذروة كل شىء : أعلاه . يعقل : يلجأ . أى يلجأ إليهما الناس عند المخاوف

(٥) الحزون : ماغلظ من الأرض ، مفرده حزن . السهل : ماسهل ولان . إن نذكره هؤلاء يسمو به

(٦) زيد الفوارس : هو زيد بن حصين سمى بذلك ؛ لأنه ولى بين سبعة فوارس فى ثأر أبيه حصين . وابنه هو الحصين بن زيد . وأبو قبيصة ضرار بن عمرو منهم أيضا . والرئيس الأول محلم بن سويط من سعد بن ضبة .

(٧) رهط الرجل : قومه الأدنون . دغفل : هو ابن حنظلة النسابة من وائل . وهو فاعل أوصى .

(٨) بنو ضبة . رهط الشاعر لأمه . الحسب : مفاخر الآباء .

(٩) بنو كليب : رهط جرير . يتخول : من الخؤولة ، أى يدعيهم أخوالا . فهو فى هذه الأبيات يفضل نفسه نسبا وحسبا على جرير .

وَهُــمْ عَلَى ابنِ مُزَيْقِيَاءَ تَنَــازَلُوا والخيــلُ بَيْنَ عَجَاجَتَيْهَا القَسْــطَلُ (١)
وهُمُ الذينَ عَلَى الأُمَيْـــلِ تداركوا نَعَمًا يُشَــلُّ إِلَى الرئِيسِ ويُعْــكَلُ (٢)
ومُحَرِّقًا صَــفَدُوا إليــهِ يَمِينَــهُ بِصِفادِ مقتَسِرٍ أخــوهُ مُكَبَّلُ (٣)
مَلِكَانِ يَــومَ بُزَاخَــةٍ قَتَلوهُمَــا وكِلَاهُمَــا تَاجٌ عَلَيْــهِ مُكَلَّلُ (٤)
وَهُمُ الذينَ عَلَوْا عُمَــارَةَ ضَرْبَةً فَوْهَاءَ فَــوْقَ شُئُونِهِ لا تُوصَــلُ (٥)
وَهُمُ اذا اقْتَسَمَ الأَكَــابِرُ رَدُّهُمْ وَافٍ لِضَبَّــةَ ، والرِّكَابُ تُشَــلَّلُ (٦)
جَارٌ إذا غَــدَرَ اللِئَــامُ وَفَى بِهِ حَسَبٌ ودَعْوَةُ مَاجِدٍ لا يُخْــذَلُ (٧)
وعَشِــيَّةَ الجَمَــلِ المُجَلَّلِ ضَــارَبُوا ضَرْبًا شُئُونُ فَرَاشِــهِ تَتَزَيَّلُ (٨)

---

(١) ابن مزيقياء هو الحارث عمرو بن عامر قتله أحد بني ضبة ، وابناه : محرق وزياد قتلهما زيد الفوارس . تنازلوا : نزلوا في ساحة القتال فتضاربوا . العجاجتان : مثنى عجاجة الدخان والغبار . القسطل : الغبار . والمقصود أن الغبار ثائر بين الجيشين المتحاربين .

(٢) الأميل : رمل يعرض ويستطيل مسيرة يوم أو يومين ؛ وهو كذلك اسم يوم لبني ضبة على بني شيبان . وذلك أن بسطام بن قيس بن مسعود الشيباني أغار على بني ضبة ، فاستاق ألف بعير لمالك بن المنتفق رئيس بني ضبة ، فتداركت ضبة الخيل وردت النعم . يشل : يطرد . يعكل : يرد ويحبس .

(٣) محرق : سبق ذكره . صفدوا : جمعوا ، أي أسروه ، واستوثقوا منه . الصفاد : القيد أو الحديد الذي قيد فيه . أخوه : صاحبه أي صاحب هذا الصفاد مقتسر ومغتصب .

(٤) بزاخة : وقعة لضبة على غسان . والملكان محرق وزياد كما سبق . مكلل : معقود فوق رأسه .

(٥) عمارة بن زياد العبسي قتله شرحاف الضبي يوم أعيار . فوهاء : واسعة ذات فم واسع . الشئون : ملتقى قبائل الرأس ، الواحد شأن ، ومن الشئون تجرى الدموع . لا توصل : لا تلتئم .

(٦) اقتسم الأكابر : أسروا وتوزعوا . والأكابر شيبان وعامر وجليحة من بني تيم الله بن ثعلبة ، أجارهم بدر بن حمراء الضبي ، فوفى لهم . تشلل : تطرد .

(٧) جار : يعني بدر بن حمراء الضبي . الماجد جيرانه من بني تيم الله الذين التجأ إليهم في إحدى السنين ، فوفوا له .

(٨) الجمل : وقعة الجمل مع السيدة عائشة وقتل من بني ضبة كثير . الفراش : جمع فراشة كل رقيق من العظم أو الحديد . تتزيل : تتفرق .

* * *

يَا ابنَ المَرَاغَةِ أينَ خالُكَ إنّنى   خَالِى حُبَيْشٌ ذو الفَعَـالِ الأفضلُ (١)
خَالِى الذى غَصَبَ الملوكَ نُفُوسَهمْ   وإليـه كانَ حِبـاءُ جَفْنَةَ يُنقَـلُ (٢)
إنّا لَنضرِبُ رأسَ كُلِّ قَبِيلَةٍ   وأبُوكَ خَلفَ أَتانِه يتَقَمَّلُ (٣)
وشُغِلْتَ عن حَسَبِ الكِرامِ وما بَنَوْا   إنَّ اللئيمَ عنِ المَكارِمِ يُشْغَلُ (٤)
إنَّ التى فُقِئَت بها أبصارُكم   وَهِىَ التى دَمَغَتْ أباكَ الفَيْصَـلُ (٥)

وقال يصف ذئبا صادفه فى أثناء سفره فأطعمه من زاده :

وأطلَسَ عَسَّالٍ وما كانَ صاحِبًا   دَعَوْتُ بنَارِى مَوْهِنًا فأتانى (٦)
فلمّا دَنَا قُلتُ : ادْنُ دونَك ، إنّنى   وإيّاكَ فى زادى لَمُشْتَرِكانِ (٧)

---

(١) ابن المراغة : جرير . حبيش : من ضبة أسر عمرو بن الحارث الغسانى ، بجز ناصيته ، واشترط عليه أن يبعث اليه كل سنة بحباء حتى يموت .

(٢) الحباء : العطية ، والمراد هنا الضريبة . جفنة من آباء الغساسنة اليه ينسبون ، ويسمون آل جفنة ملوك الشام فى الجاهلية .

(٣) الرأس : الرئيس . الأتان : الحمارة . يتقمل : يكثر قمله .

(٤) اللئيم : الدنىء الأصل والبخيل .

(٥) دمغت : أى بلغت دماغه . الفيصل : مقطع الحق فيما بيننا و بينكم . وهــذه القصيدة كانت تسمى الفيصل .

(٦) الأطلس : أغبر اللون . عسال : مضطرب فى مشيه . موهنا : نحو منتصف الليل .

(٧) ادن : اقترب . دونك : أمامك .

فَبِتُّ أَقُدُّ الزَّادَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ ... عَلَى ضَوْءِ نَارٍ مَرَّةً وَدُخَانِ (١)
فَقُلْتُ لَهُ لَمَّا تَكَشَّرَ ضَاحِكًا ، ... وَقَائِمُ سَيْفِي من يَدِي بِمَكَانِ : (٢)
تَعَشَّ ، فَإِنْ وَاثَقْتَنِي لَا تَخُونُنِي ... نَكُنْ مِثْلَ مَنْ (يَاذِئْبُ) يَصْطَحِبَانِ (٣)
وأَنْتَ امْرُؤٌ يا ذئْبُ والغَدرُ كُنتُمَا ... أُخَيَّيْنِ كَانَا أُرْضِعَا بِلِبَانِ (٤)
ولو غَيْرَنَا نَبَّهْتَ تَلْتَمِسُ القِرَى ... أَتَاكَ بِسَهْمٍ أَوْ شَبَاةِ سِنَانِ (٥)
وَكُلُّ رَفِيقَيْ كُلِّ رَحْلٍ - وإنْ هُمَا ... تَعَاطَى القَنَا قَوْمَاهُمَا - أَخَوَانِ (٦)
فَهَلْ يُرْجِعَنَّ اللهُ نَفْسًا تَشَعَّبَتْ ... عَلَى أَثَرِ الغَادِينَ كُلَّ مَكَانِ (٧)
فَأَصْبَحْتُ لا أدرِي أَأَتْبَعُ ظَاعِنًا ... أَمِ الشَّوْقُ مِنِّي لِلْمُقِيمِ دَعَانِي (٨)
وما مِنْهُمَا إلا تَوَلَّى بِشِقَّةٍ ... من القَلْبِ فالعَيْنَانِ تَبْتَدِرَانِ (٩)

---

(١) أقد : أقطع .

(٢) تكشر : كشف عن أسنانه ، قائم السيف : مقبضه .

(٣) واثقتني : عاهدتني .

(٤) أخيان : أخوان توءمان .

(٥) شباة سنان : طرف الرمح .

(٦) تعاطى القنا قوماهما : أي تحارب أهلهما . أخوان : خبر كل .

(٧) تشعبت : توزعت في كل مكان من الهموم . الغادون : الميتون يشير الى بنيه المتوفين .

(٨) ظاعنا : راحلا الى القبر . المقيم : الباقي على قيد الحياة — يصف اضطراب نفسه بين الحزن والجلد .

(٩) تولى بشقة : أخذ ناحية من قلبه ، فشغلها . تبتدران الدمع : تدمعان .

(١٢) وقال جرير[1] يرثى زوجه خالدة بنت سعد :

لَوْلَا الحَيَاءُ لَهَاجَنِي اسْتِعْبَارُ ... وَلَزُرْتُ قَبْرَكِ ، وَالحَبِيبُ يُزَارُ[2]
وَلَقَدْ نَظَرْتُ ، وَمَا تَمَتُّعُ نَظْرَةٍ ... فِي اللَّحْدِ حَيْثُ تَمَكَّنَ الأَحْفَارُ[3]
وَلَهَتْ قَلْبِي إِذْ عَلَتْنِي كَبْرَةٌ ... وَذَوُو التَّمَائِمِ مِنْ بَنِيكِ صِغَارُ[4]
أَرْعَى النُّجُومَ ، وَقَدْ مَضَتْ غَوْرِيَّةً ... عُصَبُ النُّجُومِ كَأَنَّهُنَّ صُوَارُ[5]
نِعْمَ القَرِينُ ، وَكُنْتِ عِلْقَ مَضَنَّةٍ ... وَارَى بِنَعْفِ بُلَيَّةَ الأَحْجَارُ[6]
عَمَرَتْ مُكَرَّمَةَ المَسَاكِ ، وَفَارَقَتْ ... مَا مَسَّهَا صَلَفٌ وَلَا إِقْتَارُ[7]
فَسَقَى صَدَى جَدَثٍ بِبُرْقَةِ ضَاحِكٍ ... هَزِمٌ أَجَشُّ وَدِيمَةٌ مِدْرَارُ[8]

---

(١) ينتسب أبو حزرة جرير بن عطية بن الخطفى الى يربوع من تميم كما ينتسب الفرزدق الى دارم من تميم كذلك . وقد ولد باليمامة ونشأ فى البادية يأخذ الشعر عن أسرته وغيرها و يتكسب به لدى الخلفاء والولاة حتى اشتبك مع الفرزدق فى التهاجى والتساب لعوامل سياسية واجتماعية . ومات بعد الفرزدق بقليل سنة ١١٤ هـ .

(٢) استعبار : حزن ودمع .

(٣) الأحفار : جمع حفر البئر المتسعة . وهو هنا القبر .

(٤) ولهت : حيرت من الحزن . كبرة : كبر وضعف . التمائم : جمع تميمة ، وهي العوذة تعلق على الصبي خوف الحسد .

(٥) أرعى النجوم : أراقبها . غورية : غائبة . عصب : جماعات . الصوار : القطيع من البقر الوحش .

(٦) القرين : الزوج والصديق أى أنت . العلق : النفيس أو الجراب . المضنة : ما يضن به . نعف بلية : مكان قبرها .

(٧) عمرت : عاشت . المساك : البخل والموضع يحفظ فيه الماء . الصلف : مجاوزة قدر الظرف والادعاء تكبرا . إقتار : بخل .

(٨) صدى : عطش شديد . جدث : قبر . برقة ضاحك : موضع . والبرقة فى الأصل الأرض الغليظة . هزم سحاب راعد : أجش غليظ الصوت . ديمة : مطر يدوم فى سكون . مدرار : غزيرة .

مُتَراكِمٌ زَجِلٌ يُضيءُ وَميضُهُ كالبُلْقِ تحتَ بُطونِها الأمْهارُ (١)
كانتْ مُكَرَّمَةَ العَشيرِ ولم يَكُن يَخشَى غوائلَ أُمِّ حَزْرَةَ جارُ (٢)
ولقد أراكِ كُسيتِ أجملَ مَنظَرٍ ومَعَ الجَمالِ سكينةٌ ووَقارُ (٣)
والريحُ طَيِّبةٌ إذا استقبلتَها والعِرضُ لا دَنِسٌ ولا خَوّارُ (٤)
وإذا سَريتُ رأيتُ نارَكِ نَوَّرَتْ وَجْهًا أغرَّ يَزينُه الإسفارُ (٥)
صَلَّى الملائكةُ الذين تُخُيِّروا والصالحُونَ عليكِ والأبْرارُ (٦)
وعَلَيكِ من صَلَواتِ رَبِّكِ كُلَّما نَصَبَ الحَجيجُ مُلَبِّدينَ وغارُوا (٧)
يا نَظْرَةً لكَ يومَ هاجَتْ عَبْرَةً من أُمِّ حَزْرَةَ بالنُّمَيْرَةِ دارُ (٨)
تُحيي الرَّوامِسُ رَبعَها فتُجِدُّهُ بَعدَ البِلَى، وتُميتُه الأمطارُ (٩)
وكأنَّ مَنزِلَةً لها بجُلاجِلٍ وَحْيُ الزَّبورِ تُجِدُّه الأحبارُ (١٠)

(١) زجل : رفع صوته . البلق : جمع أبلق فرس فى لونه سواد وبياض . أمهار : جمع مهر .

(٢) الغوائل : مفرده غائلة وهى الشر والفساد والداهية .

(٣) الوقار : الرزانة .

(٤) خوار : مريب .

(٥) سريت : سرت ليلا . أغر : حسن له غرة . الإسفار : كشف الوجه .

(٦) الأبرار : جمع بار الصالح أو كثير الإحسان .

(٧) نصب : جد وتعب . الحجيج : جمع حاج . ملبدين : محرمين ومتخذين صمغا ليتلبد شعرهم . غاروا : نزلوا الغور .

(٨) عبرة : دمعة . النميرة : جبل أو هضبة بين نجد والبصرة .

(٩) الروامس : الرياح الدوافع للآثار . الربع : الدار . تجد : تجدد .

(١٠) جلاجل : موضع أو جبل بالدهناء . الوحى : المكتوب أو الرسالة . الزبور : الكتاب، وغلب على مزامير داود . الأحبار : جمع حبر : العالم الصالح والرئيس الديني .

لا تُكْثِرَنَّ إذا جعلتَ تـلومُنى ... لا يَذْهَبَنْ بِحلمـك الإِكْثار (١)
كانَ الخليطُ هُمُ الخليطَ فأصبحُوا ... مُتَبَـدلينَ وبالديارِ ديار (٢)
لا يُلبِثُ القُـرَناءَ أن يَتَفَـرّقوا ... ليـلٌ يَكُرُّ عليهـمُ ونهار (٣)

وقال جرير يجيب الفرزدق عن قصيدته السالفة التى مطلعها ـــ

إن الذى سمك السماء :

لِمَنِ الديارُ كأنّها لم تُحلَـلِ ... بَينَ الكِناسِ وبينَ طَلْحِ الأعْزَلِ (٤)
ولقَدْ أرَى بِكِ، والجديدُ إلى بِلًى، ... موتَ الهوَى وشِفاءَ عَينِ المجتلِي (٥)
نظرتْ إليـكَ بِمثلِ عَيْنَى مُغزِلٍ ... قَطَعَتْ حِبالَتها بأعلى يَلْيَـل (٦)
وإذا التمستَ نَوالَهـا بَخِلتْ بـه ... وإذا عَرضـتَ بـوُدّها لم تَبْخَـل
ولقد ذكرتُكِ ، والمَطِىُّ خواضِعٌ ، ... وكأنّهنَّ قطا فَـلاةٍ مَجْهَـل (٧)

---

(١) الحلم : الصبر والأناة والعقل .

(٢) الخليط : الصحاب . متبدلين : متغيرين . وبالديار الخ مسافرين الى ديار أخرى .

(٣) لا يلبث ... لا يمهلهم حتى يفرقهم . القرناء : جمع قرين العشير أو المصاحب .

(٤) الكناس : موضع من بلاد غنى . طلح : شجـر . الأعزل : واد لكليب . كأنها لم تحلل : أى قد درست كأنها لم تكن مسكونة .

(٥) المجتلى : الناظر، أى كنا بك فكان الهوى مستترا ، فلما تفرقنا ظهرت آثاره بسبب الفراق .

(٦) المغزل : ظبية ذات غزال . حبالتها : مصيدتها . يليـل : موضع قرب وادى الصـفراء بين الحرمين .

(٧) خواضع : مجدة فى السير . قطا : طائر مبادر الى أولاده . فلاة . صحراء واسعة . مجهل : مفازة لا يهتدى فيها .

يَسقِينَ بالأُدَمَى فِراخَ تَنُوفَةٍ زُغْبًا حواجِبُهن حُمْرَ الحَوصَلِ (١)

يا أُمَّ ناجِيةَ ! السلامُ عليكُمُ ! قبلَ الرَّواحِ وقبلَ عَذْلِ العُذَّلِ (٢)

وإذا غدوْتِ فباكرِتْكِ تحيَّةٌ سبقَتْ سُروحَ الشاحِجات الحُجَّلِ (٣)

لو كنتُ أعلَمُ أن آخرَ عهدِكم يومَ الرَّحيلِ فعلتُ ما لم أفعلِ (٤)

أو كنتُ أرهَبُ وَشْكَ بَيْنٍ عاجلٍ لقنِعْتُ أو لَسألتُ ما لم يُسألِ (٥)

أعْددتُ للشُّعَراء سَمًّا ناقِعًا فسَقَيتُ آخرَهُمْ بِكأْسِ الأوَّلِ (٦)

لمَّا وضعتُ على الفَرَزْدقِ مِيسَمى، وضَغَا البَعيثُ جدَعْتُ أنفَ الأخطلِ (٧)

أخزَى الذي سَمَكَ السماءَ مُجاشِعًا وبنَى بِناءَكَ فى الحضيضِ الأسفلِ (٨)

بيتًا يُحَمَّمُ قَيْنُكم بِفِنائه دَنِسًا مقاعدُه خَبيثَ المدْخَلِ (٩)

ولقد بنيتَ أخَسَّ بَيْتٍ يُبْتَنَى فهدمتُ بيتَكُمُ بِمِثْلَىْ يذبُلِ (١٠)

---

(١) الأدمى : موضع . تنوفة : برية لا ماء فيها ولا أنيس . زغبا : قليلة الريش . والزغب أول ما يبدو من الشعر أو الريش .

(٢) الرواح : الذهاب عشية . وربما كان الأولى يا آل ناجية .

(٣) الشاحجات : الغربان تشحج فى صياحها . الحجل : تحجل فى مشيها .

(٤) عهدكم : لقائكم .

(٥) وشك : قرب . قنعت بالقليل من الود دون الطمع و بعد الأمل الذى قضى عليه الفراق .

(٦) ناقعا : قاتلا (هجاء مرا) .

(٧) الميسم : المكوى، يريد الشعر . ضغا : تذلل . جدع الأنف : قطعه .

(٨) سمك : رفع . مجاشع : قوم الفرزدق . الحضيض : أسفل الجبل .

(٩) يحمم : يدخن فيه فيسوده . القين : الحداد، يرمى الفرزدق بأن قومه حدادون .

(١٠) يذبل : جبل مشهور بنجد يشبه به مجده .

أنّى بَنَى لِي فى المَكارِمِ أوَّلِي ... وَنَفَخْتَ كِيرَكَ فى الزَّمانِ الأوّلِ (١)
أَعَيْنَـكَ مأْثُرة القُيونِ مُجاشِعٍ ... فانظُرْ لعلّكَ تدّعى من نَهْشَلِ (٢)
وامْدَحْ سَراةَ بنى فُقَيمٍ إنهمْ ... قَتَلُوا أباكَ وثأرُه لم يُقتَلِ (٣)
ودَعِ البَراجِمَ إنْ شِرْبَكَ فيهمُ ... مُرٌّ مَذاقَتُه كطَعْمِ الحَنظَلِ (٤)
أنّى انْصَبَبْتَ من السماءِ عليكُمُ ... حتى اختطَفْتُكَ يا فَرَزْدَقُ من عَلِ (٥)
من بَعدِ صَكِّيَ البَعيثَ كأنّهُ ... خَرَبٌ تَنَفَّجَ من حِذارِ الأجدَلِ (٦)
ولقد وسَمْتُكَ يا بَعيثُ بِمِيسَمى ... وضَغَا الفرزدقُ تحت حَدِّ الكَلْكَلِ (٧)
أنّى إلى جَبَلَيْ تميمٍ مَعقِلى ... ومَحَلُّ بيتِى فى اليَفاعِ الأطوَلِ (٨)
أحلامُنا تَزِنُ الجِبالَ رَزانةً ... ويَفُوقُ جاهِلُنا فَعالَ الجُهَّلِ (٩)
فارجع إلى حَكَمَيْ قُرَيشٍ ؛ إنهم ... أهلُ النُّبُوَّةِ والكِتابِ المُنْزَلِ (١٠)

---

(١) أوّلى : آبائى . (٢) مأثرة : مكرمة ، أى لا تفخر بمكرمتك فى مجاشع . تدعى : تنتسب . نهشل ومجاشع : أخوان من تميم .

(٣) سراة : جمع سرى وهو الشريف . بنو فقيم : من دارم . الثأر : القاتل ، وكان ذكوان الفقيمى سبب موت أبى الفرزدق ، وقد عقر بعيرى أمه وأخته جعثن فى قصة طويلة .

(٤) البراجم : قوم من أولاد حنظلة بن مالك كما سبق . الشرب : هنا الحظ والنصيب .

(٥) عل : أعلى .

(٦) الصك : الضرب الشديد . الخرب : ذكر الحبارى طائر كالديك . تنفج : نفش ريشه خوفا . الأجدل : الصقر .

(٧) الكلكل : الصدر . الحد : الصلابة .

(٨) المعقل : الملجأ أو الجبل المرتفع ، والمراد الشرف . اليفاع : ما ارتفع من الأرض .

(٩) الجاهل : السفيه .

(١٠) حكما قريش : هاشم وعبد مناف .

فَسَائِلْ إذا خرج الخِدامُ وأُحمِشَتْ ... حربٌ تُضَرَّم كالحريق المُشْعَلِ (١)

والخيلُ تَحِطُ بالكُماة ، وقد رأَوْا ... لمَعَ الرَّبِيئَةِ في النِّيَافِ العَيْطَلِ (٢)

أَبَنُو طُهَيَّةَ يَعْدِلُون فوارسي ... وبَنُو خَضَافٍ ، وذاك ما لم يُعْدَلِ (٣)

وإذا غَضِبْتُ رمَى وَرَائِي بالحَصَى ... أبناءُ جَنْدَلَتِي كَخَيْرِ الجَنْدَلِ (٤)

عَمْرٌو وسَعْدٌ يا فرزدقُ فيهمُ ... زُهْرُ النُّجُومِ وَبَاذِخَاتُ الأَجْبُلِ (٥)

كانَ الفرزدقُ إِذْ يَعُوذُ بِخَالِهِ ... مِثْلَ الذليلِ يَعُوذُ تحت القَرْمَلِ (٦)

وَافْخَرْ بِضَبَّةَ إِنَّ أُمَّكَ مِنْهُمُ ... ليس ابنُ ضَبَّةَ بِالمُعِمِّ المُخْوِلِ (٧)

وَقَضَتْ لنا مُضَرٌ عليك بِفَضْلِنَا ... وَقَضَتْ رَبِيعةُ بالقضاءِ الفَيْصَلِ (٨)

إن الذي سَمَكَ السَّماءَ بَنَى لنا ... عِزًّا عَلَاكَ فما لَه من مَنْقَلِ (٩)

أَبْلِغْ بنى وَقْبَانَ أَنَّ حُلُومَهُمْ ... خَفَّتْ ، فَلَا يَزِنُونَ حَبَّةَ خَرْدَلِ (١٠)

---

(١) الخدام : الفرس المحجل ، يعنى فى الغارة . أحمشت : أوقدت . تضرم : تشتعل .

(٢) تحط : تصوت من الإعياء والتعب . الكماة : جمع كمى : المدجج بالسلاح . الربيئة : طليعة الجيش . النياف : الطويل من الإبل . العيطل : الطويل العنق .

(٣) طهية : أم جماعة من تميم منهم مجاشع ونهشل ودارم . خضاف : هم بنو مجاشع .

(٤) الحصى : العدد الكثير . جندلة : بنت تيم الأدرم ، وهى أم يربوع قوم جرير .

(٥) عمرو وسعد : حليفا عشيرة جرير . زهر النجوم : النابهون . باذخ : عظم . الأجبل : جمع جبل ، والمراد عظماء الرجال .

(٦) يعوذ : يحتمى . القرمل : شجر ضعيف بلا شوك ، ومنه المثل ذليل عاذ بقرملة .

(٧) ضبة : من طائفة أخوال الفرزدق . المعم : الكريم الأعمام ، والمخول : كريم الأخوال .

(٨) ربيعة ومضر : شعبا عدنان العظيمان . الفيصل : الفاصل بين الحق والباطل .

(٩) منقل : متحول وانتقال .

(١٠) وقبان : لقب مجاشع ، معناه الحمق . حلوم : جمع حلم : العقل والرزانة .

أَزْرَى بِحِلْمِكُمُ الْفِيَاشُ فَأَنْتُمُ   مِثْلُ الْفَرَاشِ غَشِينَ نَارَ الْمُصْطَلِي (١)

تَصِفُ السُّيُوفَ، وغيرُكم يَعصِي بِهَا   يَابْنَ القُيُونِ، وذاكَ فِعلُ الصَّيْقَلِ (٢)

وبِرَحْرَحَانَ تَخَضْخَضَتْ أَصْلَاؤُكُمْ   وفزِعتُمُ فَزَعَ البِطَانِ العُزَّلِ (٣)

أَلْهَى أَبَاكَ عَنِ المَكَارِمِ والعُلَا   لَيُّ الكَتَائِفِ وارْتِفَاعُ المِرْجَلِ (٤)

أَبْلِغْ هَدِيَّتِيَ الفرزدقَ ، إِنَّهَا   ثِقْلٌ يُزَادُ عَلَى حَسِيرٍ مُثْقَلِ (٥)

أَنَا نُقِيمُ صَغَا الرءوسِ ، ونَخْتَلِي   رَأْسَ المُتَوَّجِ بِالحُسَامِ المِفْصَلِ (٦)

(١٣) قال عُبَيد الله بن قيس الرُّقَيَّات يمدح عبد الملك بن مروان : (٧)

عَادَ لَهُ مِن كَثِيرَةَ الطَّرَبُ   فَعَيْنُه بالدُّمُوعِ تَنْسَكِبُ (٨)

كُوفِيَّةٌ نَازِحٌ مَحَلَّتُهَا   لَا أَمَمٌ دَارُهَا وَلَا صَقَبُ (٩)

---

(١) الفياش : المفاخرة . المصطلى : المستدفئ بالنار يقول : من يعرض لى من الشعراء يقع فى شره

(٢) يعصى بها : يتخذها كالعصا . الصيقل : شحاذ السيوف وجلاؤها .

(٣) رحرحان : جبل قرب عكاظ له يوم لعامر على تميم حدثت فيه تميم معبد بن زرارة . تخضخضت : ارتجت ، وتحركت من الهزيمة . أصلاؤكم : جمع الصلا ، وهو ما اكتنف عجب الذنب يقصد الورك يريد هزمتم . البطان : عزموه .

(٤) الكتائف : جمع كتيفة حديدة عريضة .

(٥) أى المجهود المعي .

(٦) الصغا : الميل ، أى نصلح المعوج . نختلى : نجز ونقطع . المتوج : الملك . المفصل : القاطع .

(٧) عبيد الله بن قيس الرقيات القرشى نسبا ومذهبا من شعراء الغزل والسياسة ، نشأ فى قريش حريصا على سيادتهم ناقما على بنى أمية اعتزازهم باليمنيين منتصرا لابن الزبير ، حتى اذا قتل واستقر الحكم للأمويين اطمأن اليهم . وكان أول أمره مطاردا من الخلفاء يتنقل مختفيا بين الكوفة والمدينة حتى نال الأمان ، ولزم عبد العزيز بن مروان والى مصر حيث مات سنة ٧٥ ﻫ .

(٨) كثيرة : امرأة آوت الشاعر بالكوفة حين أهدر الخليفة دمه . تنسكب : تسيل .

(٩) نازح محلتها : بعيد منزلها . أمم : قريبة . صقب : مجاورة .

واللهِ ما إن صَبَتْ إليَّ ، ولا ... يُعلَمُ بيني وبينَها سبَبُ (١)
إلّا الذى أورثتْ كثيرةُ في الْ ... قَلْب ، وللحُبّ سَوْرةٌ عَجَبُ (٢)
لا باركَ اللهُ في الغَوانى فما ... يُصْبِحْنَ إلا لهُنّ مُطَّلَبُ (٣)
أبصَرْنَ شَيبًا عَلا الذُّؤابةَ في الرْ ... رَأس حديثًا كأنه العُطُبُ (٤)
فهُنّ يُنْكِرْنَ ما رأيْنَ ، ولا ... يُعْرَفُ لي في لِداتِيَ اللَّعِبُ (٥)
ما ضرَّها لو غدا بحاجتنا ... غادٍ كريمٌ أو زائرٌ جُنُبُ (٦)
لم يأتِ عن رِيبةٍ وأجْشَمَه الْ ... حبُّ فأمسى وقلبُه وَصِبُ (٧)
يا حبَّذا يَثْرِبٌ ولذَّتُها ... من قبلِ أنْ يَهْلِكوا ويَحترِبوا (٨)
وقبلَ أنْ يخرُجَ الذين لَهُمْ ... فيها السَّناءُ العظيمُ والحَسَبُ (٩)
بَغَتْ عليهم بها عَشيرَتُهمْ ... فعُوجِلوا بالجَزاء واطُّلِبوا (١٠)

(١) صبت : حنت . سبب : صلة .

(٢) سورة : حد .

(٣) مطّلب : مطلب .

(٤) الذؤابة : الناصية : شعر مقدّم الرأس . العطب : القطن .

(٥) ينكرن : يعبن . لداتى : أقرانى جمع لدة .

(٦) غاد : مبكر . جنب : غريب أو صاحب سفر — يريد ما يضرها لو زرتها .

(٧) ريبة : تهمة . أجشمه : كلّفه المشقة . وصب : مريض .

(٨) يثرب : [illegible] يحتربوا : يتحاربوا ، والضمير يعود على حزب ابن الزبير وأنصاره.

(٩) [illegible] شرف .

(١٠) [illegible]

قَوْمٌ هُمُ الأَكْثَرُونَ قِبْضَ حَصًى ... فى الحَقِّ والأَكْرَمُونَ إِنْ نُسِبُوا (١)

ما نَقَمُوا من بَنِى أُمَيَّةَ إِلا ... أَنَّهُمْ يَحْلُمُونَ إِنْ غَضِبُوا (٢)

وأَنَّهُمْ مَعْدِنُ الملوكِ؛ فَلا ... تَصْلُحُ إِلا عَلَيْهِمُ العَرَبُ (٣)

إِنَّ الفَنِيقَ الذى أبوه أبو الـ ... ـعاصِى عليهِ الوقارُ والحُجُبُ (٤)

خَلِيفَةُ اللهِ فوقَ مِنْبَرِهِ ... جَفَّتْ بِذاكَ الأَقْلامُ والكُتُبُ (٥)

يَعْتَدِلُ التَّاجُ فوقَ مَفْرِقِهِ ... على جَبِينٍ كأَنَّه الذَّهَبُ (٦)

(١٤) وقال قَطَرِىُّ بن الفُجاءة فى الحماسة : (٧)

لا يَرْكَنَنْ أَحَدٌ إلى الإِحْجامِ ... يومَ الوَغى مُتَخَوِّفاً لِحِمامِ (٨)

فلقد أَرانِى للرِّماحِ دَرِيئَةً ... مِن عَن يَمِينِى مَرَّةً وأَمامِى (٩)

حَتَّى خَضَبْتُ بما تَحَدَّرَ من دَمِى ... أَكْنافَ سَرْجِى أو عِنانَ لِجامِى (١٠)

---

(١) قبض حصى : عددا كثيرا . نسبوا : ذكر نسبهم .

(٢) ان غضبوا : ان قدروا على الانتقام .

(٣) معدن : أصل .

(٤) الفنيق : العظيم المكرم . والمراد به عبد الملك بن مروان . الحجب : جمع حجاب وهو الستر .

(٥) قضى بذلك الأمر .

(٦) الجبين : الجبهة ، وفى رواية يأتلق التاج أى يتلألأ .

(٧) هو قطرى بن الفجاءة المازنى من زعماء الخوارج الشعراء والخطباء قضى مدة طويلة فى حروب مع الأمويين حتى قتل بطبرستان سنة ٧٩ هـ .

(٨) الإحجام : التراجع . الوغى : الحرب . الحمام : الموت .

(٩) الدريئة : الحلقة يتعلم الطعن والرمى عليها .

(١٠) تحدر : سال . أكناف : جمع كنف : الجانب . العنان : سير اللجام .

ثم انْصَرفتُ، وقد أَصَبْتُ ولم أُصَبْ جَذَعَ البَصيرةِ قارِحَ الإقدام (١)

وقال :

أقولُ لها وقد طارَتْ شَعاعًا من الأبطالِ : وَيْحَكِ! لن تُراعِى (٢)
فإنكِ لو سألتِ بقاءَ يومٍ على الأَجَلِ الذى لكِ لم تُطاعِى (٣)
فصبرًا فى مجالِ الموت صبرًا فما نيلُ الخلودِ بمُستَطَاعِ (٤)
ولا ثوبُ البقاءِ بثوبِ عِزٍّ فيُطوَى عن أخى الخَنَعِ اليَرَاعِ (٥)
سبيلُ الموت غايةُ كلِّ حىٍّ فداعيهِ لأهلِ الأرضِ داعِ (٦)
ومن لا يُعتَبَطْ يسأمْ ويهرمْ وتُسلِمُه المَنُونُ الى انقِطاعِ (٧)
وما للمرءِ خيرٌ فى حياةٍ إذا ماعُدَّ من سَقَطِ المَتاعِ (٨)

(١) جذع : شاب . البصيرة : العقل والفطنة والحجة . القارح من ذى الحافر : ماشق نابه وطلع ، والمراد القوى .

(٢) لها : لنفسه . طارت شعاعا : تبددت من الخوف . ويحك ! : رحمة لك منصوبة باضمار فعل . تراعى : تفزعى .

(٣) الأجل : غاية العمر .

(٤) مجال الموت : ميدانه .

(٥) الخنع : اللين ، وبالضم الذل . اليراع : الجبان .

(٦) داعى الموت : سببه من فناء العمر .

(٧) يعتبط : يموت شابا . تسلم : تترك .

(٨) سقط المتاع : رديئه .

(١٥) قال عِمْرانُ بن حِطّان يرثى أبا بلال مِرداس ابن أُدَيّة من الخوارج : (١)

لقد زادَ الحياةَ إليّ بُغْضًا ... وحُبًّا للخُروجِ أبو بلالِ (٢)
أحاذِرُ أن أموتَ على فِراشي ... وأرجو الموتَ تحت ذُرا العَوالى (٣)
ولو أنّى علمتُ بأنّ حَتْفى ... كحتفِ أبى بلالٍ لم أُبالِ (٤)
فمَن يَكُ همُّه الدنيا فإنّى ... لها والله ربِّ البيت قالِ (٥)

وقال فيه أيضا :

ياعينُ بكّى لمِرْداسٍ ومَصرَعِهِ ... يارَبَّ مِرداسٍ ٱجعلنى كمِرداسِ (٦)
تركتَنى هائمـا أبكى لِمَرزِئتى ... فى مَنزلٍ مُوحِشٍ من بَعدِ إيناسِ (٧)
أنكرتُ بعدَك ما قد كنتُ أعرِفُهُ ... ما ألناسُ بعدَكَ يامِرداسُ بالناسِ (٨)

---

(١) نشأ عمران بن حطان السدوسى بالبصرة حيث تعلم وتأدب وأصبح شاعرا مجيدا صادقا فى شعره دينا ورعا . ثم اعتنق مذهب الشراة من الخوارج ، فطارده الحكام وأخذ يتنقل بين العراق والشام وعمان متخفيا حتى مات بالكوفة سنة ٨٩ ﻫ . ولشعره منزلة سامية لصدق الشعور وحسن الأداء وقوة العقيدة .
(٢) الخروج : الانضمام الى الخوارج فى القتال .
(٣) ذرا : الظل . العوالى : جمع عالية أعلى القناة .
(٤) الحتف : الموت .
(٥) قال : كاره .
(٦) المصرع : الطرح على الأرض بقصد قتله .
(٧) هائما : حائرا . المرزئة : المصيبة العظيمة .
(٨) أنكرت الشيء : أبغضته لأنه تغير الى حال سيئة .

إمّا شربتَ بكأسٍ دارَ أوّلُها ... على القرونِ فذاقوا جُرعةَ الكاسِ (١)

فكُلُّ من لم يَذُقْها شاربٌ عجِلًا ... منها بأنفاسِ وِرْدٍ بعدَ أنفاسِ (٢)

(١٦) قال الطِّرِمّاح بن حَكِيم من الخوارج : (٣)

وإنّى لمُقتادٌ جوادِى وقاذِفٌ ... به وبِنفسى العامَ إحدَى المقاذِفِ (٤)

لِأَكسِبَ مالًا أو أؤُولَ إلى غِنًى ... من اللهِ يَكفينى عُداةَ الخلائفِ (٥)

فيارَبِّ إن حانتْ وَفاتِى فلا تكُنْ ... علَى شَرْجَعٍ يُعْلَى بخُضْرِ المطارِفِ (٦)

ولكنّ قبْرِى بَطنُ نَسرٍ مَقِيلُه ... بجوِّ السماءِ فى نُسورٍ عواكفِ (٧)

وأُمسِى شهيدًا ثاوِيًا فى عِصابةٍ ... يُصابُونَ فى فجٍّ منَ الأرضِ خائفِ (٨)

---

(١) جرعة : بلعة . إما مركبة من أن الشرطية وما الزائدة ، والبيت الثانى دليل الجواب أى فلا تحزن .

(٢) أنفاس : جمع نفس . الورد : الماء الذى يورد والمقصود الموت .

(٣) الطرماح بن حكيم الطائى شامى النشأة يجيد الفخر والمديح ، ورد الكوفة فى جيوش الشام ، واتصل بأحد الشراة من الخوارج ، فدعاه هذا الى مذهبه حتى اعتقده أشد اعتقاد وأصحه ومات خارجيا سنة ١٠٠ هـ .

(٤) مقتاد : قائد . قاذف : رام . المقاذف : الأماكن البعيدة .

(٥) أؤول : أصير . عداة : جمع عاد وهو العدو . الخلائف : جمع خليفة . وكان خلفاء بنى أمية حربا على الخوارج .

(٦) حانت : قربت . الشرجع : السرير أو النعش . المطارف : جمع مطرف : رداء من خز مربع ذو أعلام .

(٧) مقيله : موضع قيلوله . عكفت الطير حول القتيل : استدارت .

(٨) ثاويا : مقيما . العصابة : الجماعة من الرجال أو الخيل أو الطير . الفج : الطريق الواسع بين جبلين . خائف : واق أو مخوف .

فوارسُ من شَـيبانَ أُلِّفَ بينهـمْ ... تُقَى اللهِ نَزَّالون عنــد الرَّواجِف (١)

إذا فارقُوا دُنياهُـمُ فارَقوا الأذى ... وصَارُوا الى ميعادِ مَافى المصاحِف (٢)

(١٧) وقال جَميـــل : (٣)

أَبُثَيْنُ إنكِ قـــد ملكْتِ فأَسجِحى ... وخُذِى بحَظِّك من كَريمٍ واصِـــل (٤)

فلَرُبَّ عَارضــةٍ علينَـا وصلَها ... بالجِـد تَخلِطُــه بِقَوْل الهـازِلِ (٥)

فأجبتُهـا فى القـــولِ بَعــد تَستُّرٍ : ... حُبِّى بُثينــةَ عن وِصالِكِ شاغِلى (٦)

لو كَانَ فى صَدرِى كقَدْرِ قُلامـــةٍ ... فَضْـــلًا وصَلْتُكِ أو أتَتْـــكِ رسائلى (٧)

ويقُلْنَ : إنكَ قـــد رَضِيتَ بباطلٍ ... مِنها، فهل لكَ فى اجتناب الباطل ؟

ولَباطلٌ ممن أُحِبُّ حديثَـهُ ... أشهى إلىَّ من البَغِيض البـاذِل (٨)

لِيَزِلْنَ عنكِ هـــوايَ ثم يَصِـــلْنَني ... وإذا هَـــوِيتُ فمـا هـــوايَ بزائل

صـادتْ فؤادِى يابُثَـــيْنُ حِبالُكُمْ ... يومَ الحَجُونِ وأَخطأَتكِ حبائلى (٩)

---

(١) شيبان : قبيلة عدنانية من بكر بن وائل . الرواجف : الاضطراب والخوف .

(٢) ميعاد ما فى المصاحف : الجنة التى وعد بها الله فى القرآن الذين اشترى أنفسهم .

(٣) هو جميل بن عبد الله بن معمر العذرى صاحب الغزل العفيف الرصين فى بثينة ابنة عمه لقى فى سبيل حبه العنف والنفى حتى التجأ أخيرا الى مصر و بها مات سنة ٨٢ هـ .

(٤) أسجحى : أحسنى العفو .

(٥) يقول : هناك من تعرض لوصلى محتالة فى ذلك تدارى صدق دعوتها بالهزل الظاهرى

(٦) التستر : التغطى والستر .

(٧) القلامة : ما يسقط من الظفر حين قصه . فضلا : بقية خالية من الحب .

(٨) البغيض : المكروه . الباذل : الواصل المنيل .

(٩) الحجون : موضع فى مكة رأى بثينة عنده .

مَنَّيْتِنِي فَلَوَيْتِ ما مَنَّيْتِنِي وجعلْتِ عاجِلَ ما وعدْتِ كآجلِ[١]
وتثاقلتْ لما رأتْ كلَفِي بها أحْبِبْ إلَيَّ بذاكَ من مُتَثاقِلِ[٢]
وأطعْتِ فيَّ عواذلًا فهجرْتِني وعصيْتُ فيكِ ـ وقدجهَدْنَ ـ عَواذِلِي[٣]
حاوَلْنَنِي لأبُتَّ حبْلَ وِصالِكُمْ مِنِّي، ولستُ ـ وإن جَهَدْنَ ـ بِفَاعِلِ
فرَددْتُهنَّ، وقد سَعَيْنَ بهجرِكُمْ لما سعينَ له بأفوقَ ناصِلِ[٤]
يَعْضَضْنَ من غَيظٍ على أنامِلاً وودِدْتُ او يَعْضَضْنَ صُمَّ جنادِلِ[٥]
ويُقالُ : إنكِ يا بُثَيْنَ بَخيلةٌ نَفْسِي فِداؤكِ من ضَنِينٍ باخلِ

(١٨) قال عُمر بن أبي ربيعة[٦] :

لَيْتَ هِندًا أنجزتْنا ما تَعِدْ وشَفَتْ أنفُسَنا مِمّا نَجِدْ[٧]
واستبدَّتْ مَرَّةً واحِدةً إنَّما العاجِزُ من لا يَستبِدّ
زَعَمُوهَا سألتْ جارَتَها، وتعرَّتْ ذاتَ يومٍ تَبْتَرِدْ :[٨]

(١) منّى : رغب وأطمع . لويت : مطلت . سوّيت بين وصل عاجل وآخر آجل فى المماطلة والمنع .

(٢) تثاقلت : تدللت وتمنعت . أحبب الى بذاك أى ما أحبه الى نفسى مدلا .

(٣) جهدن : تعبن كثيرا فى صدى عنك ولوى فى حبى إياك .

(٤) الأفوق : السهم الذى انكسر فوقه، أى رأسه . الناصل : الهزيل المتعب .

(٥) الجنادل : جمع جندلة وهى الحجر . الصم جمع أصم : الصلب .

(٦) نشأ ابو الخطاب عمر بن أبى ربيعة القرشى بالمدينة فى بيت مجد وشرف متأثرا بالطبيعة الحجازية الرقيقة وبعوامل سياسية واقتصادية أنضجت الغزل والغناء بالحجاز فكان هذا الشاعر غزلا زعيم الغزلين وقد مات سنة ٩٣ هـ .

(٧) أنجزتنا ما تعد : وفت بوعدها . مما نجد : أى من الوجد .

(٨) تبترد : تصب الماء البارد على رأسها .

أَحَكَمَا ينعتُـــنِى تُبصِرنَنِى ؟ عَمرَكُنَّ اللهَ ! أم لا يقتَصِــد ! (١)
فتضاحكْنَ ، وقـد قُلنَ لهـا : حَسَنٌ فى كُلِّ عينٍ مَن تَوَدّ ! (٢)
حَسَـــدًا حُمّلنَـــه من شأنهـا وقديمـا كان فى الناس الحسـد
غادةٌ تفـــتَرُّ عـــن أشنبِهـا حين تجـــلوه أقاحٍ أو بَرَد (٣)
ولهـا عينـانِ فى طرفَيْهـــمَا حَوَرٌ منها ، وفى الجيـــد غَيَد (٤)
قلتُ : مَن أنتِ ؟ فقالتْ : أنا من شفَّهُ الوجْدُ ، وأبلاهُ الكَمَد (٥)
نحنُ أهلُ الخَيْف من أهل مِنًى ما لِمقتُـــولٍ قتلنـاه قَـوَد (٦)
قلتُ : أهـلًا ! أنتمُ بُغيَتُنـا ، فتسمَّيْنَ : فقالتْ : أنا هنـد ! (٧)
إنّمـا ضُـلِّل قلبِى فاحتَـــوى صَـــعْدةً فى سابرىٍّ تطَّـرِد (٨)
إنّمـا أهـلُكِ جِيرانٌ لنـا إنّمـا نحنُ وهُمْ شىءٌ أحَـد (٩)

---

(١) ينعتنى : يصفنى ، عمركن الله : أى أذكركن الله ، يقتصد : يعتدل ، فلا يبالغ .
(٢) أى أن من تحبه تعتقد أنه حسن لدى جميع الناس .
(٣) الغادة : المرأة اللينة ، تفتر : تظهر ، الأشنب : الفم فى أسنانه ماء ورقة وعذوبة ، تجلوه تكشفه ، الأقاح : جمع أقحوان وهو البابونج البرى من نبات الربيع له نور أبيض ، البرد : ماء الغمام يسقط جامدا .
(٤) الحور : شدة سواد العين مع شدة بياضها ، الجيد : العنق ، غيد : نعومة .
(٥) شفه الوجد : أهزله الحب ، الكمد : الحزن الشديد .
(٦) الخيف : ناحية من منى عند مكة ، القود : القصاص .
(٧) بغيتنا : مطلبنا .
(٨) ضلل : صار ضالا لا يهتدى ، احتوى : اشتمل ، الصعدة : القناة تنبت مستقيمة لا تحتاج الى مثقف ، شبه بها محبوبته فى اعتدال قدها ، السابرى : الثوب الرقيق الجيد ، تطرد : تمشى مستقيمة .
(٩) شىء أحد : أى شىء واحد .

حَـــدَّثُونا أَنَّهـا لِى نَفَثَتْ عُقَدًا، يا حبَّــذا تلك العُقَد ! (١)
كُلَّمـا قلتُ : متى ميعَادُنا ؟ ضَحِكَتْ هندٌ، وقالتْ : بَعدَ غد!

(١٩) قال الأحوصُ يمدحُ عبدَ العزيزِ بنَ مروانَ : (٢)

أقولُ بِعَمَّانٍ، وهـل طَـرَبِى بِهِ الى أهلِ سَلْع إن تشوَّقتُ نافِـعُ؟ (٣)
أَصاحِ ألم تَحْزُنْكَ ريحٌ مَريضَـةٌ و برقٌ تَلَالَأَ بالعَقِيقَيْـنِ لَامِـعُ (٤)
فإنَّ الغَريبَ الدارِ مِمَّـا يَشـوقُه نَسـيمُ الرِّياحِ والبُرُوقُ اللوامـعُ (٥)
نظرتُ على فَوْتٍ ، وأَوْفَى عَشِيَّةً بِنَا مَنظَرٌ من حِصن عَمَّـانَ يافع (٦)
ولِلْعَينِ أَسْرابٌ تَفيضُ كأنمـا تُعَلُّ بِكُحلِ الصَّابِ مِنها المَدامِـع (٧)

---

(١) نفثت عقدا : سحرتنى ، والنفث : النفخ ، والعقد تكون من خيوط و ينفث فيها قصد السحر .

(٢) هو عبد الله بن محمد الأوسى من شعراء الغزل المجيدين نشأ متأثرا بالبيئة الحجازية كسائر الغزلين ، وامتاز بعصبية يمانية حملتـه على هجاء قريش الحاكمين ، ودعاه سخطه الى الإسراف فى اللهو والنيـل من الأشراف والإسفاف فى المجون حتى عذبه الخلفاء ونفوه الى دهلك ــ جزيرة أمام مصوع ــ وقد مات سنة ١٠٥ هـ .

(٣) عمان : بلد بالشام . سلع : جبل بالمدينة .

(٤) هـذا البيت مفعول أقول . ريح مريضة : هواء عليل . العقيقان : مثنى العقيق : موضع بالمدينة و بالطائف وغيرهما .

(٥) يشوقه : يهيجه .

(٦) فوت : بعد ، وهو على فوت كذا : حيث يراه ولا يصل اليه . أوفى : أشرف . عشية : آخر النهار . يافع : عال أى أشرفنا عشية من مكان عال بعمان لأنظر ديار الأحبة .

(٧) أسراب : جمع سرب دمع . تعل : تسقى أو تكحل مرة بعد مرة . الصاب : شجر مر أو عصارته ، المفرد : صابة . والبيت فى موضع الحال .

لِأُبْصِرَ أحيـاءً بخاخٍ تضمَّنَتْ ... منازِلَهـم منهـا التِلاعُ الدوافِـعُ (١)

فأبدتْ كثيرًا نَظْرَتِى من صَبابتى ... وأكْثَرُ منهـا مَا تُجِنُّ الأَضالِـع (٢)

وكيفَ اشتياقُ المرْءِ يَبكِى صَـبابةً ... الى من نأى عَن دارِه، وهْوَ طائع (٣)

لعمرُ ابنـةِ الزَّيدىّ إنّ ادّكارَها ... على كـلِّ حالٍ للفؤادِ لرائع (٤)

وإنى لذكـراها على كُلِّ حالةٍ ... من الغَوْرِ أو جَلْسِ التِّلادِ لنازِع (٥)

لقد كُنتُ أبكى، والنَّوى مُطمئنَّة ... بنا وبكُمْ من عِلمِ ما البَيْنُ صَانِـع (٦)

وقد ثَبَتَتْ فى الصَّدرِ منهـا مَودَّةٌ ... كما ثَبَتَتْ فى الراحَتَينِ الأصابع (٧)

أَهُمُّ لِأنْسى ذِكْرَها فَيشُـوقُنى ... رِفاقٌ الى أهلِ الحِجـازِ نَوازِع (٨)

وإنَّا عَدَانا عن بلادٍ نُحِبها ... إمامٌ دَعانا نَفْعُـه المتَابِـع (٩)

---

(١) لأبصر متعلق بنظرت السابقة . أحياء جمع حى : القوم . خاخ موضع بين الحرمين و يقال روضة خاخ عند المدينة . التلاع : جمع تلعة : ما علا أو هبط من الأرض . الدوافع : أسافل الأرض السهلة حيث يجتمع المطر . تضمنت : اشتملت .

(٢) الصبابة : الشوق . تجن : تستر .

(٣) أى كيف يشتاق المرء و يبكى شوقا الى أناس رحل عنهم طائعا مختارا ؟ استفهام تعجبى .

(٤) إدّكارها : تذكرها . رائع : معجب .

(٥) الغور : منخفض بين القدس وحوران . جلس التلاد : نجد . نازع : مشتاق .

(٦) مطمئنة : ساكنة لم تفرقنا بعد، لعلمى ما سوف تصنعه من بعادنا .

(٧) الراحة : باطن اليد .

(٨) أهم : أريد .

(٩) عدانا : صرفنا . المتابع : المتوالى .

أغرُّ لمروانٍ وحَرْبٍ كأنه حُسامٌ جلَتْ عنهُ الصَّياقِلُ قاطع (١)
هو الفَرْعُ من عَبدَيْ مَنافٍ كِليهما إليه انتهتْ أحسابُها والدَّسائع (٢)
وكلّ غنيّ فانعٌ بفِعَالِهِ وكلُّ عزيزٍ عنده متواضعُ (٣)

(ج) النثر

(١) من آثار النبي عليه الصلاة والسلام : (٤)

كتب الى خالد بن الوليد (٥)

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمدٍ رسولِ الله الى خالدِ بنِ الوَليد، سلامٌ عليكَ، فإنى أَحمدُ اليكَ اللهَ الذى لا إلهَ إلا هُوَ (٦) (أمّا بعدُ) فإنَّ كِتابك جاءَنى مع رَسُولِك يُخبرُنى أنَّ بنِي الحارث بنِ

(١) الأغر : السيد الشريف . مروان : أبو الممدوح، وحرب جدّه الأعلى . الحسام : السيف . جلت عنه : صقلته . الصياقل : جمع صيقل وهو شحاذ السيوف وجلاؤها .

(٢) عبدا مناف : بطنان من قصى وكلاب . الدسائع جمع دسيعة : العطية العظيمة والجفنة والمائدة الكريمة . الأحساب جمع حسب : وهو الشرف . (٣) الفعال بفتح الفاء : الفعل الحسن أو الكرم .

(٤) هو نَبِينا محمدٌ بن عبدالله بن عبد المطلب بن هاشم القرشى العدنانى رسول الشريعة الإسلامية وزعيم النهضة العربية، ولد عليه السلام عام الفيل بمكة يتيما ونشأ نشأة طاهرة نبيلة متأدبا بالأدب القرشى الهاشمى، يمثل أكرم خلق وأشرف سيرة . فلما بلغ الأربعين أرسله الله بالاسلام الى الناس كافة وأيده بالقرآن الكريم فلقى فى نشره قبل الهجرة و بعدها ما يلقى مثله مبعوث فى بيئة جاهلية وفترة مظلمة حتى دان له العرب قبيل وفاته، وحتى أعدهم لتكوين هذه الدولة الإسلامية العظيمة ونشر هذا الدين القويم . وقد توفى وله من العمر ٦٣ سنة .

(٥) خالد بن الوليد أحد قواد الاسلام النابهين، أرسله الرسول عليه السلام سنة عشر هجرية الى بنى الحارث بن كعب بنجران وأمره أن يدعوهم الى الاسلام قبل أن يقاتلهم ثلاثا فان استجابوا و لا قاتلهم . فلما أسلم الناس كتب الى الرسول بذلك . فأرسل اليه هذه الرسالة التى نشرحها .

(٦) أحمد اليك الله : أشكره معك أو لأجل نعمته عليك .

كعب قد أسلموا قبل أن نقاتلهم ، وأجابوا الى ما دعوتهم اليه من الإسلام ، وشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، وأن قد هداهم الله بهداه . فبشرهم ، وأنذرهم (١) . وأقبل ، وليقبل معك وفدهم . والسلام عليك ورحمة الله وبركاته !

أول خطبة خطبها بمكة حين دعا قومه الى الإسلام

قال بعد أن حمد الله وأثنى عليه :

إن الرائد (٢) لا يكذب أهله ، والله لو كذبت الناس ما كذبتكم ، ولو غررت الناس ما غررتكم (٣) ، والله الذى لا إله إلا هو إنى رسول الله اليكم حقا ، والى الناس كافة . والله لتموتن كما تنامون ، ولتبعثن كما تستيقظون ، ولتحاسبن بما تعملون ، ولتجزون بالإحسان إحسانا وبالسوء سوءا ، وإنها للجنة أبدا ، أو النار أبدا ، وإنكم لأول من أنذر بين يدى عذاب شديد .

ومن أحاديثه عليه السلام :

لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه (٤) .

المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده (٥) ، والمؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم .

---

(١) بشرهم : أخبرهم بثواب أعمالهم الخيرية . أنذرهم : خوفهم نتائج الشر .

(٢) الرائد : الذى يبعثه قومه ليبحث لهم عن مكان صالح ينزلون فيه .

(٣) غررت الناس : خدعتهم غشا .

(٤) أى لا يكمل إيمان الشخص إلا بذلك .

(٥) أى من شر قوله وعمله .

من لا يَشْكُرُ النّاسَ[1] لا يَشْكُرُ اللهَ .

لا حَسَدَ إلا في اثْنَتَين : رَجُلٍ آتاهُ اللهُ الحكمةَ ، فهو يَقْضِي بها ويُعَلِّمُها ، ورجلٍ آتاه الله مالًا ، فسَلَّطَهُ على هَلَكَتِهِ في الحَقِّ .

يَهْرَمُ ابنُ آدمَ ويَشِبُّ فيه اثْنَتانِ : الحِرْصُ على المالِ ، والحِرصُ على العُمُرِ .

إنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إليّ وأَقْرَبِكُمْ مِنّي مَجْلِسًا يومَ القيامةِ أَحاسِنَكُمْ أَخْلاقًا ، وإنَّ أَبْغَضَكُمْ إليّ وأبعدَكُمْ مِنّي مَجْلِسًا يومَ القيامةِ الثَّرْثارُونَ[2] والمُتَشَدِّقُونَ والمُتَفَيْهِقُونَ . قالوا يا رسولَ الله : ما المُتَفَيْهِقُونَ؟ قال : المتكبِّرونَ .

كُلُّكُم راعٍ ، وكُلُّكُمْ مَسئولٌ عن رعيّتِهِ ، فالإمامُ راعٍ ومَسئولٌ عن رَعِيَّتِهِ ، والرجلُ راعٍ في أهلِهِ ، وهو مسئولٌ عن رعيّته ، والمرأةُ في بَيتِ زوجِها راعيةٌ وهي مَسْئولةٌ عن رَعيَّتِها ، والخادمُ في مالِ سيِّدِه راعٍ وهو مسئولٌ عن رَعيَّته .

بيْنَما رجلٌ يَمْشي بِطريقٍ اشتدَّ عليه العَطَشُ ، فوجدَ بِئْرًا فنزَلَ فيها فَشرِبَ ثم خَرَجَ . وإذا كَلْبٌ يَلْهَثُ[3] يأكُلُ الثَّرَى من العَطَشِ ! فقال الرجل : لقد بلغ هذا الكلبَ من العطشِ مثلُ الذي كانَ بَلَغَ مِنّي . فنزل البئرَ ، فملأَ خُفَّهُ ماءً ثم أمسَكَه بفِيهِ حتى رَقِيَ ، فسَقَى الكلبَ ، فشكر الله تعالى لَهُ فغفر لَهُ !

مَن يُحْرَمِ الرِّفقَ يُحْرَمِ الخيرَ كُلَّه .

---

(١) أى من لا يشكر الناس على معروف فكأنه لم يشكر الله تعالى عليه لأن الناس وسيلة الخير

(٢) الثرثار: الذى يكثر الكلام تكلفا وتجاوزا وخروجا عن الحق ، المتشدق الذى [illegible]

(٣) يلهث : يخرج لسانه من تنفس شديد عطشا أو إعياء .

خَيْرُ الصَّدَقَةِ ما كان عن ظَهْرِ غِنًى . وابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ .

إذا كانُوا ثلاثةً(١) فلا يَتَناجَى(٢) اثْنَانِ دُونَ الثَّالِثِ ، فإن ذلك يُحْزِنُه .

القُضاةُ ثلاثةٌ : واحدٌ في الجنةِ ، واثنانِ في النارِ . فأمّا الذي في الجنة فرجلٌ عَرَفَ الحقَّ فقَضَى به ، ورجلٌ عرَفَ الحقَّ وجارَ في الحُكْمِ فهو في النّارِ ، ورَجُلٌ قضى للنّاسِ على جَهْلٍ فهو في النار .

لأَنْ يأخُذَ أحدُكم أَحْبُلَه ، ثم يأتِيَ الجَبَلَ ، فيأتي بحُزْمةٍ على ظَهرِه فيبيعَها خيرٌ له من أن يَسأَلَ الناسَ ، أعْطَوْه أو مَنَعوه .

(٢) نموذج من كلام أبي بكر الصديق :(٣)

لمَّا تُوفِّيَ الرسول عليه السلام واضْطَرَبَ الناس خطَبهم فقال :

أيُّها النَّاسُ مَن كان يعبُد محمَّداً فإن محمدا قد ماتَ ، ومَن كان يعبُد اللهَ فإن اللهَ حيٌّ لا يموتُ ، وإن الله قد تَقدَّم إليكم في أَمْرِه(٤) فلا تَدَعوه جزعا ، وإن الله قد اختار لنَبِيِّه ما عنده على ما عِندكم ، وقَبَضَه الى ثَوابِه ، وخَلَّفَ فيكم كتابَه وسُنَّةَ نبيِّه ، فمن أخَذَ بهما عَرَفَ ، ومن فرَّق بينهما أنكَر . يأيُّها الَّذينَ آمنوا كُونُوا قَوَّامينَ بالقسط(٥)

---

(١) أي الجمع أو الجلوس .

(٢) يتناجى : يتسار .

(٣) هو عبد الله بن أبي قحافة القرشي نشأ عالما كريما حليما وكان أسبق الرجال إسلاما وأشدهم بلاء في نصرة رسول الله وولى شئون المسلمين بعد الرسول فساسهم بحكمة ولين حتى توفى سنة ١٣ هـ .

(٤) أظهركم على نهايته بوفاته فلا تعرضوا عن قضاء الله جزعا .

(٥) القسط : العدل .

ولا يَشْغَلَنَّكُمُ الشيطانُ بموْتِ نبيكم، ولا يفْتِنَنَّكُمْ عَنْ دينكُمْ، فعاجِلوه بالذى تُعْجِزُونَه ولا تستَنْظِرُوه(١) فيَلْحَق بكم .

خطبة له أخرى :

وقد جاء مال من البَحْرَيْن سَاوَى فيه بين الناس فغضِب الأنصار(٢) .

فحمِد الله وأثنَى عليه وصلَّى على النَّبي صلى الله عليه وسلم ثم قال :

يا معْشَرَ الأنصار إن شئتُمْ أن تقولوا : إنا آويْنَاكُمْ فى ظلالنا ، وشاطَرْناكُمُ فى أموالِنا، ونصرناكم بأنفسنا قلتم ، وإن لكم من الفضل ما لا يُحصيه العَدُّ وإن طَالَ به الأَمَدُ ، فنحنُ وأنتم كما قال طُفَيْلٌ الغَنَوِىُّ(٣) :

جَزَى اللهُ عَنَّا جَعْفَرًا حِينَ أَزْلَقَتْ بِنَا نَعْلُنَا فى الْوَاطِئِينَ فَزَلَّتِ(٤)
أَبَوْا أَنْ يَمَلُّونَا، ولَوْ أَنَّ أُمَّنَا تُلَاقِى الذى يَلْقَوْنَ مِنَّا لَمَلَّتِ
هُمُ أَسْكَنُونَا فى ظِلَالِ بُيُوتِهِمْ ظِلَالِ بُيُوتٍ أَدْفَأَتْ وأَظَلَّتِ

(٣) من كلام عمر بن الخطاب(٥) . خطبته إذ ولى الخلافة :

صعِد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

يأيها النَّاس إنى داعٍ فأمِّنوا، اللَّهُمَّ إنى غَليظ فَلَيِّنِّى لأهلِ طَاعَتِكَ بموافقة الحق ابتِغَاءَ وَجْهِك والدارِ الآخرة ، وارزقنى الغِلْظَةَ والشِّدة على أعدائِك وأَهْلِ الدَّعَارَة(٦)

(١) لا تستنظروه : أى لا تتأنوا عليه بل عاجلوه باعتزام الخير ونفاذه . (٢) الأنصار: الذين نصروا الرسول بعد الهجرة الى المدينة وأكثرهم من الأوس والخزرج ، وبقابلهم المهاجرون الذين يتحدث أبو بكر بلسانهم . (٣) شاعر جاهلى من قيس . (٤) كناية عن الحاجة وسوء الحال .
(٥) عمر بن الخطاب القرشى ثانى الخلفاء الراشدين كان فى الجاهلية زعيا شجاعا أسلم وخلف أبا بكر على شئون المسلمين فكان مثال الحزم والصرامة وقتل سنة ٢٣ هـ . (٦) الخبث والفسق والشر .

والنفاقِ من غير ظُلْمٍ مِنِّى لهم ولا اعْتِدَاءٍ عليهم . اللهم إنى شَحِيحٌ فَسَخِّنِى فى نَوَائب المعروف قصـدًا مِنْ غير سَرَفٍ ولا رِياء ولا سُمْعة ، واجعلْنى أبتغِى بذلك وجهَكَ والدارَ الآخرة، اللهم ارزقنى خَفْضَ الجَناحِ(١) ولِينَ الجانب للمؤمنين، اللهـم إنى كثيرُ الغفلةِ والنِّسيانِ، فألْهِمْنِى ذِكْرَكَ على كلِّ حال، وذِكْرَ الموت فى كل حين، اللهـم إنى ضَعيفٌ عِندَ العمل بطاعَتِك فارزُقنى النشاطَ فيها والقوةَ عليها .

(٤) من كلام عثمان خطبته حين بويع : (٢)

الحمد لله ، أيهـا النَّاسُ اتَّقُوا الله فإنَّ الدنيا كما أخبرَ الله عنها لَعِبٌ ولَهْوٌ وزِينَةٌ وتَفَاخُرٌ، خيرُ العبـاد فيها من عَصَمَ(٣) واستعصم بالله وبكتابه ، وقد وُكِلْتُ مِن أمركم بعظيم لا أرجو العونَ عليه إلَّا مِن اللهِ، ولا يُوَفِّقُ للخير إلَّا هُوَ . وما توفيقِى إلا بالله عليه توكلتُ وإليه أُنِيبُ(٤) .

وخطب وهو محصور فقال :

أيها الناسُ ! إنَّ عمرَ بنَ الخطَّاب صَيَّرَ هذا الأمرَ شُورَىٰ فى ستَّةٍ تُوُفِّىَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسـلم وهو عنهم راضٍ . فاختارونى وأجمعوا علَىَّ ولم آلُ عن العمل

---

(١) خفض الجناح : التواضع واللين .

(٢) هو عثمان بن عفان الأموى القرشى ، كان من أسبق الناس إلى الاسـلام ومعونة مجاهديه ولى الخلافة بعد عمر وقتل بعد أن حوصر سنة ٣٥ هـ .

(٣) استعصم : تحصن وذلك باتباع الدين وعصم نفسه حصنها من الإثم .

(٤) أنيب : أرجع .

بالحق . وما توفيقي إلا بالله ، وما أعلم أن لى ذنبا أكثر من طُول ولايتى عليكم ، ولعل بعضكم أن يقول ليس كأبى بكر وعمر ، أجَلْ، أجَلْ! لَسْتُ كَهُمَا ، والأشياء أشباه ؛ قريبٌ بعضها من بعض ، وقد زعمتُمْ أنكمْ تخلعوننى فلا دُونَ أن تعروني[1] بأمرٍ لا يُحِلّ نى إلا خلعها من عُنقي ، وأما العُتْبى فلكم . ونعمتِ العُتْبى .

(٥) خطب على بن أبى طالب[2] فى استنفار الناس إلى أهل الشام فقال :

أُفٍّ لكم ! لقد سئِمتُ عتابَكم . أرضيتم بالحياةِ الدنيا من الآخرة عِوضا ، وبالذّل عن العِزِّ خلفا . وإذا دعوتكم إلى جهاد عدوكم دارتْ أعينكم كأنكم مِنَ الموت فى غَمْرةٍ ، ومن الذُّهول فى سكرةٍ . يُرتَجُ عليكم حوارِى[3] فتعمهون ؛ فكأنّ قلوبكم مألوسةٌ[4] ؛ فأنتم لا تعقلون . ما أنتم لى بثقةٍ سَجِيسَ[5] الليالى ، ولا زوافرُ[6] عِزٍّ يُفتقرُ إليكم . وما أنتم إلا كإبلٍ ضلَّ رُعَاتُها ؛ فكلما جُمِعتْ من جانب انتشرتْ من آخر . لبئس لعمر الله سعرُ[7] نار الحرب أنتم ، تُكادُون ولا تَكيدُون ، وتُنتقَص أطرافُكم فلا تَمتعضُون ، لا يُنَامُ عنكم وأنتم فى غفلةٍ ساهون ، غُلِبَ والله المتخاذلون . وأيمُ اللهِ إنى لأظُنُّ بكم أن

(١) تعروني : تلحقون بى شرا فعلته من عره أساءه أو لطخه بالشر .

(٢) ولد على بن أبى طالب قبيل البعثة ونشأ فى الإسلام وشب شجاعا بليغا فانيا فى نصرة الدين . ولما قتل عثمان بايعه الناس بالحجاز ولكن معاوية بن أبى سفيان وأهل الشام نازعوه الحكم وتحاربت الطائفتان مدة حتى قتل على غيلة سنة ٤٠ هـ .

(٣) يرتج عليكم : يغلق فلا تهتدون لفهمه . حوارى : محاورتى .

(٤) مألوسة مخلوطة .

(٥) سجيس الليالى : طول الليالى أى أبدا .

(٦) الزوافر : جمع زافرة : عشيرة الرجل أو ركن البناء .

(٧) السعر هنا : الوقود من سعر النار أوقدها .

ـ حَمِسَ الوغى (١) واستحرَّ الموت قد انفرجتم عن ابن أبي طالب انفراجَ الرأس (٢) . الله إن امرأً يُمَكِّنُ عدوَّه من نفســه، يَعْرُق لحمــه، ويُهشم عظمَه، ويفري جلده (٣) لعظيمٌ عجزُه، ضعيفٌ ما ضُمَّت عليه جوانحُ صدرِه (٤)! أنتَ فكُنْ ذاكَ إن شئتَ، فأمَّا أنا، فوالله دونَ أن أُعطيَ ذلك ضَرْبٌ بالمَشْرَفيَّة يطير منه فَرَاشُ الهامِ (٥)، وتطيحُ السَّواعدُ والأقدامُ ، ويفعل اللهُ بعد ذلك ما يشاءُ ! أيها الناس إنَّ لي عليكم حقاً ، ولكم عليَّ حق . فأما حقكم عليَّ فالنصيحة لكُم، وتوفير فَيْئِكُمْ (٦) عليكم ، وتعليمُكم كي لا تجهلوا، وتأديبكم كيما تعملوا، وأما حقي عليكم فالوفاء بالبَيْعَة، والنصيحة في المشهد والمغيب، والإجابة حين أدعوكم، والطاعة حين آمركم .

ومن كتاب له إلى بعض عماله يلومه :

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعدُ، فإني كنتُ أشركتُكَ في أمانتي وجعلتك شِعارِي وبِطانتي (٧)،ولم يكن رجلٌ من أهلي أوثقَ منكَ في نفسي لمواساتي وموازرتي (٨) وأداء الأمانة إليَّ . فلمـا رأيتَ

(١) حمس الوغى : اشتدت الحرب . استحر : بلغ غاية شدته .

(٢) أي انفراجا لا يلتئم .

(٣) أي يأكل لحمه لا يبق منه شيئا على العظم، ويفرى : يمزق .

(٤) جوانح الصدر : ضلوعه، والمراد القلب .

(٥) المشرفية : السيوف تنسب الى قرى تدنو من الريف (مشارف الشام) الهام . الرءوس : جمع هامة وفراشها عظامها الرقيقة .

(٦) الفيء : الخراج وما يحويه بيت المال .

(٧) الشعار : ما يمس الجسد من اللباس، وبطانة الثوب : خلاف ظهارته، والمراد جعلتك من خاصتي .

(٨) الموازرة : المناصرة .

الزمان على ابن عمك قد كَلِبَ ، والعدوّ قد حَرِبَ ، وأمانة الناس قد خَزِيَتْ(١) ، وهذه الأمة قد فَتَكَتْ وشَغَرَتْ(٢) قلبتَ لابن عمك ظَهْرَ المِجَنِّ(٣) ، ففارقته مع المفارقين ، وخذلته مع الخاذلين ، وخنته مع الخائنين ، فلا ابنَ عمك آسَيْتَ ، ولا الأمانةَ أدّيت .

وكأنك لم تكن الله تُرِيدُ بجهادك ، وكأنك لم تكن على بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكَ ! وكأنك إنما كنت تَكِيدُ(٤) هذه الأمّة عن دنياهم ، وتَنْوِى غِرَّتَهُمْ عَنْ فَيْئِهِمْ(٥) ! فلما أمكنتك الشِّدَّةُ فى خيانة الأمة أسْرَعْتَ الكرة وعاجلت الوثبة ، واختطفت ما قدرت عليه من أموالهم المصونة لأراملهم وأيتامهم ، واختطفت اختطاف الذئب الأَزَلِّ دَامِيَةَ المِعْزَى الكَسِيرَةِ(٦) فحملته الى الحجاز رَحِيبَ الصَّدْرِ بحمله غير مُتَأَثِّمٍ(٧) من أخذه ، كأنك — لا أبا لغيرك(٨) — حَدَرْتَ إلى أهلك تُرَاثًا من أبيك وأمك . فسبحان الله ! أما تؤمن بالمعاد ، أو ما تخاف نِقَاشَ(٩) الحساب أيها المعدود كان(١٠) عندنا من ذوى الألباب . كيف تُسِيغُ(١١) شرابا وطعاما وأنت تعلم أنك تأكل حراما وتشرب حراما !

---

(١) كلب : كفرح : اشتد وخشن ، وحرب : اشتد غضبه ، وخزيت : فسدت .

(٢) فتكت الجارية : مجنت ومجون الأمة أخذها بغير الحزم ، ومعنى شغرت : خلت من الحماة .

(٣) المجن : الترس يكون ظهره جهة العدو فى الحرب ، وهذا مثل يضرب للغادر .

(٤) كاده عن الأمر : خدعه حتى ناله منه .

(٥) الغرة : الغفلة ، والفىء : مال الغنيمة والخراج .

(٦) الأزل : السريع الطرد ، والدامية : المجروحة ، والكسيرة : المكسورة ، والمعزى : أخ الضأن اسم جنس كالمعز والمعيز .

(٧) التأثم : التحرز من الإثم بمعنى الذنب .

(٨) لا أبا لغيرك : توبيخ لطيف وأصلها لا أبا لك المستعملة فى الذم غالبا ، ومعنى حدرت : أسرعت الحمل به ، تراثا أى ميراثا .

(٩) النقاش : المناقشة بمعنى الاستقصاء فى الحساب .

(١٠) كان هنا زائدة لإفادة معنى المضى فقط .

(١١) ساغ الشراب : بلعه سهلا .

(٦) خطب معاويةُ حين قدم المدينة عام الجماعة :(١)

حمد اللهَ وأثنى عليه ثم قال :

أما بعدُ، فإنّي واللهِ ما وليتها بمَحبّةٍ علمتُها منكم(٢) ، ولا مَسَرّةٍ بِولايَتِي ، ولكنّي جالدتكم بسيفي هذا مُجالدةً(٣) ولقد رُضتُ لكم نفسي(٤) على عمل ابن أبي قحافة(٥) ، وأردتها على عمل عمر، فنفرت من ذلك نِفارا شديدا ، وأردتُها على سُنَيَّات عثمان فأبتْ عليّ ، فسلكتُ بها طريقًا لي ولكم فيه مَنفعةٌ : مؤاكلةٌ حسنة ومُشاربة جميلة . فإن لم تَجدوني خَيْرَكم فإني خيرٌ لكم ولايةً ، والله لا أحمل السيفَ على مَن لا سيفَ له وإن لم يكنْ منكم إلا ما يَستشفِي به(٦) القائلُ بلسانه فقد جعلتُ ذلك له دبرَ أُذني(٧) وتحتَ قَدَمِي ، وإن لم تجدُوني أقومُ بحقكم كُلّه فاقبلوا مِنّي بعضَه ، فإن أتاكم مني خيرٌ فاقبلوه ، فإن السيلَ إذا جاء أَثْرَى ، وإِن قَلَّ أغنى(٨) ، وإيّاكم والفتنةَ ، فإنها تُفسِدُ المَعِيشَةَ وتُكدِّر النِّعْمَةَ .

---

(١) هو معاوية بن أبي سفيان بن حرب الأموي القرشي ، ولد قبل ظهور الإسلام وأسلم عام الفتح ، وورث عن آله الدهاء وسداد الفكر ، نازع عليا الخلافة حتى غلبه عليها . وأقام الدولة الأموية ، ثم صالح عليها الحسن بن على عام ٤١ هـ ، وهو المسمى عام الجماعة ، وكانت وفاته سنة ٦٠ هـ .

(٢) الضمير في وليتها يعود على الخلافة المفهومة من قرائن الأحوال .

(٣) جالد بالسيف : ضارب به .

(٤) ذللتها وطوعتها .

(٥) هو أبو بكر .

(٦) يستشفي : يزيل غيظه .

(٧) دبر : خلف أي أطرحه .

(٨) أثرى الناس : جعلهم مثرين ، وأغناهم : جعلهم يكتفون .

(٧) من خطبة زياد بالبصرة [١]

أمّا بعدُ، فإنّ الجَهالةَ الجَهْلاءَ [٢] والضّلالةَ العَمياءَ [٣]، والغَيَّ المُوفِيَ بأهْلِه على النارِ، ما فيه سُفَهاؤُكم [٤]، ويشتَمِل عليه حُلَماؤُكم [٥]: من الأُمورِ العظامِ ينبُتُ فيها الصغيرُ، ولا يتحاشَى عنها الكبيرُ، كأنكم لم تقرءُوا كتابَ اللهِ، ولم تسمعُوا ما أعدّ اللهُ من الثوابِ الكريمِ لأهلِ طاعتهِ، والعذابِ الأليمِ لأهلِ معْصيتِهِ فى الزمنِ السَّرْمدِى [٦] الذى لا يزول.

أتكونونَ كَمَن طرفَتْ عينَيْه الدنيا [٧]، وسدَّتْ مسامِعَه الشهوات [٨]، واختار الفانيَة على الباقيةِ، ولا تذكرون أنكم أحدثتم فى الإسلام الحدثَ الذى لم تُسبَقُوا اليه: من تركِكم الضعيفَ يُقهرُ ويؤخذ ماله.

* * *

إنّى رأيتُ آخرَ هذا الأمرِ [٩] لا يصلُح إلا بما صَلَح به أوّلُه: لِينٌ فى غيرِ ضَعفٍ، وشِدّةٌ فى غيرِ عُنفٍ، وإنى أُقسِم باللهِ لآخذنَّ الوَلِيَّ بالمَوْلى [١٠]، والمُقِيمَ بالظاعن [١١]،

---

(١) هو زياد بن أبى سفيان، نشأ فى الإسلام ذكى القلب حادّ اللسان داهية خطيبا. وقد تقلد عدّة مناصب فى الدولة منها ولايته البصرة لمعاوية حيث خطب هذه الخطبة التى تجدها بأكملها فى الجزء الثانى من هذا الكتاب وقد توفى زياد سنة ٥٣ هـ.

(٢) الجهلاء: الشديدة كقولهم: ليلة ليلاء للتوكيد. (٣) الشديدة: لا هداية معها.

(٤) السفيه: سيئ الخلق عديم الحلم. (٥) الحليم: ضد السفيه.

(٦) السرمدى: الدائم. (٧) أى جعلته لا يبصر شيئا، ولا يعنى إلا بها.

(٨) أى أنه صار أسير شهواته يسمع لها فقط. (٩) يريد بالأمر: الحكومة الإسلامية.

(١٠) أى أعاقب السيد بجريرة خادمه. (١١) الظاعن: المسافر.

والمُقبِـل بالمدْبرِ ، والمطيعَ بالعاصِي ، والصحيحَ منكم فى نفسه بالسقيم ، حتَّى يلقَ الرجُل منكم أخاهُ فيقول : أنجُ سَعْد، فقد هلك سُعَيْد(١) أو تستقيم قناتكم(٢) .

أيها الناسُ : إنَّا أصبحْنا لكمْ ساسةً ، وعَنكمْ ذادةً، نسوسُكم بسُلطانِ الله الذى أعطانا ، ونَذُودُ عنكم بفَيْءِ الله الذى خوَّلنا(٣) ، فلنا عليكم السمعُ والطاعةُ فيما أحببنا ، ولكم عَلَيْنا العدلُ فيما وَلِينا ، فاستوجبوا عدْلنَا وفيْئنا بمُناصَحتكم لنا . واعلَموا أنِّى مهما قصَّرتُ عنهُ فلن أقصِّرَ عن ثلاثٍ : لستُ مُحتجبًا عن طالبِ حاجةٍ منكمْ ولو أتانى طارِقًا بِلَيـل، ولا حابِسًا عطاءً ولا رِزْقًا عن إبَّانِه(٤) ، ولا مُجمِّرًا(٥) لكمْ بَعْثًا . فادعُوا الله بالصَّلاحِ لأئمتكم ، فإنَّهم ساستُكم المؤدِّبون لكم ، وكهفكُم الذى اليه تأوُون ، ومتى يَصْلُحوا تَصْلُحوا . ولا تُشربوا قلوبكم بُغضَهم ؛ فيشتدَّ لذلك غيظُكم ، ويطولَ له حُزنكم ، ولا تُدركوا له حاجَتكُم ، مع أنه لو استُجيبَ لكم فيهم لكان شرًّا لكم(٦) ، أسألُ الله أن يُعينَ كُلًّا على كُلّ .

---

(١) مثل يضرب فى تتابع الشر .

(٢) القناة : الرمح أو عوده مشبه به .

(٣) الفيء : الخراج والغنيمة ، والفيء : الظل يستعار للسلطان . خولنا : ملكنا .

(٤) إبان الشيء : أوانه .

(٥) تجمير الجند أو البعث : إبقاؤهم فى عملهم وحبسهم فى أرض العدو .

(٦) أى لو نالهم بشر لا تجدون مثلهم .

(٨) وخطب عُتبة بن أبي سُفيان(١) حين أرجف أهل مصر بموت معاوية

حمد الله وأثنى عليه ثم قال :

يأهلَ مصرَ قد طالَت مُعاتبتُنا إياكُم بأَطرافِ الرِّماحِ وظُبَاتِ(٢) السيوف حتى صِرْنا شَجًا في لَهَواتِكم ما تُسيغُهُ حُلوقكُم(٣)، وقذًى في أعيُنِكم ما تَطرِفُ عليه جُفونُكم(٤). أفحين اشتدَّتْ عُرَى الحقِّ عليكم عَقدًا(٥)، واسترخَتْ عُقَد الباطل منكم حلًّا(٦)، أرجفتم(٧) بالخليفة، وأردتُم تَوهينَ الخلافة(٨)، وخُضْتُم الحقَّ الى الباطل(٩)، وأقدمُ عهدِكم به حديث(١٠)، فاربحُوا أنفسَكم إذ خَسِرتُم دِينَكم. فهذا كتابُ أميرِ المؤمنين بالخبَر السارِّ عنه، والعهدِ القريب مِنْه. واعلَموا أنَّ سُلطانَنا على أبدانِكُم دونَ قُلوبِكم ؛ فأصلِحُوا

(١) هو أخو معاوية كان خطيبا عظيما ، ولاه مصر . وكان أهلها يتنمرون له فكان يعتمد على الوعيد والتهديد .

(٢) الظبات : جمع ظبة حدّ السيف والسنان .

(٣) الشجا : ما اعترض فى الحلق من عظم ونحوه . واللهاة اللحمة المشرفة على الحلق فى أقصى سقف الفم . والمقصود أننا صرنا أعداءكم . تسيغه : تبلعه سهلا .

(٤) القذى : ما يقع فى العين فتدمع وتتألم منه . تطرف : تنطبق .

(٥) العرى : جمع عروة . عقدا : أى ربطا شديدا محكما . (المعنى) حينما حملناكم على الحق .

(٦) أى حينما حيل بينكم وبين الباطل .

(٧) أرجفتم : خضتم فى الأخبار السيئة .

(٨) أى أضعافها .

(٩) خضتم الحق الى الباطل : أى دستم الحق فى سبيل الوصول الى الباطل .

(١٠) أى إن آخر مرة تعرفون عنه خبرا قريبة ، فكيف ترجفون بموته .

انــا ما ظَهر، ونَكِلُكُمْ الى الله فيما بَطَن، وأَظهِروا خيْرا وإن أضمرتم شرًّا، فانكم حاصِدون ما أنتم زارعونَ، وعلى الله أتوكّل وبه أستعين .

(٩) وكتب الحجّاج[1] الى عبد الملك فى شأن عُرْوةَ بن الزُّبَيْر

وكان عروةُ عاملا على اليمن ولجأ الى عبد الملك

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

أما بعــدُ، فإنّ لَوذانَ المُعْتَرِضينَ بك[2]، وحُلُولَ الجانِحين الى المُكْث بساحتك، واستلانَتَهُم دَمَثَ أخلاقِك، وسَعَةَ عَفْوك، كالعارِض المُبْرِق لأعدائه لا يَعْــدَمُ له شائِمــا[3]، رجاءَ استمالةِ عَفْوك؛ وإذا أُدْنِى النــاسُ بالصَّفح عن الجــرائم كان ذلك تمرينا لهم على إضاعةِ الحقوق مع كل ضالّ، والناسُ عَبِيــدُ العَصا[4]، هم على الشّدةِ أشــدُّ استباقًا منهم على اللين . ولنا قِبَــلَ عُرْوةَ بنِ الزُّبَيرِ مالٌ مِنْ مالِ الله، وفى اسْتِخْراجه منه قَطْعٌ لطمَع غيره؛ فَلْيَبْعَثْ به أميرُ المؤمنينَ إن رأى ذلك والسلام .

(١) هو أبو محمد الحجاج بن يوسف الثقفى ولد سنة ٤١ هـ . وتربى فى الإسلام مع الاحتفاظ بشخصية جاهلية عنيفة ظهرت آثارها فى أعماله وفى كلامه . وقد ولى عدّة مناصب لبنى أمية واشتهر بالخطابة القوية وسياسة العنف كما ترى ذلك فى خطبته التالية وفى الأخرى المذكورة فى الجزء الثانى لهذا الكتاب وقد توفى سنة ٩٥ هـ .

(٢) أى التجاءهم اليك .

(٣) العارض المبرق : السحاب ذو البرق . الشائم : الناظر الى البرق أين يتجــه وأين يمطر، والمراد أن هذا يحمل الأعداء على تأثر ذلك فيستهينون بأمر السلطان .

(٤) أى يحكمون بالرهبة لا باللين والرغبة .

فكتب اليه عبد الملك (١)

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعدُ، فإنّ أميرَ المؤمنين رآكَ مع ثِقَتِه بنصيحتك خابِطا فى السياسة خَبْطَ عَشْوَاءِ الليل (٢)، فإن رأيك الذى يُسَوِّلُ لك أن الناسَ عبيدُ العصَا هو الذى أخرج رِجَالَات العَرَبِ الى الوثوب عليك، واذا أخرجتَ العامَّة بِعُنْفِ السياسة، كانوا أوشكَ (٣) وُثُوبًا عليكَ عند الفرصةِ، ثُمَّ لا يَلْتَفِتُونَ الى ضَلالِ الداعى ولا هُدَاهُ، إذا رَجَوْا بذلك إدراكَ الثَّأرِ منك . وقد وَلِيَت العِراقَ قبلَك سَاسَة، وهم يومئذٍ أحْمَى أنُوفًا (٤)، وأقربُ من عَمْيَاءِ الجاهِلَّية (٥)، وكانُوا عليهِمْ أصلحَ منهم عليك، وللشدَّة واللين أهْلُون، والإفراطُ فى العفو أفضلُ من الإفراطِ فى العقوبةِ والسلام .

(١٠) خطبَ الحَجَّاجُ بنُ يُوسفَ أهلَ العِراق بعدَ دَيرِ الجماجِم (٦) فقال :

يأهلَ العِراقِ : إنَّ الشَّيْطانَ قد استبطَنكم (٧) فخالطَ اللحمَ والدَّمَ والعَصَبَ والمسامِعَ والأطرافَ، والأعضاءَ والشَّغاف (٨)، ثم أفْضَى الى الأمْخَاخِ والأصماخِ (٩)، ثم ارتفع

---

(١) عبدالملك بن مروان خامس خلفاء بنى أمية شب عاقلا أديبا حازما وخلف أباه على الملك فكان من أنبه حكام المسلمين استطاع قمع الثائرين على بنى أمية وتقوية سلطانه فى البلاد الاسلامية . وكانت وفاته سنة ٨٦ هـ .

(٢) العشواء : الناقة لا تبصر ليلا فتدوس ما يصادفها . والمراد أنك تسلك فى السياسة سبيلا ضالة .

(٣) أوشك : أسرع . (٤) أعز نفسا . (٥) عمياء الجاهلية : جهالتها وسفهها .

(٦) دير الجماجم : موضع بظاهر الكوفة حيث كانت الوقعة الفاصلة بين الحجاج وعبد الرحمن بن الأشعث الذى خرج على بنى أمية ، وانتهى أمره بقتل نفسه .

(٧) استبطنكم : دخل بطنكم أى تمكن منكم . (٨) الشغاف من القلب : غلافه أو حبته .

(٩) الأصماخ : خروق الأذن ، وكل هذه العبارات تمثيل لسلطان الشيطان على نفوسهم .

فعشّش ثم باض وفرّخ ، فحشاكم نِفاقًا وشِقاقًا ، وأشعركم خِلافًا ، أخذتموه دليلاً تتّبعونه وقائدا تُطيعونه ، ومؤامِرًا تستشيرونه ، فكيف تنفعكم تجربةٌ أو تعظكم وقعةٌ أو يحجزكم إسلام أو ينفعكم بيان ؟

ألَستم أصحابي بالأهواز(١) حيث رُمتم المكر ، وسعيتم بالغَدْر ، واستجمعتم للكُفْر ، وظننتم أن الله يخذُل دينَه وخلافته ، وأنا أرميكم بِطَرْفي(٢) وأنتم تتسلَّلُون لِواذًا ، وتنهزِمون سِراعا ؟ ثم يومَ الزاوية(٣) وما يومُ الزاوية ؟ بها كانَ فشلكم وتنازُعكم وتخاذُلكم و براءةُ الله منكم ونكوصُ وَليِّكم عنكم ، إذ ولَّيتم كالإبل الشَّوَارِد إلى أوطانها . النوازع إلى أعطانها(٤) ؛ لا يسأل المرءُ عن أخيه ، ولا يَلوِي الشيخُ على بنيه ، حتَّى عضَّكم السِّلاحُ ، وقَعَصَتْكُمُ(٥) الرماح ، ثم يومَ دَيرِ الجماجم ، وما يومُ دَيرِ الجماجم ؟ بها كانتِ المعاركُ والملاحم(٦) ، بِضرب يُزيل الهام(٧) عن مَقيله ، ويُذهل الخليل عن خليله .

يأهل العراق ! الكَفَرَاتِ بعد الفَجَرات(٨) ، والغَدَراتِ بعد الخَتَرات(٩) ، والنَّزْوة بعد النَّزَوات(١٠) ؛ إنْ بعثتُكم الى ثغورِكم غلَلْتم وخُنتم ، وإن أمِنتم أرجفتم ، و إن خِفتم

(١) الأهواز : مكان بين البصرة وفارس التق فيه الحجاج مع ابن الأشعث .

(٢) أرميكم بطرفي : أنظر اليكم بشدّة .

(٣) الزاوية : موضع قرب البصرة كانت فيه معركة لابن الأشعث على الحجاج سنة ٨٣ هـ .

(٤) الأعطان : جمع عطن : المناخ حول الموارد .

(٥) قعصه : قتله مكانه .

(٦) الملاحم : جمع ملحمة : الوقعة العظيمة أو القتل في الحرب .

(٧) الهامة : الرأس . مقيله : مكانه .

(٨) الفجرات : جمع فجرة : الكذب .

(٩) الخترة : أقبح الغدر . (١٠) النزوة : الهرب .

نافقتم، لا تذكرون حسنة، ولا تشكرون نعمة، هل استخفكم ناكث أو استغواكم غاو، أو استنصركم ظالم، أو استعضدكم خالع(١) إلا اتبعتموه وآويتموه ونصرتموه ورجبتموه(٢)؟

يا أهل العراق! هل شغب شاغب، أو نعب ناعب، أو زفر زافر، إلا كنتم أتباعه وأنصاره؟ يا أهل العراق! ألم تنهكم المواعظ؟ ألم تزجركم الوقائع؟ ثم التفت إلى أهل الشام فقال: يأهل الشام! إنما أنا لكم كالظليم الرامح عن فراخه ينفى عنها المدر(٣)، ويباعد عنها الحجر ويكنها من المطر، ويحميها من الضباب، ويحرسها من الذئاب — يأهل الشام! أنتم الجنة والرداء وأنتم العدة والحذاء.

(١١) خطبة لعمر بن عبد العزيز(٤) وهى آخر خطبة له

حمد الله وأثنى عليه ثم قال:

أيها الناس! إنكم لم تخلقوا عبثاً، ولم تتركوا سدى، وإن لكم معاداً(٥) يتولى الله فيه الحكم فيكم، والفصل بينكم، فخاب وخسر من خرج من رحمة الله التى وسعت كل شىء، وحرم الجنة التى عرضها السموات والأرض. واعلموا أن الأمان

(١) استعضدكم: استعانكم. خالع: خارج ثائر.

(٢) رجبتموه: عظمتموه وساعدتموه.

(٣) المدر: الطين اليابس.

(٤) عمر بن عبد العزيز ثامن خلفاء بنى أمية كان مشهورا بالتقوى والعدالة. وكانت وفاته سنة ١٠١ هـ.

(٥) المعاد: يوم القيامة.

غداً لمن حذرَ اللهَ وخافَه، وباع قليلاً بكثير، (١) ونافداً بباق، (٢) وخوفاً بأمان. ألا ترون أنكم في أسلاب الهالكين وسيخلفها من بعدكم الباقون كذلك حتى تُردُّوا إلى خير الوارثين (٣). ثم إنكم في كلّ يوم وليلة تُشيِّعون غادياً ورائحاً إلى الله قد قضى نحبه وانقضى أجلُه، ثم تضعونه في صدعٍ من الأرض في بطن لحدٍ، ثم تدعونه غير موسّدٍ ولا ممهّدٍ قد خلعَ الأسلاب (٤)، وفارق الأحباب، ووُجِّه للحساب، غنيًّا عما ترك، فقيراً إلى ما قدّم. وايمُ الله إني لأقولُ لكم هذه المقالة ولا أعلمُ عند أحدٍ منكم أكثرَ مما عندي. وأستغفرُ الله لي ولكم. وما يبلُغنا أحدٌ منكم حاجةً يسعُها ما عندنا إلا سددنا من حاجته ما قدرنا عليه، ولا أحدٌ يتّسعُ له ما عندنا إلا وددْتُ أن يدَه مع يدي ولُحمتي الذي يلونني حتى يستوي عيشُنا وعيشُكم. وايمُ الله لو أردتُ غيرَ هذا من عيشٍ أو غضارةٍ لكان اللسان به مني ناطقاً ذلولاً عالماً بأسبابه، ولكنه سبقَ من الله عز وجل كتابٌ ناطقٌ وسنّةٌ عادلةٌ دلّ فيهما على طاعته، ونهى فيهما عن معصيته.

(١٢) خطبة أبي حمزة (٥) الخارجي بمكة

صعد المنبر متوكئاً على قوس عربية فخطب خُطبةً طويلة ثم قال:

يأهل مكة! تعيّرونني بأصحابي! تزعمونَ أنهم شبابٌ! وهل كان أصحابُ رسول الله إلّا شباباً؟: شبابٌ واللهِ مكتهلون (٦) في شبابهم، غضيضةٌ عن الشرِّ أعينُهم،

---

(١) قليلا بكثير: أي متاعا دنيويا قليلا بمتاع أخروي كثير.

(٢) أي متاع الدنيا ينفد ومتاع الآخرة خالد. (٣) هو الله تعالى.

(٤) الأسلاب: جمع سلب، وهو ما يسلب من سلاح ومال.

(٥) هو يحيى بن المختار بن عوف الأزدي الخارجي. خرج وتنقل باليمن والحجاز والشام. وقاتل جند بني أمية حتى قتل سنة [illegible] وكان ناسكا واعظا بليغا يدعو إلى الخير ومعصية الأمويين بأسلوبه الجزل المؤثر. (٦) أي كالكهول حزما وصلاحا.

ثقيلةٌ عن الباطلِ أرجلُهم ، أنضاءُ عِبادةٍ(١)، وأطلاحُ سهرٍ(٢)؛ فنظرَ اللهُ اليهم فى جوفِ الليل منحنيةً أصلابُهم على أجزاء القرآن، كلما مرَّ أحدُهم بآيةٍ من ذِكر الجنة بكى شوقًا اليها، وإذا مرَّ بآيةٍ من ذِكر النارِ شهق شهقةً كأنَّ زفيرَ جهنَّمَ بينَ أذنيه . موصولٌ كَلالُهم بكَلالِهم(٣): كَلالُ الليلِ بكَلالِ النهار . قد أكلتِ الأرضُ رُكَبَهم وأيديَهم وأنوفَهم وجِباهَهم، واستقلّوا ذلكَ فى جَنْبِ الله ؛ حتّى إذا رأوا السِّهامَ قد فُوِّقَتْ(٤)، والرِّماحَ قد أُشرِعَتْ(٥)، والسُّيوفَ قد انتُضِيَتْ(٦)، ورعَدَتِ الكتيبةُ(٧) بصَواعق الموْت وبرَقَتْ ، استخفوا بوعيدِ الكتيبة لوعيدِ الله ، ومضَى الشابُّ منهم قُدُمًا(٨) حتى اختلفتْ رِجلاهُ على عُنُقِ فرسه، وتخضَّبتْ بالدِّماءِ محاسنُ وجهه، فأسْرَعَتْ اليه سِباعُ الأرض ، وانحطَّت اليه طَيرُ السماءِ ، فكم من عينٍ فى مِنقار طَيْرٍ بكَى صاحبُها فى جوْفِ الليل مِنْ خَوْف الله .

(١٣) كتب عبد الحميد الكاتب إلى أهله وهو منهزم مع مروان(٩)

أما بعدُ، فإن اللهَ تعالَى جعلَ الدنيا محفوفةً بالمَكارِهِ والسُّرور؛ فمن ساعدَهُ الحظُّ فيها سَكَنَ اليها ، ومَنْ عضَّتْه بِنابها ذمَّها ساخطًا عليها، وشكاها مستزيدًا لها(١٠)، وقد

(١) الأنضاء : جمع نضو : المهزيل المتعب، والمراد أن العبادة : هزلتهم وأجهدتهم .

(٢) الأطلاح : جمع طلح : متعب . (٣) الكلال : الإعياء والتعب .

(٤) فوقت السهام : ركبت فى الأقواس للرمى . (٥) أشرعت الرماح : سددت وصوبت .

(٦) انتضيت السيوف : استلت . (٧) الكتيبة : القطعة من الجيش .

(٨) قدما : الى الأمام تواء ، والمراد أنه أقدم على الحرب جريئا .

(٩) هو عبد الحميد بن يحيي الكاتب نشأ بالأنبار بليغا حصيفا ، وصاحب مروان بن محمد آخر خلفاء بنى أمية أيام ولايته وخلافته حتى قتلا سنة ١٣٢ هـ . و يعد عبد الحميد من أساتذة البلاغة العربية وشيخ كتاب الرسائل عامة . (١٠) أى شكاها : حالة كونه يريد إقبالها عليه بالسعادة .

كانتْ أذاقتْنا أَفَاوِيقَ[١] استَحلَيْنَاهَا، ثم جَمحتْ بنا نافرةً[٢]، ورَمَحتْنا مُولِّيةً، فَملُح عَذْبُها، وخَشُن لَيِّنُهـا، فأبعدتْنا عن الأوطان، وفرّقتْنا عن الإخوان، فالدارُ نازِحةٌ[٣]، والطيرُ بَارِحةٌ[٤]. وقد كتبتُ والأيامُ تزيدنا منكمْ بُعـدًا، وإليكم وَجْدًا، فإن تَمَّ البليـةُ إلى أقصى مُدَّتِها يكنْ آخرَ العَهْد بكم وبنا، وإن يلحقنا ظُفُرُ جارحٍ من أظفارِ مَنْ يليكم نَرجعْ إليكم بذُلِّ الإسار، والذلُّ شرُّ جارٍ. وأسألُ الله الذي يُعِزُّ من يشاءُ ويُذِلُّ من يشاء أن يَهَبَ لنا ولكم أُلفةً جامعة في دار آمِنــة تجمع سلامة الأبدانِ والأديان، فإنه ربُّ العالمين، وهو أرحمُ الراحمين. وإنا لله وإنا إليه راجعون.

(د) طائفة من أمثال العرب[٥]

في جاهليتها وإسلامها

إن العَصا من العُصَيَّة[٦] — إن العَوانَ لا تُعَلَّمُ الخِمْرَةَ[٧] — إنّكَ لَتُكْثِرُ الحَزَّ وتُخطِئُ المَفصِل[٨] — أولُ الشَّجرةِ النَّواةُ[٩] — إنك رَيَّانُ، فلا تَعجَل بِشُرْبِك[١٠] — أَبَرَمًا قَرُونا[١١] —

(١) أفاويق: جمع أفواق جمع فيقة: اللبن يجتمع في الضرع بين الحلبتين.

(٢) جمحت الفرس: غلبت راكبها ونفرت، ورمحته: رفسته.

(٣) بعيــدة. (٤) البارح من الطير ما مر من اليمين الى اليسار والعرب يتشاءمون منه.

(٥) الأمثال: جمع مثل وهو قول مأثور يمتاز بحسن التعبير وإصابة المعنى وإتقان التشبيه وحسن الإيجاز. وللمثل مورد أي أصل قيل فيه، ومضرب أي موضع استعمال، فالغرض منه تشبيه الحال الثانية بالأولى.

(٦) يضرب للشيء يشبه أصله. (٧) العوان: التي سبق لها زوج، والخمرة: كيفية لبس الخمار (الطرحة) يضرب للرجل العالم بالأمر المجرب له.

(٨) يضرب لمن يجتهد في السعي ثم لا يظفر بالمراد. الحز: القطع، والمفصل: ملتقى كل عظمين في الجسد حيث يكون القطع. (٩) يضرب للأمر الصغير يتولد منه الكبير.

(١٠) يضرب لمن أشرف على إدراك بغيته فيؤمر بالرفق. (١١) البرم الرجل الذي لا يدخل مع القوم في الميسر لبخله. والقرون الذي يقرن بين الشيئين يأخذهما معا. يضرب لمن يجمع بين خصلتين مكروهتين.

أَحَشَفًا وسُوءَ كِيلة(١) — الحَقُّ أَبْلَجُ والباطِلُ لَجْلَجٌ(٢) — أَمَكْرًا وأَنْتَ فى الحديد(٣) — إنَّ الْمُنْبَتَّ لا أَرضًا قَطَعَ ولا ظهرًا أَبْقَى(٤) — إن البَلَاءَ مُوَكَّلٌ بالمَنْطِق(٥) — أَن تَرِد المَاءَ بماءٍ أَكْيَس(٦) — إنَّ غدًا لنَاظِره قريب(٧) — إنَّ أخاك من آسَاكَ(٨) — يَدَاكَ أَوْكَتَا وفُوكَ نَفَخ(٩) — يُصْبِحُ ظَمْآنَ وفى البحر فَمُه(١٠) .

أبيات تَجْرى مَجْرَى الأَمْثَال

فإنَّكَ لَمْ يَفْخَرْ عَلَيْكَ كفاخرٍ ضعيفٍ ولم يَغْلِبْكَ مِثْلُ مُغَلَّب(١١)

* * *

وهل يُنْبِتُ الخَطِّىَّ إلا وَشِيجُهُ وتُغْرَسُ إلا فى مَنَابِتِها النَّخْلُ(١٢)

---

(١) الحشف : أردأ التمر ، والكيلة : طريقة الكيل . مضربه لمن يظلم من وجهين .

(٢) معناه أن الحق واضح بين والباطل يتردّد فيه حيرة .

(٣) يضرب لمن أراد المكر وهو مقهور .

(٤) المنبت المنقطع عن أصحابه فى السفر بسبب إجهاده دابتـه . الظهر : الدابة . يضرب لمن يبالغ فى طلب الشىء بإفراط حتى يعجز عنه فيضيعه .

(٥) يضرب للكلمة تجلب الشر .

(٦) يضرب فى عدم التفريط فيما يملك اتكالا على الموهوم .

(٧) يضرب فى قرب المأمول .

(٨) يضرب للصديق المخلص .

(٩) أراد رجل عبور النهـر على زق فنفخ فيه فلم يحكمه ، فلما توسـط النهر خرج منـه الهواء فغرق ، فاستغاث برجل ؛ فقال له هذا المثل . يضرب لمن يجنى على نفسه الحين .

(١٠) يضرب لمن يعاشر بخيلا مثريا .

(١١) المغلب : الضعيف المدخ يغلب دائما ؛ فاذا قدر عليك لا يتركك (لامرئ القيس) .

(١٢) الخطى : الرمح نسبة إلى الخط فى البحرين . الوشيج : شجر الرماح ، المفرد وشيجة أى لا ينبت القناة إلا شجرها ولا تغرس النخل إلا بحيث تنبت وتصلح والمراد أنه لا يلد الكرام إلا الكرام (لزهير) .

ولستَ بمستبْقٍ أخاً لا تَلُمُّه على شَعَثٍ، أيُّ الرجالِ المُهذَّبُ (١)

حَنانَيْكَ بعضُ الشرِّ أهْوَنُ من بعضِ (٢)

إذا أنْتَ لم تُعْرِضْ عنِ الجَهْلِ والخَنا أَصَبْتَ حَكِيًا أو أَصابَكَ جاهِلُ (٣)

---

(١) تلمه : تصلحه ، والشعث : الفساد ، والمهذب : النقي من العيوب . (المعنى) ليس رجل مبرأ من العيب ، فاذا قطعت إخوانك بذنب لم يبق لك أخ (النابغة الذبياني) .

(٢) صدره : أبا منذر أفنيت فاستبق بعضنا . الحنان : الرحمة والتثنية هنا لقصد الدوام مثل لبيك وسعديك أى رحمة بعد رحمة والأكثر إضافتها الى ضمير المخاطب (طرفة) .

(٣) الجهل : السفه والشراسة ، والخنا : الفحش . معنى الشطر الثانى أنك تؤذى كريما أو يؤذيك جاهل مثلك ، وكلاهما شر .

العصر العباسي الاول

(١) الشـــــعر

(١) قال بشّار بن برد يهجو[1] العباس بن محمد بن عليّ بن عبد الله بن عباس وقد استمنحه فلم يمنحه :

ظِلُّ اليســـارِ علَى العباسِ ممدودُ ... وقلبُــه أبداً بالبخل معقــودُ (٢)
إنَّ الكريمَ ليُخفِى عنـاكَ عُسْرتَه ... حتى تراهُ غَنِيّـا وهــو مجهــود (٣)
وَللبخيـــل على أمــوالِه عِلَلٌ ... زُرْقُ العيونِ عليها أوجهٌ ســود (٤)
إذا تَكَرَّهْتَ أن تُعْطِى القليلَ ولم ... تَقْدِر على سَعةٍ لم يظهرِ الجــود (٥)
أَورِقْ بخـيرٍ تُرَجَّى للنوال؛ فمـا ... تُرْجَى الثمار إذا لم يُورِق العــود (٦)
بُثَّ النـوالَ؛ ولا تَمنعْك قِلَّتُه؛ ... فَكُلُّ ما سَدَّ فقـراً فهْو محمــود

---

(١) هو أبو معاذ بشار بن برد العقيلى ولاء الفارسى أصلا ، أخذ العربية عن أعراب البصرة ، ونبغ فى الشعر لشدة ذكائه وسعة خياله وحسن إبتكاره ، وكان هجاء ماجنا مات مقتولا سنة ١٦٧ ﻫ .

(٢) اليسار : الغنى . معقود بالبخل مجتمع عليه ملازم له .

(٣) العسرة : الفقر . المجهود : المتعب من قلة المـال .

(٤) علل : جمع علة بالكسر أى حجة وعذر يمنعه الكرم . ويريد بالشطر الثانى أنها حجج بغيضة كريهة .

(٥) تكرهت الشىء : تسخطته وفعلته على كره . السعة هنا : العطاء الكثير ، أى اذا تأخرت عن بذل القليل ، ولست قادرا على بذل الكثير فلا يظهر لك عطاء .

(٦) أورق الشجر : ظهر ورقه . النوال : العطاء ، يسأله إظهار العطاء ولو قليلا ، فانه إذا لم يعط القليل لا يرجى منه الكثير .

وقال يتغزل :

أيها الساقيان صُبَّا شرابى ... واسقيانى من ريق بيضاء رُود (١)
إن دائى الصدى ، وإن دوائى ... شَرْبةٌ من رُضابِ ثغرٍ بَرود (٢)
ولها مَبْسِمٌ كغُرِّ الأقاحى ... وحديثٌ كالوشْىِ : وشىِ البُرود (٣)
نزلتْ فى السواد من حَبَّةِ القلـ ... ـب ، ونالتْ زِيادةَ المستزيد (٤)
ثم قالت : نَلْقاكَ بعد ليالٍ ... والليالى يُبْلِينَ كُلَّ جديد (٥)
عِنْدها الصبرُ عن لِقائى، وعِنْدى ... زَفَراتٌ يأْكُلْنَ قلبَ الحديد (٦)

وقال يتغزل وقد نهاه الخليفة المهدى عن الغزل :

يا مَنظرًا حَسنًا رَأَيْتُهْ ... مِن وَجْهِ جارية فَدَيْتُهْ
بعثتْ الىَّ تَسومُنِي ... ثَوبَ الشَّبابِ، وقد طَويتُهْ (٧)
وَاللهِ ربِّ مُحمدٍ ... مَا إن غَدرْتُ، ولا نَويتُهْ (٨)

(١) الرود : الشابة الحسنة الشباب .
(٢) الصدى : الظمأ . الرضاب : الريق . البرود : الرطب البارد .
(٣) الغر : البيض . الأقاحى : جمع أقحوان نبت طيب الرائحة ذو ورق ناصع البياض . الوشى : نقش الثوب ، ويكون من كل شىء . البرود : جمع برد وهو الثوب ، يريد أن حديثها جميل كالنقش المنمق .
(٤) السواد من القلب : حبته . يعنى أنها احتلت منه صميم الصميم ، وليس هناك حب أبلغ من هذا الحب .
(٥) بلى الثوب : يبلى رث وذهبت جدته . يستكثر الشاعر هذه الليالى التى واعدته اللقاء بعدها لأن مر الليالى يبلى كل جديد .
(٦) الزفرات : جمع زفرة وهى النفس الحار ولا يكون إلا من المتيم المقروح .
(٧) تسومنى ثوب الشباب : ترغب أن أغازلها .
(٨) نويته : أى الغدر .

أمسكتُ عنكِ ، ورُبّما عَرضَ البلاءُ، وما ابتغيتُهْ
إنّ الخليفةَ قد أبى وإذا أبى شيئاً أبيتُهْ
ومُخَضّبٍ رَخْصِ البَنا نِ بَكى عليّ ، وما بكيتُهْ (١)
ويَشُوقُني بيْتُ الحبيـ ـبِ إذا اذّكرتُ، وأين بيتُهْ؟ (٢)
قام الخليفةُ دونَه ، فصبرتُ عنه، وما قَلَيْتُهْ (٣)
ونَهانِيَ الملكُ الهُما مُ عن النساءِ، وما عصَيْتُهْ (٤)
لا بل وفَيْتُ، فلم أُضِعْ عهداً ، ولا نأياً رأيتُهْ (٥)
وأنا المُطِلُّ على العِدَا وإذا غلا الحمدُ اشتريتُهْ (٦)
أُصْفِي الخليلَ إذا دَنَا وإذا نأى عنّي نأيتُهْ (٧)
وأميلُ في أُنسِ النديـ ـمِ من الحياءِ، وما اشتهيتُهْ (٨)

(١) المخضب : الملون بالخضاب . رخص : لين ناعم . البنان أطراف الأصابع جمع بنانة .

(٢) يشوقني : يهيجني . اذّكرت : تذكرت .

(٣) قليته : أبغضته .

(٤) الهمام : الملك العظيم الهمة .

(٥) النأى : البعد .

(٦) المطل على العدى : المشرف في إيذائهم . الحمد : الثناء . يقول : إنني مع خضوعي لأمر الخليفة لا زلت قويا على العدو كريما أشترى الثناء ببذل المال .

(٧) أصفى الخليل : أخلص له الود . دنا : قرب . نأيته : بعدت عنه .

(٨) يميل في أنس النديم : يقوم بمؤانسته . النديم : الرفيق والصاحب، وهو أيضا المشارك في الشراب . اشتهيته : رغبت فيه . يصف نفسه بكرم الخلق وحسن المجاملة .

(٢) قال السَّيِّدُ الحِمْيَرِيّ (١) يخاطب أبا عبد الله السفاح لما استقام الأمر لبني العباس :

دُونَكُمُوهَا يا بَنِي هَاشِمٍ ... فَجَدِّدُوا من عَهْدِهَا الدارِسَا (٢)

* * *

دُونَكُمُوهَا ، فالبَسُوا تاجَها ... لا تَعْدَمُوا منكُمْ لَهُ لَابِسا (٣)

لَوْ خُيِّرَ المِنبرُ فُرسانَهُ ... ما اختارَ إلا منكُمْ فارِسا (٤)

قد سَاسَها قبلَكُمْ سَاسَةٌ ... لم يَتْرُكُوا رَطْباً ولا يابِسا (٥)

ولستُ مِنْ أَنْ تَمْلِكُوها إلى ... مَهْبِطِ عيسَى فيكُمُ آيِسا (٦)

وقال :

ما جَرَتْ خَطْرَةٌ عَلَى القَلْبِ مِنِّي ... فِيكَ إلّا اسْتَتَرْتُ عَنْ أَصْحَابِي

مِنْ دُمُوعٍ تَجْرِي ، فإِنْ كُنْتُ وحْدِي ... خَالِياً أَسْعَدَتْ دُمُوعِي انْتِحَابِي (٧)

---

(١) هو إسماعيل بن محمد اليمني ، علوي المذهب مخلص له غال فيه ، ظل حياته يمدح عليا وآله ويسب الصحابة حتى توفي سنة ١٧٠ هـ .

(٢) درس : بلي وامحى .

(٣) البيت : دعاء لبني العباس بدوام الخلافة فيهم .

(٤) فرسان المنبر من يعتلونه من الخلفاء .

(٥) ساس الأمور : يسوسها سياسة : تولاها ودبرها ، فهو سائس والجمع ساسة : [illegible] ولا يابسا ، أى أنهم لم يتركوا [illegible] وهو يريد بنى أمية .

(٦) آيس منه ([illegible]) [illegible] قطع الرجاء ، يريد أنه ليس يائسا من [illegible] يهبط عيسى [illegible] آخر الزمان .

(٧) أسعدت [illegible] الانتحاب : البكاء الشديد .

إنَّ حُبِّي إيَّاكِ قد سَــلَّ جِسْمِي ورَمَانِي بالشَّيْبِ قَبْـلَ الشَّبابِ (١)
لَوْ مَنَحْتِ اللِّقَا ! كَفَى بِكِ صَبًّا هَائِمَ القَلْبِ قَدْ ثَوَى فى التُّرابِ (٢)

وقال فى علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه :

سَائِلْ قُرَيْشًا اذا ما كُنْتَ ذا عَمَهٍ مَن كانَ أَثْبَتَها فى الدِّينِ أَوْتادَا (٣)
مَن كانَ أَعْلَمَها عِلْمًا وأَحْلَمَها حِلْمًا وأَصْدَقَها قَوْلًا ومِيعَادَا
إنْ يَصْدُقُوكَ فَلَنْ يَعْدُوا أبا حَسَنٍ إنْ أَنْتَ لم تَلْقَ للأَبْـرارِ حُسَّادَا (٤)

(٣) قال مروان بن أبى حفصة (٥) من قصيدة يمدح بها مَعْنَ بن زائدة الشيبانى :

ومَا الغَيْثُ إذْ عَمَّ البِــلادَ بِصَـوْبِهِ على النّاسِ من مَعْرُوفِ مَعْنٍ بأَوْسَعَا (٦)
تَدَارَكَ مَعْنٌ قُبَّــةَ الدِّينِ بَعْـــدَ مَا خَشِينَا على أوتادِهَا أَنْ تُنَزَّعَا (٧)

---

(١) سله : أهزله وأضعفه .

(٢) الصب : العاشق ذو الوله الشديد ، وثوى بالمكان يثوى بكسر الواو ثواء : أقام . والثاوى فى التراب : الميت ، يريد بالصب الهائم الميت نفسه مبالغة فيما أضناه من الحب

(٣) العمه : بفتح العين والميم : عمى البصيرة ، والأوتاد : جمع وتد وهو ما دق فى الحائط أو الأرض من خشب ونحوه ليربط به غيره وهو أيضا الجبل .

(٤) يصدقوك بضم الدال : يقولون لك الصدق، ويعدوا يتجاوزوا . أبو الحسن هو على بن أبى طالب رضى الله عنه . الأبرار جمع بر بفتح الباء : الصالح ونحوه .

(٥) هو مروان بن سليمان بن أبى حفصة فارسى الأصل اشتهر بالشعر فى هذا العصر بمدح المهدى ، ومعن بن زائدة الشيبانى ، وهارون الرشيد ، وكانت وفاته سنة ١٨١ هـ .

(٦) الغيث : المطر ، وصوب المطر انصبابه .

(٧) القبــة : الخيمة ، والأوتاد : جمع وتد بكسر التاء وفتحها : ما دق فى الحائط أو الأرض من خشب ونحوه ليشد به غيره . وأوتاد الخيمة هى التى يشد بها حبالها . يقول إنه تدارك أمر الدين بعد ما خيف عليه أن ينصدع بناؤه كما تسقط الخيمة اذا خلعت أوتادها .

* * *

لَهُ رَاحَتَانِ، الغيثُ والحتفُ منهما ... أبَى اللهُ إلا أنْ تَضُرَّا وتَنْفَعَا(١)

لقد أصبحتْ فى كُلِّ شرقٍ ومغربٍ ... بسيفِكَ أعناقُ المُرِيبينَ خُضَّعَا(٢)

ومن قوله يمدحه أيضا :

بَنُو مَطَرٍ يَوْمَ اللِّقَاءِ كأنَّهُمْ ... أُسُودٌ لهَا فِى بَطْنِ خَفَّانَ أَشْبُلُ(٣)

هُمُ يَمْنَعُونَ الجَارَ حَتَّى كأنَّمَا ... لِجَارِهِمُ بَيْنَ السِّمَاكَيْنِ مَنْزِلُ(٤)

لَهَامِيمُ فى الإسْلامِ سَادُوا ولَمْ يَكُنْ ... كَأَوَّلِهِمْ فى الجاهلِيَّةِ أَوَّلُ(٥)

هُمُ القَوْمُ: إِنْ قَالُوا أصابوا، وإنْ دُعُوا ... أَجَابوا، وإنْ أَعْطَوْا أَطَابُوا وأَجْزَلُوا(٦)

وَلَا يَسْتَطِيعُ الفَاعِلُونَ فَعَالَهُمْ ... وإنْ أَحْسَنُوا فِى النَّائِبَاتِ وأَجْمَلُوا(٧)

وقال لما مات المهدى وأفضت الخلافة الى ابنه الهادى :

لَقَدْ أَصْبَحَتْ تَخْتَالُ فِى كُلِّ بَلْدَةٍ ... بِقَبْرِ أميرِ المُؤمنينَ المقَابِرُ

وَلَوْ لَمْ تَسَكَّنْ بِابْنِهِ فِى مَكَانِهِ ... لَمَا بَرِحَتْ تَبْكِى عَلَيْهِ المَنَابِرُ

---

(١) الراحة : باطن اليد . والحتف : الموت . يقول إنه فى مواطن الكرم شبيه بالمطر، [illegible] الأمر فعنده الموت وباقى البيت واضح .

(٢) جمع خاضعة : ذليلة .

(٣) بنو مطر : معشر [illegible] . وبطن خفان : واد مشهور بالسباع الضارية . والأشبل بكسر [illegible] وهو ولد الأسد .

(٤) منع [illegible] : [illegible] السماكان : كوكبان يضرب بهما المثل فى المنعة . يريد [illegible] مكانه بين السماكين ولا يستطيع أحد أن يصل اليه .

(٥) لهاميم : جمع [illegible] الجواد . يقول إنهم سادوا فى الإسلام وكذلك [illegible] ناس .

(٦) [illegible] أصابوا : أى أعطوا [illegible] الأموال ، وأجزلوا : أ[illegible]

(٧) النائبات جمع [illegible] : المصيبة . وأجملوا : أحسنوا : وعطفوا .

(٤) قال أبو نواس فى خمر : [١]

لا تَبْكِ هِنْــدًا ولا تَطْرَبْ إلى دَعْدِ ... وَاشْرَبْ على الوَرْدِ من حمراءَ كالوَرْدِ [٢]

كَأْسًا اذا انحَــدرتْ فى حَلْقِ شَارِبِهَا ... أَجدَتْهُ حُمرَتَهَا فى العَيْنِ والخَدِّ

فالخمْـــرُ ياقُوتَةٌ ، والكَأْسُ لُؤلُؤَةٌ ... من كَفِّ لُؤلُؤَةٍ مَمْشُوقَةِ القَــدِّ [٣]

تَسْقِيكَ مِن طَرْفِها خَمْرًا ، ومِن يَدِهَا ... خمراءَ فما لَكَ من سُكْرَيْنِ من بُدِّ [٤]

لى نَشْــوَتَانِ وللنُّــدمَانِ وَاحِدَةٌ ... شَىْءٌ خُصِصْتُ به من بَيْنِهِم وَحْدِى [٥]

وقال يتغزل :

حامِلُ الهوَى تَعِبُ ... يَسْتَخِفُّهُ الطَّرَبُ [٦]

إنْ بَكَى يَحِقُّ لَهُ ... لَيْسَ ما بِهِ لَعِبُ

كُلَّمَا انقَضَى سَبَبٌ ... مِنْكِ عادَ لى سَبَبُ [٧]

---

(١) هو الحسن بن هانئ نشأ فى البصرة ماجنا مستهترا بالشراب والشباب . وأخذ الشعر عن والبة بن الحباب ، وبرع فيه حتى بذ أهل عصره . ومدح الخلفاء واتصل اتصالا شديدا بالأمين العباسى ورثى له بعد نكبته وقد مات سنة ١٩٨ هـ .

(٢) يريد بالحمراء : الخمر . واشرب على الورد على رؤيته والاستمتاع بطيب عبيره . ينعى الشاعر على غيره من الشعراء ما جرت به عادتهم من استهلال قصائدهم بذكر نساء لا وجود لهن والتشبيب بهن والبكاء على من خانوهم ويدعو الى شرب الخمر على الصفة التى أبانها .

(٣) عاد فشبه الخمر فى حمرتها بالياقوت ، وشبه الكأس فى صفائها ونصاعتها باللؤلؤ . والمراد باللؤلؤة الشطر الثانى من البيت الجارية التى تسقيه . الممشوق الضامر الخفيف اللحم .

(٤) يشبه الشاعر ما يفعل سحر عينى ساقيه بالنفوس بما تفعل فيها الخمر .

(٥) النشوة : السكر . الندمان هنا : جمع نديم ، وهو جليس الشراب .

(٦) استخفه الغناء أطربه واستخفه الطرب : حمله على الخلاعة .

(٧) يريد كلما انقضى سبب من أسباب آلامى فى حبك جئت لها بسبب جديد .

تَضْحَكِينَ لَاهِيَةً وَالمُحِبُّ يَنْتَحِبُ (١)
تَعْجَبِينَ من سَقَمِي صِحَّتِي هي العَجَبُ

وقال من قصيدة يمدحُ الخصيب عامل الرشيد على مصر .

تَقُولُ الّتِي من بَيْتِها خَفَّ مَرْكَبِي: عَزِيزٌ علينا أن نَرَاكَ تَسِيرُ (٢)
أمَا دُونَ مِصْرٍ لِلْغِنَى مُتَطَلَّبٌ ؟ بَلَى ! إِنَّ أسْبَابَ الغِنَى لَكَثِيرُ (٣)
فَقُلْتُ لها ، واسْتَعْجَلَتْها بَوادرٌ جَرَتْ فَجَرَى فى جَرْيِهِنَّ عَبِيرُ (٤)
ذَرِينِي أُكَثِّرْ حَاسِدِيكِ بِرحْلَةٍ إلى بَلَدٍ فيه الخَصِيبُ أَمِيرُ
إذا لم تَزُرْ أرْضَ الخصيبِ رِكابُنَا فأَىَّ فَتًى بعدَ الخَصِيبِ تَزُور
فَتًى يشتري حُسنَ الثّناءِ بمَالِهِ ، ويَعْلَمُ أنَّ الدَّائِرَاتِ تَدُور (٥)
فما جَازَهُ جُودٌ ، ولا حَلَّ دُونَه ؛ وَلكِنْ يَصِيرُ الجُودُ حَيْثُ يَصِيرُ (٦)
فلم تَرَ عَيْنِي سُؤْدُدًا مثلَ سُؤْدُدٍ يحُلُّ أبو نَصْرٍ به ويَسِيرُ (٧)

---

(١) الانتحاب : البكاء الشديد .

(٢) خف مركبه : نهض وسار . والضمير فى بيتها يعود على صاحبته .

(٣) تنكر عليه تجشم المشاق فى الرحلة من بغداد الى مصر فى طلب الغنى فى حين أن للغنى أسبابا كثيرة لا تتعب هكذا .

(٤) بوادر الدمع : أوائله العبير : أخلاط الطيب . يريد أن ما جرى على خديها من الدموع أسال ما عليهما من الطيب :

(٥) الدائرات والدوائر هنا جمع دائرة . وهى المصيبة . يقال : دارت على فلان الدوائر أى حلت به النوائب . وشراء الثناء بالمال مكافأة الشعراء على المديح فالخصيب على علمه بطروء المصائب وتقلب الدهر لا يدخر المال للشدة ؛ بل يبذله فى طلب الثناء والمديح .

(٦) جازه : تركه . يريد أن الجود يلازمه فلا يتعداه الى غيره .

(٧) السؤدد : الشرف والمجد . أبو نصر : كنية الخصيب .

وأطرق حيات البلاد لحية خصيبية التصميم حين تسور (١)
فإن توليني منك الجميل فأهله ، وإلا فإني عاذر وشكور (٢)

(٥) قال مسلم بن الوليد يمدح يزيد بن مزيد الشيباني : (٣)

أجررت حبل خليع في الصبا غزل وشمرت همم العذال في العذل (٤)
هاج البكاء على العين الطموح هوى مفرق بين توديع ومرتحل (٥)
كيف السلو لقلب راح مختبلا يهذي بصاحب قلب غير مختبل (٦)
عاصي العزاء ، غداة البين ، منهمل من الدموع جرى في إثر منهمل (٧)
لولا مداراة دمع العين لانكشفت مني سرائر لم تظهر ولم تخل (٨)
أما كفى البين أن أرمى بأسهمه حتى رماني بلحظ الأعين النجل (٩)

(١) الحية معروفة : ويقال على المجاز : فلان حية الوادي لحامي حوزته ، وهم حيات الأرض . يعني دواهيها وفرسانها . تسور : تهيج وتشتد . والتصميم هنا من صمم في عضته أثبت أسنانه . وخصيبية التصميم من إضافة الصفة للموصوف . والمراد بذلك الحزم والقوة والمضاء .

(٢) أولاه : أعطاه ، والجميل : المعروف ، فأهله : فأنت أهله ، وأنت الجدير به .

(٣) هو صريع الغواني مسلم بن الوليد الأنصاري تأدب في الكوفة ونبه شأنه في الشعر حتى صار من متقدمي عصره وهو من متكلفي البديع وقد توفي بجرجان سنة ٢٠٨ هـ .

(٤) أجررت : تركت وشأني . خليع : متهتك . الصبا الميل إلى الجهل والصبوة . غزل : كلف بالنساء .

(٥) الطموح : المستشرف الطامح .

(٦) السلو : النسيان . مختبل : فاسد . يهذي يقول ما لا يعقل . يهذي بمحبوبته .

(٧) عاصي : عصي . العزاء : الصبر على المكروه . منهمل : سائل فاعل عاصي .

(٨) سرائر : جمع سريرة ما يكتمه الانسان من أمره . تخال : تظن . لولا دمع العين وإراه وحجبه لانكشفت سرائره .

(٩) النجل : جمع نجلاء ، والعين النجلاء : هي الحسنة الواسعة فهو بين بعد وغرام .

مِمَّا جَنَى لِي وإِنْ كانتْ مُنَىً صَدَقَتْ صَبَابَةٌ خُلَسَ التَّسليمِ بِالْمُقَلِ (١)
مَا ذَا عَلَى الدَّهرِ لَو لَانتْ عَرِيكَتُهُ وَرَدَّ في الرَّأْسِ مِنِّي سَكْرَةَ الغَزَلِ (٢)

* * *

يَغْشَى الوَغَى وشِهابُ الموتِ في يَدِهِ يرمِي الفَوَارِسَ والأبطالَ بالشُّعَلِ (٣)
يَفْتَرُّ عِنْدَ افْتِرَارِ الحَرْبِ مُبْتَسِماً إذا تغَيَّرَ وجهُ الفَارسِ البَطَلِ (٤)
مُوفٍ عَلَى مُهَجٍ واليَومُ ذُو رَهَجٍ كأنَّهُ أجَلٌ يَسْعَى إلَى أَمَلِ (٥)
يَنَالُ بالرِّفقِ مَا يَعيَا الرِّجالُ بهِ كالموتِ مُستعجِلاً يأتِي عَلَى مَهَلِ (٦)
لا يَرحَلُ النَاسُ إلّا نحوَ حُجرتِه كالبَيْتِ يُضحِي إليه ملتقَى السُّبُلِ (٧)
يَقْرِي المَنِيَّةَ أرواحَ الكُمَاةِ كما يَقْرِي الضُّيوفَ شُحومَ الكُومِ والبُزُلِ (٨)
يَكْسُو السيوفَ دِماءَ النَاكِثينَ بهِ ويَجْعَلُ الهَامَ تِيجَانَ القَنَا الذُّبُلِ (٩)

---

(١) الخلس : جمع خلسة : الفوز بالشيء على غفلة صاحبه (الرقيب) . والمقل جمع مقلة : العين .

(٢) العريكة : الخلق والطبيعة . لانت عريكته كان سهلا مواتيا .

(٣) الفارس : راكب الفرس . الشعل : جمع شعلة : لهبة النار .

(٤) افتر الرجل : ضحك ضحكا حسنا . افترار الحرب شدتها على سبيل الاستعارة . يقول إذا حميت الحرب وشحبت الوجوه كان ضاحكا لشجاعته .

(٥) موف مشرف . المهج : جمع مهجة : دم القلب . رهج غبار . فهو في الحرب متمكن من أعدائه كالأجل المحتوم يمشي إلى غايته . وربما قرئ يسعى الى أجل .

(٦) يعيا : يعجز فهو أسرع من الموت الى النفوس .

(٧) البيت الحرام بمكة حيث يلتقي الحجاج .

(٨) يقرى : يطعم . المنيـة : الموت . الكماة جمع كمى : الشجاع . الكوم : الجماعة من الإبل . البزل جمع بازل : الناقة في تاسع سنيها .

(٩) الناكث : الناقض عهده . الهام جمع هامة : الرأس . القنا جمع قناة : الرمح . الذبل : الدقيقة .

يَغـــدُو، فتغدُو المَنـايا في أسِنَّتِهِ   شَوارِعًا تَتَحَـدَّى النَّـاسَ بِالأَجَلِ (١)

وقال في الغَزَل :

إذا التَقَيْنَا مَنَعْنَـا النَّومَ أَعيُنَنَـا   ولا نُلائِمُ نومًا حِينَ نَفْـتَرِقُ (٢)
أُقِرُّ بالذَّنْبِ مِنِّي لَستُ أَعرِفُـهُ   كَيْمَا أقـولَ كما قَالَتْ فنَتَّفِقُ (٣)
حَبَسْتُ دمعِي على ذَنْبٍ تُجَدِّدُه   فكُلَّ يومٍ دُموعُ العَـينِ تَستَبِقُ (٤)

(٦) قال أبو العتَاهِيَة في القَناعة : (٥)

شِدَّةُ الحِرْصِ مَا علِمتَ وَضَاعَهْ   وَعَنَـاءٌ وفَاقَـةٌ وضَـراعَهْ (٦)
إنَّمـا الرَّاحَةُ المُرِيحَـةُ في اليأْ   سِ من النَّاسِ، والغِنَى في القَنَاعه
نَحنُ في دَارِ مَرْتَعٍ غِبُّـهُ المو   تُ، ودارٍ سَـرَّاعَةٍ خَدَّاعَـه (٧)
عزَمَ الليـلُ والنهـارُ على أن   لَا يَمَلَّا تَفـرِيقَ كُلِّ جَمَاعَه

---

(١) يغدو : يسير . الأسنة جمع سنان : الرمح . شوارع : مسددة مصوبة . تتحدى : تدعو إلى مباراتها وتكذيبها . رماحه متمكنة من أرواح خصومه حتى إنها تقدرهم آجالهم وتدعوهم إلى معارضتها لو استطاعوا .

(٢) نلائم نوافق . نحن في اللقاء نسهر لنتنعم بلذة القرب و إذا افترقنا سهرنا لألم الفراق .

(٣) يقول تبتكر على ذنوبا لم أفعلها فأوافقها حتى لا أكون معها في خلاف .

(٤) يبكي على ذنوب تختلقها عليه دائما فهو لذلك دائم البكاء . تستبق : يسابق بعضها بعضا .

(٥) هو اسماعيل بن القاسم ، نشأ بالكوفة يعالج الشعر مع إلمام بمذاهب المتكلمين والفلاسفة ، و يغلب على شعره الزهد والسهولة وقد مات سنة ٢١١ هـ .

(٦) وضاعة : خسة ولؤم . فاقة : فقر وحاجة . ضراعة : تذلل وخضوع .

(٧) مرتع : إقامة وتنعم . غبه : عاقبته .

وقال فى صبوته فى مطلع قصيدة يمدح بها الهادى :

لَهْفِى على الزَّمنِ القَصِيرِ بينَ الخَوَرْنَقِ والسَّدِيرِ (١)

إذْ نحنُ فى غُرَفِ الجِنَا نِ نَعُومُ فِى بَحْرِ السُّرُورِ

فى فِتْيَـةٍ مَلَكُوا عِنَا نَ الدَّهْرِ أمثَالِ الصُّقُورِ (٢)

مَا مِنْهُمُو إلَّا الحَسُو رُ على الهَوى غيرُ الحَصُورِ (٣)

يتعاورُونَ مُدَامَةً صَهْبَاءَ من حَلَبِ العَصِيرِ (٤)

عَـذْرَاءَ رَبَّاهَا شُعَا عُ الشَّمْسِ فى حَرِّ الهَجِيرِ (٥)

لم تَدْنُ مِن نَارٍ ولم يَعْلَقْ بِهَا وَضَرُ القُدُورِ (٦)

ومُقَرْطَقٍ يَمْشِى أمَا مَ القَوْمِ كالرَّشَإِ الغَرِيرِ (٧)

بِزُجَاجَةٍ تَسْتَخْرِجُ الـ ـسِّرَّ الدَّقِيقَ من الضَّمِيرِ (٨)

---

(١) لهفى : أى أتحسر . الزمن القصير ؛ لأنه زمن سرور . الخورنق والسدير : قصران كانا بظاهر الحيرة للنعمان بن المنذر و يطلان على نهرين .

(٢) عنان الدهر : تصريف شئونه ، والعنان : الزمام ، والصقور : جمع صقر ، وهو جارح شديد حاد النظر يشبه به الفتيان فى الصولة .

(٣) الحصور : الحيى العاجز .

(٤) يتعاورون : يتعاطون و يتداولون . مدامة : خمرا . صهباء : حمراء . عصير العنب : ماتحلب منه

(٥) عذراء : بكر . الهجير : شدة الحر . يقول : وهى خمر معتقة لم تطبخ بالنار بل [illegible] الطبيعة .

(٦) وضر : قذر . القدور : جمع قدر .

(٧) مقرطق : لابس القرطق ، وهو نوع من الثياب . الرشأ : ولد الظبية . الغرير : أى الصغير غير المجرب .

(٨) يقول : إن الخمر تدع شاربها ثملا ؛ فيظهر ما فى نفسه من الأسرار .

زهراء مثل الكوكب الـ ـدرى فى كف المدير (١)
تدع الكريم وليس يد ري ما قبيل من دبير (٢)

ومن قوله يمدح المهدى :

أتته الخلافة منقادة إليه تجرر أذيالها (٣)
فلم تك تصلح إلا له ولم يك يصلح إلا لها
ولو رامها أحد غيره لزلزلت الأرض زلزالها
ولو لم تطعه بنات القلو ب ما قبل الله أعمالها (٤)
وإن الخليفة من بغض لا إليه ليبغض من قالها (٥)

(٧) وقال أبو تمام (٦) يصف الربيع :

مطر يذوب الصحو منه وبعده صحو يكاد من الغضارة يمطر (٧)
غيثان : فالأنواء غيث ظاهر لك وجهه، والصحو غيث مضمر (٨)

(١) الدرى : المتلألئ كالدر، والمدير : الساقى .

(٢) لا يعرف قبيلا من دبير : أى لا يدرى ما يصنع .

(٣) جر ذيله : تاه ودل والخلافة تفخر به .

(٤) بنات القلوب : حباتها . من لم يخلص للخليفة لا يتقبل الله عمله .

(٥) بغض لا أى يكره كلمة لا عند السؤال .

(٦) هو حبيب بن أوس الطائى نسبة . ولد فى قرية جاسم بحوران من أرض الشام ولكنه تأدب فى مصر، وبرع فى الشعر . و يمتاز بتحرى البديع ولا سيما الجناس والطباق . وكانت وفاته سنة ٢٣١ هـ .

(٧) الصحو : ذهاب الغيم . يقال : يوم صاح اذا لم يكن و سمائه سحب . والغضارة : النعمة والخصب . يقول : إن هذا المطر، وإن ذهب بالصحو يعقبه صحو ولكنه يكاد لطيبه وخصبه يمطر .

(٨) غيثان : مثنى غيث، وهو المطر . والأنواء : جمع نوء، وهو هنا المطر . يقول : إنك واجد فى هذه الحالة مطرين لا واحدا ؛ أحدهما هو الظاهر الذى تسح به السماء، وثانيهما مخفى وهو الذى تكاد تجود به الغضارة فى الصحو على ما ذكر فى البيت السابق .

مَا كَاسَتِ الأَيامُ تَسلُبُ بَهجَــةً لَوْ أَنَّ حُسْنَ الروضِ كانَ يُعَمَّــرُ (١)
أَوَلاَ تَرى الأَشياءَ إن هي غُيِّرتْ سَمُجَتْ وحُسنُ الأَرضِ حينَ تَغَيَّرُ (٢)
يا صَاحِبَيَّ تقَصَّــيَا نَظَرَيْكُمَا تَرَيَا وُجوهَ الأَرضِ كيفَ تُصوَّرُ (٣)
تَرَيَا نَهــارًا مُشمِسًا قــد شَابَهَ زَهْرُ الرُّبَى فكأنمَــا هُوَ مُقْمِــرُ (٤)
دُنيــا مَعاشٍ للوَرى ، حَتَّى إذا حَلَّ الرَّبيــعُ فإنَّمَــا هِيَ مَنْظَــرُ (٥)
أَضحتْ تَصوغُ بُطونُهَا لِظهُــورِهَا نَوْرًا تكادُ له القــلوبُ تَنَــوَّرُ (٦)
مِنْ كُلِّ زاهِرةٍ تَرَقْرَقُ بالنَّــدى فكأَنَّهــا عَيْنٌ اليكَ تَحَــدَّرُ (٧)
تَبْــدو ، ويحجُبها الجَميمُ كأَنَّهَا عَــذْراءُ تَبْــدو تَارةً وتَخَفَّــرُ (٨)
حَتَّى غدتْ وَهَــدَاتُها ونِجَادُهــا فِتَتَــينِ في خَلَعِ الرَّبيــعِ تَبَخْــتَرُ (٩)

(١) يعمر يا لبناء للمجهول يطول عمره .

(٢) سمج الشيء سماجة : قبح وتغير . يقول : إن الأشــياء إذا تغيرت قبحت أما حسن الأرض ففي تغييرها بغضارتها وتفتح الأزهار في رياضها .

(٣) تقصيا : تتبعا .

(٤) شابه : خالطه . الربى : جمع ربوة ، وهي المرتفع من الأرض . يقول مع أن النهار صاح تتألق فيه الشمس فان زهر الربى يكاد يريك فيه القمر .

(٥) يقول : إن الدنيا ما تزال للسعي في سبيل العيش ، حتى اذا جاء الربيع تحولت الى منظر للبهجة والنعمــة .

(٦) النور بفتح النون : الزهر الأبيض ، والضمير في (بطونها) يرجع الى الأرض .

(٧) ترقرق : ترقرق الماء : جرى جريا سهلا ، وترقرق الدمع في العين : دار فيها دون أن يسيل . ويقال حدرت العين الدمع : أرسلته ومثله تحدر في البيت .

(٨) الجميم : النبات . وتخفر : أي تستحي أشدّ الحياء وهي اذا استحت استخفت .

(٩) الوهدات : جمع وهــدة ، وهي الأرض المنخفضة . ويقال : وهد جمعــه وهاد . النجاد . جمع نجد وهو ما ارتفع من الأرض . والخلع : جمع خلعة ، وهي الثوب ، و(تبختر) : تتبختر .

مُصْـــفَرَّةٌ مُحْمَــرَّةٌ ، فَكَأنَّهَــا عُصَبٌ تَيَمَّنُ فى الوَرى وتَمَضَّرُ (١)

من فَاقِـعٍ غَضِّ النَّبَاتِ كأنهُ دُرٌّ يُشَــقَّقُ قَبْـلُ ثم يُزَعْفَـرُ (٢)

أو ساطعٍ فى حُمْــرَةٍ فكأنَّ ما يدنو اليــه من الهــواءِ مُعَصْــفَرُ (٣)

صِــبْغُ الذى لولا بدائع لُطفــه ما عادَ أصفرَ بعــدَ إذ هو أخضَرُ (٤)

وقال يرثى ولدين لعبد الله بن طاهر ماتا فى يوم واحد :

نَجْمَــانِ شاءَ اللهُ ألا يطْلُعــا إلا ارتدادَ الطَّرْفِ حَتَّى يأْفِلا (٥)

إنَّ الفجيعَةَ بالرياضِ نَوَاضِرًا لأجَلُّ منهــا بالرياضِ ذوابِلا (٦)

لو يُنْسَآان لكانَ هــذا غاربًا للمكْرُمَاتِ ، وكانَ هذا كَاهِلا (٧)

لهفى على تلكَ المخــايِلِ فيهما لو أُمهِلتْ حَتَّى تكون شمــائِلا (٨)

---

(١) كان أهل اليمن يتخذون العمائم والرايات الصفراء ، وكانت مضر تتخذها حمراء ، وهذا تفسير البيت . العصب : جمع عصبة : العمامة . (٢) فاقع : شديد الصفرة . غض : طرى ناعم . يزعفر : يصبغ بالزعفران . وهو نبات أصفر الزهر . يشبه الزهر الأبيض مع صفرة باطنه باللؤلؤ المثقوب المدهون من الداخل بالزعفران .

(٣) ساطع : مرتفع منتشر . معصفر : مصبوغ بالعصفر ، صبغ أصفر أى كأن الهواء الذى يقاربه معصفر .

(٤) يريد أن هذا من صنع الله الذى يبدع فى خلقه ما يشاء .

(٥) أفل النجم : غرب . ارتداد الطرف : أى مقــدار ارتداده . والطرف : العين يعبر بهذا عن سرعة موتهما قبل البقاء القصير فى الحياة .

(٦) يقول الشاعر إن موتهما فى حداثة السن أدعى الى جلالة المصاب فيهما مما لو ماتا مسنين فان الخسارة فى ذهاب الروض ناضرا أعظم منها اذا ذبلت أزهاره ويبست غصونه .

(٧) نساه : أخره وأجله . وغارب البعير : ما بين سنامه وعنقه . والكاهل : أعلى الظهر مما يلى العنق . يريد أنهما لو عاشا لكانا المتقدمين فى المكرمات .

(٨) المخايل : المظان ، واحدها مخيلة بفتح الميم وكسر الخاء . والشمائل : جمع شمال ، وهو الطبع .

لَغَدا سكوتُهما حِجًى، وصِباهُمَا حِلْمًا، وتلك الأَرْيحيَّةُ نائلا (١)
إن الهِلالَ اذا رأيتَ نموَّهُ أيقنتَ أنْ سيصيرُ بدراً كاملا (٢)

(٨) من قصيدة للبُحْتُرِيّ يعتذرُ للفتح بن خاقان : (٣)

لَوَتْ بالسلامِ بَنانًا خَضِيبًا ولحْظًا يشوقُ الفؤادَ الطرُوبا (٤)

* * *

فَدَيْناكَ من أيِّ خطبٍ عَرا ونائبةٍ أَوْشكَتْ أن تَنُوبا
وإنْ كان رأيُك قد حالَ فِيَّ ولقَّيتَني بعد بِشْرٍ قُطُوباً (٥)
وخَيَّبتَ أَسبابيَ النازعاتِ إليكَ، وما حَقُّها أن تَخيبا (٦)
يَرِيبُنِيَ الشيءُ تأتي بهِ وأُكبِرُ قدرَك أن أَستَرِيبا (٧)

(١) الحجى : العقل . والأريحية : الارتياح للعروف . والنائل : العطاء .

(٢) هذا البيت بمثابة التدليل على ما قبله ؛ فانه فى البيتين السابقين ادعى أنه لو أمهلت المخايل فى هذين الغلامين حتى تنعقد خلالا لأصبح ما يرى فيهما سكوتا عقلا وصباهما حلما وارتياحهما للعروف عطاء ؛ فان المرء إذا شهد الهلال فى أول الشهر لا يشك فى أنه سيصير فى منتصفه بدرا كاملا .

(٣) هو أبو عبادة الوليد بن عبيد الطائى . ربى فى ناحية منبج بين أعراب طيئ وتخرج رقيق الشعر بديع الخيال سلس الأسلوب واتصل بالمتوكل والفتح بن خاقان وقد مات سنة ٢٨٤ هـ .

(٤) لوت : أشارت . والبنان : أطراف الأصابع المفرد بنانة . خضيب : مخضب بالحناء . واللحظ : طرف العين مما يلى الصدغ . يشوق الفؤاد : يهيجه . يقول : إنها سلمت عليه بأناملها ولحظها الجميل الساحر .

(٥) حال : تحوّل وتغير .

(٦) الأسباب : جمع سبب . الحبل والمراد الآمال المتعلقة بك .

(٧) يريبنى : يبعث فى الريب أى الشك أو الألم . يقول : تعرض عنى ، فأتألم أو أشك فى رضاك عنى ، ثم أعود فأرى أنك أكبر من أن أظن فيك الإعراض عنى .

وأَكْرَهُ أنْ أتمادى على سبيلِ اغترارٍ ، فألقَى شَـعُوبا (١)
أُكَذِّبُ ظنّى بأن قد سَخِطتَ وما كنتُ أعهَـدُ ظنّى كذوبا
ولو لم تكن ساخطاً لم أكن أذُمُّ الزمان، وأشكو الخطوبا
وما كان سُخْطُكَ إلا الفراق أفاضَ الدموعَ وأشجَى القلوبا
ولو كنتُ أعرِفُ ذنبًا لما كا نَ خامرَنى الشكُّ فى أن أتوبا
سأصبرُ حتى ألاقى رضاكَ فإمّا بعيداً ، وإمّا قريبا
أُراقبُ رأيكَ حتى يَصِحّ وأُظفر عطفَكَ حتّى يَثُوبا (٢)

وقال يصف بركة المتوكل من قصيدته التى مطلعها :

مِيلُوا إلى الدارِ من ليْلَى نُحَيِّيها نعم، ونسألها عن بعضِ أهليها (٣)

* * *

ما بَالُ دِجْلةَ كالغَيْرَى تُنَافِسُها فى الحُسنِ طورًا، وأطوارًا تباهيها (٤)
تَنْصبُّ فيها وفودُ الماءِ مُعجَلةً كالخيل خارجةً من حَبْل مُجرِيها
كأنما الفِضّةُ البيضاءُ سائلةً من السبائك تجرى فى مجاريها (٥)

---

(١) الاغترار : الخديعة . وشعوب بفتح الشين : الموت . يقول : إنى أكره طول المكث على هذا الشك خوف الهلاك .

(٢) يصح : يثبت له براءتى . ويثوب يرجع .

(٣) ميلوا الى الدار : عرجوا عليها ومن ليلى أى دار ليلى .

(٤) دجلة : نهر معروف بين العراق وفارس . والضمير فى تنافسها . يعود على البركة المذكورة فى بيت لم يذكر . تباهيها : تفاخرها .

(٥) السبائك جمع سبيكة : القطعة من الفضة ونحوها أذيبت وأفرغت فى قالب .

إذا عَلَتْها الصَّبا أَبْدتْ لها حُبُكا ... مثلَ الجَوَاشِنِ مَصقولاً حواشيها (١)
فحاجِبُ الشمس أحياناً يضاحِكُها ... ورَيِّقُ الغيثِ أحياناً يُباكيها (٢)
إذا النجومُ تراءتْ في جَوانبها ... ليلاً حسِبتَ سماءً رُكِّبتْ فيها (٣)

(٩) وقال ابن الرومى يصف السحاب : (٤)

مُتَهَلِّلٌ زَجِلٌ تُحَلُّ رَوَاعِدُ ... من حُجْزَتَيْهِ وتستطيرُ بُروقُ (٥)
سَدَّتْ أوائلُه سبيلَ أواخرٍ ... لم يَدْرِ سائقُهن كيف يَسوقُ (٦)
فَسَخَا، وأَسعدَ حالِبيهِ بدِرَّةٍ ... مِنْه سواعدُ ثَرَّةٌ وعُروقُ (٧)
وتَنَفَّستْ فيه الصَّبا فَتَبَجَّستْ ... منه الكُلَى، فأديمُه معقوقُ (٨)

(١) الصبا : ريح شرقية . الحبك : طرائق سطح الماء وغضونه . والجواشن جمع جوشن : الدرع، يشبه غضون وجه الماء الناشئة عن الريح بغضون الدرع المصقولة .

(٢) ريق الغيث : أوله وأفضله . والغيث : المطر . ومعنى يباكيها يهبط عليها فترتد منها قطرات صعدا فهما متباكيان وكذلك يضاحكها حاجب الشمس باللمع الذى يبدو على صفحة البركة مقابلا نور الشمس .

(٣) تراءت : ظهرت منعكسة . يشبه البركة وخيال النجوم بالسماء الصافية واضحة النجوم .

(٤) هو أبو الحسن على بن العباس بن جريج الرومى ولد ببغداد سنة ٢٢١ هـ . وعاش فيها وأجاد الشعر ولا سيما الوصف والهجاء، وكان كثير التطير والتشاؤم مات سنة ٢٨٣ هـ .

(٥) متهلل : متلألئ بالبرق، وزجل : أى مصوت بالرعد، ومن معانى زجل طروب . الحجزة : فى الأصل معقد الازار استعارها لملتقى قطع السحاب .

(٦) يعنى أن مقدمة السحاب كثيفة متراكمة الأجزاء، سدت الطريق على مؤخرتها فلا سبيل الى سيرها .

(٧) سخا : كرم . والدرة : اللبن يشبه به الماء . ومعنى ثرة : غزيرة الماء فياضة .

(٨) الصبا : ريح شرقية . وتبجست : انفجرت . والكلى : جمع كلية أى الجانب . الأديم : الجلد، ومعنى معقوق : مشقوق . يذكر تأثير الرياح فى نزول المطر .

حتى إذا قُضِيتْ لِقيعانِ الـملا … عنــهُ حقُوقٌ بَعــدهنّ حقُوق (١)
طَفِقتْ رواياهُ تَجُـــرُّ مَزادهَــا … فَوق الرُّبَى ومزادُهَــا ،شــقوق (٢)
وتضَاحك الروضُ الكئيبُ بصَوْبه … حتى تَفَتَّـــقَ نَورُهُ الـــمرتُوق (٣)
وتبسّـــمتْ نَفحاتُه فكأنّه … مِســـكٌ تَضوّعَ فأرُه مفتــوقُ (٤)
وتغـــرّد المُكّاءُ فيـــه كأنهُ … طـرِبٌ تعـــلّل بالغِنـاء مشُوقُ (٥)

وقال فى العزلة :

ذُقتُ الطُّعومَ فما التذذْتُ براحَةٍ … من صُحبةِ الأخْيـارِ والأشرار
أمّا الصّـــديق فـلا أُحِبُّ لِقاءَهُ … حَذَر القِـلَى وكراهَةَ الأعْوار (٦)
وأرى العـدوَّ قذًى فأكرَه قُرْبه ؛ … فهَجرتُ هـذا الخَلْقَ عن أعذار (٧)
أرِنى صـديقًا لايَنـوءُ بِسَقْطةٍ … مِن عَيْبِه فى قَـدرِ صَـدْر نَهـارِ (٨)
أرِنى الذى عاشرتَه فوَجَـدتَه … مُتغاضِيًا لك عن أقلِّ عِثـارِ

(١) القيعان : جمع قاع : أرض سهلة مطمئنة انفرجت عنها الجبال .
(٢) الروايا : السحب العظيمة القطر . والمزادة : جلدة الماء (القربة) . والربى : جمع ربوة : الأرض المرتفعة . يصف المطر بالغزارة حتى عم الوديان والهضاب .
(٣) النور : الزهر . والصوب : دفعة المطر . يذكر ازدهار الرياض من تأثير المطر .
(٤) تبسمت النفحات : أى هب شذاها . وفأرة المسك : وعاؤه .
(٥) المكاء : طائر أبيض له صفير . تعلل : تلهى وتصبر . ومشوق : صفة لطرب .
(٦) القلى : البغض . والأعوار : العيوب (والمعنى) لا أحب مجالسة صديق خوف حدوث ما يكدر صلتنا أو ظهور معايبنا .
(٧) القذى : ما يقع فى العين ، فيجعلها تدمع يشبه به العدو فى الكراهية والتأذى به .
(٨) ينوء بسقطة : يعيا بحملها فتسقطه . ومعنى (فى قدر صدر نهار) فى فترة قصيرة .

مِنْ جَوْرِ إخوانِ الزمانِ سُرورُهمْ ... بتفاضُلِ الأَحوالِ والأَخطارِ (١)
لو أنّ إخوانَ الصَّفاءِ تناصفُوا ... لم يفرَحوا بتفاضُلِ الأَعمارِ
أَأُحب قوما لم يُحبُّوا ربَّهم ... إلَّا لِفردَوْسٍ لديْه ونار ؟

(١٠) قال ابن المعتز : (٢)

ولَرُبَّ هَاجِرَةٍ يَقِـ ... لُّ بِحَرِّها صَبْرُ الركائبْ (٣)
كلَّفْتُها وجْناءَ يَذْ ... رَعُ خَطوُها عَرضَ السَّباسِبْ (٤)
والشمْسُ تأكُلُ ظِلَّها ... أكلَ اللظَى عِيدانَ حَاطِبْ (٥)

وقال :

ونَسيم يُبشِّرُ الأَرْضَ بالرو ... ضِ كذَيْلِ الغِلالَةِ المبلُولِ (٦)
ووُجُوهُ البلادِ تنتظِرُ الغَيْـ ... ـثَ انتظارَ المُحِبِّ رَجْعَ الرسولِ (٧)

---

(١) الجور : الظلم . يقول من مظاهر ظلم الإخوان بعضهم بعضا أن يسر أحدهم لفوزه على إخوانه مما يدل على الأثرة وعدم الإخلاص . والبيت الذى يليه مؤكد له .

(٢) هو أبو العباس عبد الله بن المعتز بالله الخليفة العباسي ولد سنة ٢٤٩ هـ . وتربى تربية الخلفاء ، وأولع بالشعر ونبغ فيه ولا سيما الوصف . وبويع بالخلافة بعد خلع المقتدر ، ولكنه قتل أول ليلة من حكمه سنة ٢٩٦ هـ . وعاد المقتدر للخلافة .

(٣) الهاجرة : نصف النهار فى القيظ .

(٤) كلفتها : جشمتها . الوجناء : الناقة الشديدة . يذرع به يقطع ، وأصل ذرع : قاس بالذراع . السباسب : جمع سبسب : المفازة : يريد أنه يقطع المفاوز فى الهواجر كأنه مكلف قياسها .

(٥) اللظى : النار . الحاطب : من يجمع الحطب .

(٦) الغلالة : القميص يريد أنه نسيم ندىّ .

(٧) وجوه البلاد : حواشيها ، والمراد الأرض . الغيث : المطر . رجع : رجوع

وقال يصفُ قلمَ القاسم بن عبيد الله :

قَــلمٌ ما أراهُ أمْ فلكٌ يجـْ ـري بما شاءَ قاسِمٌ ويسـيرُ؟(١)
ساجدٌ خاشعٌ يُقبِّــلُ قِرطا سًا كما قبَّــل البِساطَ شَكُور (٢)
مُرْسَــلٌ لا تراه يحبسه الشّـ ـكُّ اذا ما جرى ولا التفكيرُ (٣)
كم منَايا وكم عطايا وكم عَيْـ ـشٍ وحَتْفٍ تضُمُّ تلكَ السطور (٤)

وقال :

كُنْ جاهِـلًا أوْ فتجاهلْ تَفُـزْ للجهلِ فى ذا الدهرِ جاهٌ عريضْ (٥)
والعَقْلُ محـرومٌ يرَى ما يرى كما ترى الوارِثَ عينُ المريضْ (٦)

وقال فى مثل هذا المعنى :

لمـا رأيتُ العيْشَ عيشَ الجاهل ولم أرَ المغبُونَ غيرَ العـاقِل (٧)

---

(١) شبه قلم الممدوح بالفلك لأنه لا يقف ولا يعوقه فى مداره شىء .

(٢) القرطاس : الصحيفة التى يكتب فيها يشبه القلم كاتبا فى القرطاس بمن يكب رأسه على الأرض ليقبل البساط بين يدى الأمير .

(٣) مرسل : ماض فى الكتابة لا يقف لأن صاحبه حاضر الرأى سديد الفكر .

(٤) المنايا : جمع منية الموت . العيش : الحياة . الحتف : الموت . يقول : إن توقيعاته تتضمن كثيرا من أسباب الحياة والموت لعظم منصبه ونفوذ أمره .

(٥) الجاه : القدر وعلو المنزلة .

(٦) يرى ما يرى من تمتع الجهال بالسلطان والنعمة وبعدهما عن أهل الفضل . شبه هـذه الحال بالمريض يرى أن كل ما كد فى جمعه من المال صائر الى وارثه بلا كد ولا عناء ، فيتألم ولا يستطيع أى عمل .

(٧) العيش هنا : الحياة السعيدة . المغبون : المضيع الحق .

رَكِبْتُ عَنْسًا من كُرومِ بَابِلٍ ... فَصِرْتُ من عَقْلِي عَلَى مَرَاحِلِ (١)

وقال :

أعاذلُ قد كَبِرْتُ على العِتَابِ ... وقد ضَحِكَ المشيبُ على الشبَابِ (٢)

رَدَدْتُ الى التُقَى نفْسِي فَقَرَّتْ ... كما رُدَّ الحُسَامُ إلى القِرابِ (٣)

وقال يَصفُ حال الموتى فى قبورهم :

وَسُكَّانِ دَارٍ لا تَزَاوُرَ بينَهُمْ ... عَلَى قُرْبِ بَعْضٍ فى المَحَلَّةِ من بَعْضِ (٤)

كأَنَّ خَوَاتِيمًا منَ الطينِ فوقَهمْ ... فليسَ لهَا حتى القِيامَةِ من فَضِّ (٥)

وقال يصفُ الخيل فى حلبة السباق :

خَرجْنَ وبعْضُهنَّ قريبُ بَعْضٍ ... سِوَى فَوْتِ العِذَارِ أو العِنَانِ (٦)

تَرَى ذَا السَّبْقِ والمسبُوقَ منها ... كما بسطتْ أناملَها اليَدانِ (٧)

---

(١) العنس : الناقة الصلبة ، ويريد بها الخمر الجيدة المعتصرة من كروم بابل وهى مدينة كلدانية قديمة على الجانب الأيسر للفرات معروفة بالسحر والخمر . الركوب هنا : الشرب . يقول : لما رأيت أن الظلم واقع على العقلاء ، شربت الخمر لمفارقة عقلى .

(٢) العاذل : اللائم . كبرت سنى فلا عتب ؛ واذا فلا أستحق لوما .

(٣) يريد أنه عاد الى التقى بعد اللهو كما يعود السيف الى قرابه بعد بلائه فى الحروب .

(٤) سكان الدار : الموتى . المحلة : المكان ينزل فيه الناس .

(٥) الخواتيم : جمع خاتام ، وهو ما يُختم به على الشئ كالختم . فض الختم عن الكتاب كسره وفتحه .

(٦) عذار الفرس : شعر ناصيته . العنان : سير اللجام . يعنى أنها متتابعة لا تفاوت بينها إلا قليلا .

(٧) الأنامل : جمع أنملة : طرف الأصبع . يقول : إن الفرق بين السابق والمسبوق كالفرق بين أنامل اليدين اذا بسطت . يصف الخيل بالكرم والأصالة .

وقال :

ولقــد قضــتْ نَفْسِى مآربَهـا وقضيْتُ غيّـا مرّةً ورَشَــدْ (١)

ونهـارُ شَيْبِ الرأسِ يُوقِـظُ مَن قد كان فى ليْـلِ الشَّــبَابِ رَقَـدْ (٢)

(ب) النـــــثر

(١) كتب ابنُ المقفّع (٣) فى السلامة

أما بعـدُ ، فقد أتانى كتابُك فيما أخبرتَنا به : من صَلاحِك ، وصلاح مَن قِبلَك ؛ وفى الذى ذكرتَ من ذلك نعمةٌ مجلّلةٌ عظيمةٌ نُحمَد عليها وليُّها المنعمُ المتفضلُ المحمود . ونسألُه أن يُلهِمَنا وإياكَ من شُكرِهِ وذِكرِهِ ما به مَزيدُها وتأديةُ حَقِّها .

وسألتَ : أن أكتب إليـك بخبرنا ؛ ونحنُ من عافيـة الله وكفايتـه ودفاعه على حال لو أطنبتُ فى ذكرها لم يكن فى ذلك إحصاءٌ للنعمــة ، ولا اعترافٌ بكُنه الحق . فنرغبُ للذى تزدادُ نِعَمُهُ علينا فى كُلِّ يوم وليلةٍ تظاهرًا (٤) — ألا يجعل شكرَنا منقوصا ، ولا مدخولا (٥) ، وأن يرزقنا من كُلِّ نعمةٍ كِفاءَها (٦) : من المعرفة بفضله فيها ، والعمل فى أداء حقها ؛ إنه ولى قدير .

(١) الغى : الضلالة . والرشد : الهدى . قضت نفسه مطالبها مما تشتهى بين الهدى والضلال .

(٢) شبه الشيب بالنهار لبياض الشعر والشباب بالليل لسواده ، والرقاد هنا . الغفلة عن حساب الآخرة .

(٣) هو أبو محمد عبد الله بن المقفع ، فارسى ، نشأ نشأة عربية متأثرة بالثقافة الفارسية واليونانيـة فظهر كاتبا بليغا ومترجما مجيدا مات بالبصرة سنة ١٤٢ هـ .

(٤) التظاهر : الظهور .

(٥) المدخول : ما دخله الرياء .

(٦) كفاءها : جزاءها .

(٢) وكتب عمرو بن مَسعدة(١) الى المأمون فى رجل يستشفع له بالزيادة فى منزلته وجعل كتابه تعريضا لنفسه

أَمَّا بَعْدُ، فَقَدْ اسْتَشْفَعَ بِى فُلَانٌ (يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ) لِتَطَوُّلِكَ(٢) عَلَىَّ فِى إِلْحَاقِهِ بِنُظَرَائِهِ مِنَ الخَاصَّةِ فِيمَا يَرْتَزِقُونَ . وأَعْلَمْتُهُ أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَمْ يَجْعَلْنِى فِى مَرَاتِبِ الْمُسْتَشْفِعِينَ وَفِى ابْتِدَائِهِ بِذَلِكَ تَعَدِّى طَاعَتِهِ والسَّلَامُ . فوقع المأمون : قد عرفنا تصريحك لَهُ وتعريضك لنفسك . وأجبناك اليهما ووقفناك عليهما .

وكتب إلى الحسنِ بن سهل :

أَمَّا بَعْدُ، فإِنَّكَ مِمَّنْ إِذَا غَرَسَ سَقَى و إِذَا أَسَّسَ بَنَى، لِيسْتَتِمَّ تَشْيِيدَ أُسِّهِ ، وَيَجْتَنِيَ(٣) ثِمَارَ غَرْسِهِ . وَثَنَاؤُكَ عِنْدِى قَدْ شَارَفَ(٤) الدُّرُوسَ، وغَرْسُكَ مُشْفٍ(٥) عَلَى اليُبُوسِ ، فَتَدَارَكْ بِنَاءَ ما أَسَّسْتَ، وسَقْيَ ما غَرَسْتَ . إِنْ شَاءَ اللهُ تعالى .

---

(١) هو عمرو بن مسعدة بن سعيد بن صول أحد وزراء المأمون كان جدّه من الترك المجوس ثم أسلم ونشأ عمرو ببغداد وأخذ على علمائها ، ثم اندمج فى كتّاب الديوان وصار كاتب التوقيع بين يدى جعفر بن يحيى وتولى ديوان الخاتم للمأمون وديوان التوقيع و بقى فى خدمة المأمون حتى مات فى غزوة معه سنة ٢١٦ هـ . وكان من كبار الكتّاب و بلغائهم اشتهر بكثير من رسائله البليغة الموجزة .

(٢) تطوّل عليه : امتن عليه .

(٣) اجتنى الثمر بمعنى جناه .

(٤) شارف الشيء : قاربه ودنا منه ، ودرس الشيء دروسا : عفا وامّحى فهو دارس . يريد أن ثناءه عنده أوشك أن يمحى ولا يبقى له داع .

(٥) أشفى المريض على الموت قاربه .

(٣) كتب الجاحظ[١] فى الاستعطاف

ليس عندى أعزَّك الله سببٌ ولا أقدرُ على شفيع إلا ما طَبَعكَ[٢] الله عليه من الكرمِ والرحمةِ والتأميلِ[٣] الذى لا يكون إلا من نَتاج[٤] حُسْنِ الظنِّ و إثبات الفضل بحالِ المأمولِ[٥]، وأرجو أن تكونَ مِنَ الغافرين، فتكونَ خيرَ مُعتِب، وأكونَ أفضلَ شاكرٍ . ولَعلَّ الله يجعلُ هذا الأمر سَبَبًا لهذا الإنعامِ، وهذا الإنعامَ سببًا للانقطاع[٦] اليكم والكَوْنِ تحت أجنحتكم، فيكونَ لا أعظمَ بركةً[٧]، ولا أنمى بَقيةً من ذنب أصبحتُ فيه و بمثلك — جُعِلتُ فِدَاكَ — عادَ الذنْبُ وسيلةً والسيئةَ حسنةً، ومثلُك من انقلب به الشرُّ خيرًا والغرمُ غُنمًا[٨] .

من عاقب فقد أخذَ حَظَّه، وإنما الأَجْرُ فى الآخرةِ، وطيبُ الذكْرِ فى الدنيا على قَدرِ الاحتمالِ وتجرع المرائر[٩]، وأرجو ألّا أضيع[١٠] فيما بين كَرمك وعَقلك وما أكثرَ

---

(١) هو أبو عثمان عمرو الجاحظ بن بحر بن محبوب الكنانى البصرى من أئمة العلم وكان له علم بكل نواحى الثقافة الإسلامية لعهده مع امتياز بمذهب المعتزلة والأدب، توفى فى سنة ٢٥٥ هـ .

(٢) الطبع : السجية . طبع على الكرم : جبل عليه .

(٣) التأميل : كالأمل : مصدر أمل بتشديد الميم المفتوحة .

(٤) نتج الشىء من الشىء : خرج ونشأ .

(٥) حال الذى يستعطفه الكاتب . (٦) انقطع إلى فلان : انفرد بصحبته .

(٧) يريد أنه إذا كان الانقطاع اليه نتيجة ذنبه فما أعظم بركة هذا الذنب وما أكثر ما يعود عليه به من فضل ونعمة .

(٨) الغرم : ما يلزم أداؤه . الغنم : ما يحصل عليه الانسان بلا بدل . يريد يصبح الذنب وسيله للتقرب اليه . وتصير السيئة حسنة لأنها تجعل الشر خيرا .

(٩) تجرع الماء شربه شيئا فشيئا . والمرارة المراد بها هنا الشىء المؤلم .

(١٠) أى أن لى أملا فى العفو لأنك عاقل كريم .

من يعفو عمن صَغُر ذنبه وعَظُمَ حقُّهُ ؛ وإنما الفَضل والثناء، العفوُ عن عَظِيم الجُرمِ[١] ضَعيفِ الحُرْمَةِ . وإن كان العفوُ عظيما مُسْتَطْرَفًا[٢] من غيرِكم فهو تِلادٌ[٣] فيكم؛ حتى رُبَّما دَعا ذلك كثيرا مِنَ الناسِ الى مُخالفةِ أمرِكُم؛ فلا أنتم عن ذلك تنكلون[٤]، ولا على سالِفِ إحسانكُم تَندمون . وما مثلُكم إلا كمَثَل عيسى بن مريم عليه السلام حين كان لا يَمُرّ بملأٍ مِن بنى إسرائيل[٥] إلا أسمَعُوه شرًّا وأسْمَعَهُم خيرا، فقال له شمعون الصفا : ما رأيتُ كاليوم كلما أسمعوكَ شرا أسْمَعْتَهُمْ خَيرا . فقال : كل امرِئٍ يُنفِقُ[٦] ما عِندَهُ . وليسَ عِندكُم إلا الخيرُ، ولا فى أوعيتِكُم إلَّا الرَّحمةُ . وكل إناءٍ بالذى فيه يَنْضَح .

من توقيعات بنى العباس

وهو ما يعلقه الخليفة على القصص والرقاع

للسفاح : وَقَّع فى كِتاب أبى جَعْفَرٍ، وَهُوَ يُحارِبُ ابْنَ هُبَيْرَةَ بِواسِطٍ .

« إنَّ حِلمَكَ أفسَدَ عِلمَكَ وتَراخِيَكَ[٧] أثَّر فى طَاعتِكَ ؛ فخُذْ لى منكَ، ولَكَ مِن نَفْسِكَ[٨] » .

(١) الجرم : الذنب والحرمة : الصيانة .

(٢) المستطرف : الحديث أو المستحدث ومن المال المكتسب حديثا .

(٣) التلاد : ما كان لك من قديم مال وغنم ، والمراد أصيل .

(٤) نكل عن الأمر : رجع عنه وجبن .

(٥) من أتباع عيسى .

(٦) أنفق المال : صرفه . وينفق ما عنده : يجود بما لديه .

(٧) التراخى : التأخر والتبطؤ .

(٨) يريد بذلك أن تنتقم له ولك من نفسك بأن ترجع عن مطاولة ابن هبيرة .

لأبي جَعْفَرٍ : وَقَّعَ إلى عَامِلِهِ عَلَى حِمْصٍ وجَاءَهُ مِنْـهُ كِتَابٌ فيه خَطَأٌ « اسْتَبْدِلْ بِكَاتِبِكَ وإلا اسْتُبْدِلَ بك » .

لِهْرُونَ الرَّشيد : وقَّعَ في قصَّةٍ لأحد البَرَامِكَة « أَنْبَتَتْهُ الطَّاعَةُ، وحَصَدَتْهُ المَعْصِيَةُ » .

لِلْمَأْمُون : وَقَّع الى ابن هِشَام في أمْرٍ تَظَلَّمَ فِيهِ « من عَلَامَةِ الشَّرِيف أَنْ يَظْلِمَ من فَوْقَهُ ويَظْلِمَهُ مَنْ دُونَه فَأَيُّ الرَّجُلَيْنِ أَنْتَ ؟ » .

وإلى عَامِلٍ في قصة مَنْ تَظَلَّمَ مِنْهُ «لَيْسَ مِنَ الْمُرُوءَةِ أَنْ تَكُونَ آنِيَتُكَ مِنْ ذَهَبٍ وَفِضَّةٍ، وغَرِيمُكَ خَاوٍ وجَارُكَ طَاوٍ(١)» .

وكَتَبَ إِلَيْهِ إِبراهيمُ بن المَهْدِيِّ في كَلَامٍ لَهُ إِنْ غَفَرْتَ فَبِفَضْلِكَ، وإِنْ أَخَذْتَ فَبِحَقِّكَ فَوَقَّعَ في كِتَابه « القُـدْرَةُ تُذْهِبُ الحَفِيظَةَ(٢)، والنَّـدَمُ جُزْءٌ مِنَ التَّوْبَةِ وبينهما عَفْوُ الله » .

لِجَعْفَرِ بن يَحْيَى : وَقَّعَ في رَجُلٍ شَكَاهُ بَعْضُ عُمَّـالِه « قَدْ كَثُرَ شَاكُوكَ ، وقَلَّ شَاكِرُوكَ، فإمَّا اعْتَدَلْتَ، وإمَّا اعتزلْتَ، وإلى صَاحب الشُّرْطَة : (تَرَفَّقْ تُوَفَّقْ) .

الكتابة العلمية التأليفية في هذا العصر

من كتاب كليـلة ودمنـة لابن المقفع :

باب السائح والصائغ

قَالَ دَبْشَلِيم المَلِكُ لِبَيْدَبَا الفَيْلَسُوف : قد سَمِعْتُ هذا المَثَلَ . فَاضْرِبْ لي مثلاً في شأن الذي يَضَعُ المَعْرُوفَ في غَيْرِ مَوْضِعِهِ، ويَرْجُو الشُّكْرَ عَلَيه . قال الفَيْلَسُوف :

(١) خوى جوفه من الطعام : خلا ، وطوى بفتح الطاء وكسر الواو وفتح الياء يطوى جاع فهو طاو .

(٢) الحفيظة : هنا الغضب .

أيها الملكُ ! إن طبائعَ الخلقِ مختلفةٌ . وليس مما خلقه اللهُ فى الدنيا مما يمشى على أربع أو على رجلين ويطير بجناحين شيءٌ هو أفضلُ من الإنسان، ولكن من الناس البَرُّ (١) والفاجرُ . وقد يكونُ فى بعض البهائم والسباع والطير ما هو أوفى منه ذمةً (٢) وأشدُّ محاماةً على حرمه (٣) وأشكرُ للمعروف، وأقومُ (٤) به . وحينئذ يجبُ على ذوى العقل من الملوك وغيرهم أن يضعوا معروفهم مواضعه ، ولا يضعوه عند من لا يحتمله (٥) ، ولا يقومُ بشكره ، ولا يصطنعوا (٦) أحدًا إلا بعد الخبرة بطرائقه (٧) والمعرفة بوفائه ومودته وشكره . ولا ينبغى : أن يختصوا (٨) بذلك قريبًا لقرابته ، إذا كان غير محتمل للصنيعة (٩) ولا أن يمنعوا معروفهم (١٠) ورفدهم للبعيد إذا كان يقيهم (١١) بنفسه وما يقدر عليه ؛ لأنه يكون حينئذ عارفًا بحق ما اصطنع إليه ، مؤديًا لشكر ما أُنعم عليه ، محمودًا بالنصح ، معروفًا بالخير ، صدوقًا عارفًا (١٢) ، مؤثرًا لجيد الفعال والقول ، وكذلك كل من عرف

---

(١) البر : الصالح المحسن .

(٢) الذمة : الأمان والعهد والضمان يقال فى ذمتى كذا أى فى ضمانى .

(٣) الحرم : ما يحميه الرجل و يدافع عنه .

(٤) أقوم : أحق به من غيره .

(٥) احتمل الأمر : أطاقه وصبر عليه .

(٦) اصطنع فلانا : اختاره .

(٧) الطريقة : السيرة والحالة والمذهب ، وجمعها طرائق .

(٨) اختص : به انفرد .

(٩) اصطنع عنده (صنيعة) : أحسن اليه . و (الصنيعة) الإحسان .

(١٠) المعروف : الخير و (الرفد) والعطاء والمعونة .

(١١) وقاه : صانه وستره عن الأذى .

(١٢) العارف : الصبور .

بالخصالِ المحمودةِ وَوُثِقَ منه بهـا ، كانَ لِلمَعْرُوفِ مَوضِعًا ، ولِتَقريبِـه واَصْطِناعِه أهْلًا : فإنَّ الطَّبِيبَ الرفيقَ العاقِلَ لا يَقْـدِرُ على مُدَاوَاةِ المَرِيضِ إلا بَعْدَ النَّظرِ إليه والجَسِّ لِعُرُوقِه ومَعرِفَةِ طَبيعَتِه وسَبَبِ عِلَّتِه ، فإذا عَرَف ذَلِكَ كُلَّه حَقَّ مَعرِفَتِه أقْدَمَ على مُدَاوَاتِه . فَكَذَلِكَ العَاقِلُ لا يَنْبَغِي لَه أن يَصْطَفِيَ أحدًا ولا يَستَخلِصَهُ (١) إلا بَعْدَ الخِبْرَةِ ، فإنَّ مَنْ أقْدَمَ على مَشْهُور العَدَالَةَ من غَيرِ اختبارٍ كان مُخَاطِرًا فى ذلك ومُشْرِفًا مِنْهُ على هَلَاكٍ وفَسادٍ .

ومَعَ ذَلِكَ رُبَّمـا صَنَع الإنسَانُ المَعْرُوفَ مع الضَّعِيفِ الذى لَمْ يُجَرِّبْ شُكْرَهُ ، ولَمْ يَعرِفْ حالَه فى طَبَائِعِه ، فَيَقُومُ بِشُكْرِ ذَلِكَ ويُكَافِئُ عَلَيْهِ أحْسَنَ المُكَافَأةِ . ورُبمـا حَذِرَ العَاقِلُ الناسَ ولم يأمن عَلَى نَفسِه أحَدًا مِنهُمْ . وقَدْ قِيـلَ لا يَنْبَغِي لِذِى العَقْلِ أن يَحْتَقِرَ صَـغيراً ولا كَبيرًا مِنَ النَّـاسِ وَلَا مِنَ البَهَائِمِ ، ولَكِنَّه جَدِيرٌ بأن يَبْلُوَهُم ، ويكون ما يَصْنَعُ إلَيْهِم على قَدْرِ مَا يَرى مِنهُم .

(٤) مِنْ طِبقَاتِ الشُّعَرَاء لِابْنِ سلَّامٍ الجُمَحِي (٢)

وَرَتَّبْتُ هَذَا المُؤَلَّفَ عَلَى عَشْرِ طبَقَاتٍ . كُلُّ طَبَقَةٍ تَجمَعُ أَرْبَعَةً مِنْ فُحُولِ شُـعَراءِ الإسلامِ . وَكَانَ الشِّعرُ فِى الجَاهِلِيَّـةِ دِيوانَ عِلمِهِمْ ، ومُنْتَهَى حُكْمِهِمْ ، بِهِ يأخُذُون ، وإلَيهِ يَصيرُونَ (٣) . قَالَ ابنُ عَوْنٍ عَنِ ابْنِ سِيرِينَ : قَالَ : قَالَ عُمَرُ بنُ الخطَّاب .

---

(١) استخلصه : اختاره .

(٢) هو أبو عبد الله محمد بن سلام البصرى من علماء الشعر والأخبار ، وضع كتاب طبقات الشعراء الذى يعدّ من المصادر الأولى لعلم الشعر وقد توفى سنة ٢٣٢ هـ .

(٣) صار اليه : رجع وانتهى اليه .

«كَانَ الشِّعْرُ عِلْمَ قَوْمٍ لَمْ يَكُن لَهُمْ عِلمٌ أصحُّ منهُ فجاءَ الإسْلامُ وتَشَاغَلَتْ عنهُ العربُ، تَشَاغَلُوا بالجهادِ وغزوِ فارسَ والرُّومِ، ولَهِيَتْ (١) عن الشِّعْرِ وروايتِه. فلمَّا كَثُرَ الإسْلامُ وجَاءتِ الفُتُوحُ واطْمأنَّتِ العَرَبُ بالأَمْصَارِ رَاجَعُوا رِوَايةَ الشِّعْرِ، فلم يَئلوا (٢) إلى دِيوانٍ مُدوَّنٍ ولا كتابٍ مكْتُوب. فألفَوْا ذلك وقد هَلَكَ من العرب من هَلَكَ بالموتِ والقتل فحفظُوا أقلَّ ذلك وذهب عنهُم منهُ أكثره». وقد كَانَ عِنْدَ النُّعْمَانِ بن المُنذرِ منهُ دِيوانٌ فِيه أشعارُ الفحُول ومَا مُدِحَ فِيهِ هُو وأَهْلُ بيتِه. فصارَ ذلكَ إلَى بَنِي مَرْوانَ أوْ مَاصارَ منهُ. قالَ يُونُسُ بنُ حَبِيب قالَ أبُو عَمْرو بنُ العَلاءِ: ما انتهى إليكُمْ مِمَّا قالَهُ العربُ إلا أقلُّهُ ولَوْ جاءَكُمْ وافِرًا لجاءَكُمْ عِلْمٌ وشعرٌ كثيرٌ.

* * *

ولَمْ يَكُنْ لأوائِل العَرب مِنَ الشعْرِ إلّا الأبْيَاتُ يَقُولُها الرَّجُلُ فِي حَادِثةٍ. وإنَّما قُصِّدَتِ القَصَائِدُ، وطُوِّلَ الشِّعْرُ على عَهْد عَبْدِ المُطَّلبِ وهَاشِم بْنِ عَبْدِ مَناف.

* * *

وكَانَ أوَّلَ مَنْ قصَّدَ القَصَائِدَ وذَكَرَ الوَقَائعَ المُهَلْهِلُ بْنُ ربيعةَ التَّغْلِبي فِي قَتْل أخِيه كُلَيْب وائِل، قَتَلَتْه بَنُو شَيْبانَ. وكان اسْمُ المُهَلْهِل عديًّا، وإنَّمَا سُمِّيَ مُهَلْهِلًا لِهَلْهَلَةِ شِعْرِه كَهلْهَلَةِ الثَّوْب وهُوَ اضْطِرَابُهُ واختلافُهُ. من ذلِك قَوْلُ النابغةِ:

* أتاك بقولٍ هَلْهَلِ النَّسْجِ كاذِب *

وزَعَمتِ العَرَبُ أنه كَانَ يَتَكَثَّرُ (٣) ويَدَّعِي فى قولِه بأكْثَرَ مِنْ فعْلِه.

---

(١) لهى عن الشيء: سلا عنه وغفل وترك ذكره.

(٢) أى لم يرجعوا و يعتمدوا.

(٣) تأخذ من الشيء: أخذ منه كثيرا، وتكثر من الكلام: أكثر منه.

* * *

قَالَ ابْنُ سلامٍ : فلمَّا رَاجعَت العَرَبُ رِوَايةَ الشِّعْرِ وَذِكْرَ أيَّامِها وَمآثرِها اسْتَقَلَّ بَعْضُ العَشَائِرِ شِعْرَ شُعرائِهِمْ وَمَا ذَهَبَ مِن ذِكْرِ وقَائِعِهِم . وكان قَوْمٌ قَلَّتْ وقَائِعُهم وأشعارُهُمْ وأَرَادوا أن يَلحقُوا بمَنْ لَهُ الوقائعُ والأشعار ، فقالوا عَلَى أَلْسُنِ شُعَرائِهم . ثُمَّ كَانَتْ الرُّوَاةُ بَعْدُ فَزَادُوا فِي الأشعارِ ؛ ولَيْسَ يُشكِلُ عَلَى أهْلِ العِلْمِ زِيَادةُ ذلِكَ . ولَا ما وَضَعَ المُوَلَّدُونَ ، وإنَّمـا عضُلَ(١) بِهِمْ أن يَقُولَ الرَّجُلُ مِنْ أهْل بادِيةٍ مِن وَلَدِ(٢) الشُّعَراءِ أو الرجل لَيْسَ من وَلَدِهِم فَيُشكِل ذلك بَعْضَ الأشكالِ .

(٥) للبـــــلاذُرى(٣)

من كتاب فتـوح البـلدان

فتح الاسكندرية

قالُوا : لمـا فَتَحَ عَمْرو بنُ العاصِ مِصرَ أقام بها . ثم كتب الى عُمَرَ بن الخطاب يَسْتأْمِرُهُ(٤) فى الزَّحْفِ على الاسْكندريةِ ، فكتب اليــه يأمُرُهُ بذلكَ . فسار اليْهـا فى سنةِ ٢١ هـ . واستَخْلَفَ على مِصْرَ خارجةَ بْنَ حُذَافَةَ ، وكانَ من دُونِ(٥) الاسكندريةِ الرُّومُ والقِبْطُ قـد تجمَّعوا لَهُ ، وقَالُوا : نَغزُوهُ بالفُسْطَاطِ قبل أنْ يبلُغَنَا ويَرُومَ الإسكندريَّةَ . فَلَقِيَهُمْ بِالكَرْيون ، فهزَمَهُمْ ، وقَتَلَ مِنْهُمْ مَقتَلَةً عَظِيمةً . وكان فِيهم

---

(١) عضل به الأمر : اشتد .

(٢) الولد بفتح الواو واللام ، والولد بضم الواو وسكون اللام : كل ما ولد و يطلق على الذكر والأنثى والمثنى والجمع .

(٣) هو أبوجعفر أحمد بن يحيى بن جابر البلاذرى نشأ فى بغداد واتصل بالخلفاء ، وله مؤلفات أشهرها كتاب فتوح البلدان وكان شاعرا ومؤرخا توفى سنة ٢٧٩ هـ .

(٤) استأمره : طلب منه الأمر . (٥) دون هنا : أمام .

من أهل سَخَا وبَلْهِيب والخَيْس وسَنْطِيس وغيرِهم قومٌ رَفَدُوهم(١) وأعانُوهُم . ثم سارَ عمرٌو حتى انتهى الى الإسكندرية فوجد أهلَها مُعِدِّين لقتاله إلّا أن القِبْطَ فى ذَلِكَ يُحِبُّون المُوادَعة(٢) . فأرسل اليه المُقَوقِسُ يسألُه الصُّلحَ والمُهادَنَةَ الى مُدَّةٍ . فأبى عمرٌو ذلك فأمَرَ المُقَوقِسُ النّساءَ أن يَقُمْنَ على سُورِ المدينة مُقبِلاتٍ بوجُوهِهِنَّ الى داخِلِه ، وأقامَ الرِّجالَ فى السِّلاح مُقبِلين بِوُجُوهِهِمْ الى المُسلمين لِيُرْهِبَهم بذلِكَ فأرسَل اليه عَمْرو . إنّا قد رأَيْنا ما صَنَعْتَ . وما بالكثرةِ غَلَبْنا مَن غَلَبْنا ؛ فلقَدْ لَقِينا هِرَقْلَ مَلِكَكُمْ ؛ فكانَ مِنْ أمرِه ما كانَ . فقالَ المُقوقس لِأصحابِه : قد صدق هؤلاءِ القومُ : أخرَجُوا مَلِكًا من دارِ مَملكتِه حتّى أدخلوهُ القُسْطَنْطِينِيَّةَ فنحن أوْلى بالإذعانِ . فأغلَظُوا له القَوْلَ ، وأبَوْا إلا المُحارَبة فقاتَلَهم المُسلمونَ قتالًا شديدًا ، وحَصَرُوهم ثلاثةَ أشهُرٍ . ثم إن عمرًا فتحها بالسيف ، وغَنِمَ ما فيها واستبقى أهلَها ، ولَمْ يَقْتُل ، ولم يَسْبِ(٣) وجَعَلَهم ذِمّةً(٤) كأهل اليونة : فكتب الى عُمَرَ بالفتح مع معاوية ابن حُدَيْج الكِنْدِى ثمّ السكونى وبعث اليه مَعَهُ بالخُمْس .

---

(١) رفدوهم : مثل أعانوهم .

(٢) وادعه (موادعة) : صالحه وسالمه ، و(الموادعة) المسالمة وترك العداوة .

(٣) سبي العدو : أسره .

(٤) الذمة : الضمان يريد أنه جعلهم فى أمان .

العصر العباسي الثاني

خراسان والعــــراق

(أ) الشــــعر

(١) قال الشريف الرضيّ[١] يفتخر من قصيدة يمدح بها أهل البيت

لِغَيْرِ العُلا مِنّى القِلَى والتجنُّبُ ... ولوْلا العُلا ما كنتُ فى الحبِّ أرْغبُ[٢]
إذا اللهُ لم يَعذِرْكَ فيما ترومُه ... فما الناسُ إلا عاذلٌ ومُؤنِّبُ
مَلَكْتُ بحِلمى فُرصةً ما استرقَّها ... من الدهر مفتولُ الذّراعين أغْلَبُ[٣]
فإنْ تكُ سِنّى ما تطاول باعُها ... فلى مِن وراءِ المجدِ قلبٌ مُدَرَّبُ[٤]
بحسْبِيَ أنى فى الأعادى مبغَّضٌ ... وأنى الى غُرِّ المعالى محبَّبُ
وللحِلْم أوقاتٌ، وللجهلِ مثلُها ... ولكنّ أيامى الى الحِلْمِ أقربُ
يصولُ علىَّ الجاهلون، وأعتَلِى ... ويُعْجِمُ فىَّ القائلون، وأُعرِبُ[٥]
يرَوْنَ احتمالى غُصَّةً، ويَزيدُهم ... لواعجَ ضِغْنٍ أنَّنِى لستُ أغضبُ[٦]

---

(١) هو أبو الحسن محمد بن الحسين الرضى العلوى الموسوى، نقيب أشراف بغداد وأشعر بنى هاشم توفى سنة ٤٠٦ عن خمس وأربعين سنة .

(٢) القلى : البغض والكراهة والهجر، أى لولا حب المعالى ما كان لى رغبة فى أى حب .

(٣) الأغلب : الغليظ الرقبة . والمفتول الذراعين، والأغلب : من أوصاف الأسد وكل قوى العضل .

(٤) المدرب : المحدَّد الماضى .

(٥) أى أن المتحدثين عنى لا يعرفون كل فضائلى؛ فهم لا يبينون عن حقيقتى : إما بغضا، وإما جهلا، مع أنى أعرب عن فضائلى بفعالى .

(٦) أى أضغان وحقود محرقة فى الصدر .

وأُعرِضُ عن كأسِ النديمِ كأنها ... وَميضُ غمامٍ غائرِ المُزنِ خُلَّبُ (١)

وقورٌ، فلا الألحانُ تأسرُ عَزْمَتِي ... ولا تَمكُرُ الصهباءُ بي حين أَشْرَبُ

ولا أَعرِفُ الفَحْشاءَ إلا بوصْفِها ... ولا أَنطِقُ العَوْراءَ والقلبُ مُغْضَبُ

تَحَلَّمُ عن كَرِّ القوارصِ شيمَتِي ... كأنّ مُعِيدَ الذَّمِّ بالمدْحِ مُطنِبُ (٢)

لساني حَصاةٌ يَقْرَعُ الجهلَ بالحِجى ... إذا نالَ مِنِّي العاضِهُ المُتَوثِّبُ (٣)

ولَسْتُ براضٍ أن تَمَسَّ عزائمي ... فُضالاتُ ما يُعطِي الزمانُ ويسلُبُ

غرائبُ آدابٍ حَبَانِي بحفْظِها ... زَمانِي، وصَرْفُ الدهرِ نِعْمَ المؤدِّبُ

وقال فى صغره :

ستعلَمونَ ما يكونُ منّي ... إن مَدَّ من ضَبْعَيَّ طولُ سِنِّي (٤)

أَأَدَعُ الدنيا، ولم تَدَعْني ... يلعَبُ بي عَناؤُها المُعَنِّي (٥)

وَسِعْتُ أيّامي، ولم تَسعْني ... أفضُلُ عنها، وتَضيقُ عَنِّي (٦)

---

(١) الوميض : لمعان البرق . والبرق الخلب : الخادع الذى ليس وراءه مطر ، ... السحاب .

(٢) أى اذا وجعنى غيرى بقوارص الكلام فلست أكر عليه ، بل أتحلم عنه فى مدحى .

(٣) العاضه : الذى يكذب على الرجل فى وجهه ، أى اذا آذانى متوثب على ذمى بالكذب فى وجهى لا أتعالى عليه ، بل أقرعه .

(٤) الضبع : العضد ، أى إن كبرت سنى ، وطال عضدى .

(٥) أى أأترك الدنيا يلعب بى عناؤها وهى لم تتركنى .

(٦) أى أنى أسع الدهر باحتمالى ، وهو يضيق عنى .

لِمْ أنَا مِثْـلُ العَاطِنِ المُبِنِّ … أَسحَبُ بُرْدَىْ ضَرَعٍ وَأفْنِى (١)

ولى مَضَاءٌ قـطُّ لم يَخُنِّى : … ضميرُ قَلْبِى . وضميرُ جَفْنِى (٢)

راضٍ بما يُضوِى الفتى ويُضنِى … أَسُسَ آباى وسوْفَ أبْنِى

قد عزَّ أصْلِى ، ويعزُّ غُصْنِى … غَنِيتُ بالمجـدِ ولم أستغْنِ

وقَالَ :

ولقـد مَرَرْتُ على ديارهمُ … وطُلُولها بِيدِ البِلى نَهْبُ

فوقفتُ حتى ضَجَّ من لَغَبٍ … نِضْوِى ، ولجَّ بعذْلِىَ الركبُ (٣)

وتلفَّتَتْ عَيْنى فمذْ خَفِيَتْ … عنّى الطلولُ تلفّتَ القلْبُ

وقَالَ :

رُبَّ أخٍ لى لم تَـلِدْه أمّى … ينفِى الأذى عنّى ، ويجلو همّى

ويصْـطَلِى دونى بالمُـلِمِّ … اذا دُعيتُ اشتدَّ ماضِى العزْمِ (٤)

كأنمـا كان يُنادَى بٱسمى

---

(١) العاطن : الجمل البارك بجانب الماء ، والمبن : المقيم والكريه الرائحة : أى لم أكون مقيما فى الدار مثل الجمل المديم المكث فى المعاطن الكريهة الرائحـة بالإقامة فيها ؛ اما آن لى أن أرحل لأطلب ... ، ولا أسحب ثوب الضرع والذل حتى أفنيه ؛

(٢) أى أن قلبى ونظرى ماضيان صادقان فى معرفة الأمور .

(٣) النضو : المهزول من الإبل وغيرها . واللغب : أشدّ التعب والإعياء .

(٤) أى ناب عنى فى النائبات والمهمات .

(٢) وقال مهيار الدَّيْلمِى[١] فى الفخر بقومه فارس وبالإسلام :

أُعْجِبتْ بى بَيْنَ نادِى قَومِهـا ... أمُّ سَـعْدٍ ، فمضتْ تَسألُ بِى
سَرَّها مَا عَلِمتْ مِن خُلُقِى ... فأرادتْ عِلْمَهـا ما حَسَـبِى
لا تَخالِى نَسَـبًا يَخفِضُنِى ؛ ... أنا مَنْ يُرْضيكِ عنـد النَّسَبِ
قَوْمِىَ اسْتَوْلَوْا على الدهرِ فَتًى ، ... ومَشَـوْا فوقَ رُءوسِ الحِقَبِ
عَمَّمُوا بالشمْسِ هَامَاتِهِـمُ ، ... وبَنَـوْا أبياتَهـم بالشُّهُبِ
وأبى كِسرى عَـلَا إيـوانُهُ ... أينَ فى الناسِ أبٌ مثـلُ أبى؟
قد قَبستُ المجدَ مِن خيرِ أبٍ ، ... وقبستُ الدِّينَ مِن خيرِ نَبى
وضَمَمْتُ الفخرَ من أطرافِه : ... سُؤْدَدِ الفُرْسِ ، ودِينِ العَرَبِ .

وقال من قصيدة :

يا نَسـيمَ الصُّبحِ مِن كاظِمَةٍ ... شـدَّ ما هِجْتَ الجَـوَى والبُرَحَا[٢]
الصَّبا ــ إن كان لا بُدَّ الصَّبا ــ ... إنهـا كانتْ لِقَـلْبِى أرْوَحَا
يانَدَامَاىَ بِسَـلْعٍ ! هـل أرى ... ذلك المَغْبَـقَ والمُصْـطَبَحَا ؟[٣]

(١) هو أبو الحسن مهيار بن مرزويه الديلمى . كان مجوسيا يتكسب بالكتابة فى الدواوين ؛ تخرج على الشريف الرضى فى الشعر حتى كاد يرق قوله عن قوله . وأسلم على يده وتشيع بمذهبه ، وغلا فى التشيع وتوفى سنة ٤٢٨ هـ .

(٢) كاظمة : موضع من بلاد العرب بقرب البصرة على ساحل خليج فارس ، والبرحا : مقصور البرحاء بالمد ، وهى شدة الألم .

(٣) سلع : جبل بالمدينة . والمغبق : مكان الغبوق ، أى الشرب مساء . والمصطبح : مكان الشرب صباحا .

فاذكرونا مِثلَ ذِكرانا لَكُمْ ، رُبَّ ذِكرى قرّبتْ مَن نَزَحا
واذكروا صَبّاً إذا غَنّى بِكُمْ شَرِبَ الدَّمعَ وعافَ القَدَحا

وقال من قصيدة :

خليلُكَ مَن صَفا لكَ في البِعادِ وجارُك من أذَمَّ على الوِداد (١)
وحظُّكَ مِن صديقِك أن تراهُ عَدُوّاً في هواكَ لمن تُعادِي
ورُبَّ أخٍ قَصِيِّ العِرْقِ ، فيه سُلوٌّ عن أخيكَ مِن الوِلاد (٢)
فلا تَغْرُرْكَ ألسِنةٌ رِطابٌ بَطائنُهنَّ أكبادٌ صَوادِي (٣)
وعِشْ إما قَرينَ أخٍ وَفِيٍّ أمينِ الغَيْبِ ، أو عيشَ الوِحاد
فإنى بعدَ تجرِبتى لأمرى أنِسْتُ ـ ولا أغُشُّك ـ بانفرادى
تُريدُ خلائقُ الأيامِ مَكراً لِتَغْصِبَنِي على خُلُقِى وعادِي (٤)
وتَغْمِزُنى الخُطوبُ تَظُنُّ أنى أَلِينُ على عَرائكِها الشِّداد (٥)
وما ثَهلانُ تُشْرِقُ قُنّتاهُ بأحمَلَ للنوائبِ مِن فؤادى (٦)
تُقَرِّبُ في تَقَلُّبِها الليالى عَلَىَّ بكلِّ طارِقةٍ نآد (٧)

---

(١) أذم : أعطى عهدا وذمة على الوداد .
(٢) قصى العرق : أى بعيد النسب .
(٣) أى حرى ملتهبة من الحقد .
(٤) أى تريد خلائق الأيام انتغلبنى على أخلاقى وعاداتى وتسلبها منى أو تقهرنى على تغييرها .
(٥) العرائك : جمع عريكة ، وهى النفس والنخوة .
(٦) ثهلان : جبل . والقنة : أعلى الجبل ، أى أن جبل ثهلان لا يحمل مايحمله قلبه من النوائب .
(٧) أى تأتى بالغرائب . والطارقة : الحادثة . والنآد : الداهية العظيمة .

إذا قلتُ: ٱكتفتْ منّي، وكفتْ — نَزتْ بالدّاء ثائرةَ العِداد (١)
رَعَى يمَنُ الحوادثِ فى هُزالِى — كأنّ صلاحَهنّ عَلَى فسادى
فيومًا فى الذّخيرةِ من صديق — ويومًا فى الذّخيرة من تِلادى (٢)
يذُمّ النّومَ دونَ الحِرْص قومٌ — وقلتُ ارقدْنِي عنه: حَمادِ (٣)
وما كان الغِنَى إلا يسيرًا — لَوَ انّ الرزقَ يبلُغُه ٱجتهادى

(٣) وقال المأمونىُّ فى الوصف (٤)

يصف المقراض:

وصاحبيْن ٱتفَقَا — على ٱلهوَى وٱعتنقا
وأقسما بالودّ والإ — خْلاصِ أن لا ٱفترقَا
ضَمّهمَا أزهرُ كالنـ — ـجم به قد وثِقا (٥)
لم يَشْكُ فى خَصْرَيهما — مُذ ضَمّناه قلقَا (٦)
من تحتِه عينان مُنْـ — ـذُ انفتحا ما انطبقَا (٧)

---

(١) العداد: جمع عد، وهو الند والقرين.

(٢) أى فيوما ترس فيا أدخره من الأصدقاء، و يوما فى مالى.

(٣) كلمة مبنيّة على الكسر أى حمدا وشكرا، أى أنه يحمد رقدته عن الحرص والجشع على الدنيا.

(٤) أحد بلغاء الشعراء الوصافين المجيدين للفخر. وهو أبوطالب عبد السلام من ذرية المأمون الخليفة العباسى، قصد بخارى، وأقام بها طامعا أن يجند بها جندا يفتح به بغداد فمات سنة ٣٨٣ هـ غيربالغ الأربعين من عمره.

(٥) أى مسمار أزهر.

(٦) لم يشك: أى المسمار الأزهر المذكور آنفا، تقلقلا: بل هو ثابت محكم

(٧) يريد بالعينين شبه الحلقتين اللتين تدخل فيهما الإبهام والسبابة والوسطى.

وفوقــــهُ نابانِ مَا حَلَّا فمَا مُــذْ خُلِقــا [1]
يُفــرِّقانِ بَيْن كُـ ـلِّ مَا عَليــهِ اتَّفَقــا [2]
فأَىّ شيءٍ لاَقيــا هُ ألقيــاه فِــرَقا

(٤) وقال السَّرىُّ الرَّفّاء فى وصف القصور والمنازل : [3]

مَجْلِسٌ فى فِنــاءِ دِجلةَ يَرْتا حُ إليــه الخليعُ والمســتورُ
طائرٌ فى الهواءِ، فالبَرقُ يَسْرِى دونَ أعلاهُ ، والحَمَــامُ يطــيرُ
فإذا الغيمُ سارَ أُسْــبِلَ منــهُ حُلَلٌ دونَــ جُدْرِه وسُتُور
وإذا غارتِ الكواكبُ صُبْحًا فَهْوَ الكوكبُ الذى لا يَغُور

(٥) وقال القاضى على بن عبد العزيز الجرجانى صاحب كتاب «الوساطة بين المتنبي وخصومه» المتوفى سنة ٣٦٦ هـ .

ما تَطَعَّمْتُ لَذَّةَ العيشِ حــتّى صرتُ لِلبيتِ والكتابِ جليسا
ليس شيءٌ أعزَّ عندى من العِلْـ ـمِ ، فمــا أبتغى ســواه أنِيسا
إنمــا الذُّلُّ فى مُخالطةِ النــا سِ فدعْهُمْ ، وعِشْ عزيزًا رئيسا

---

(١) يريد بالنابين الجزأين القاطعين فى المقراض .

(٢) أى يفصلان كل ما انضما وانطبقا عليه من الثوب ونحوه .

(٣) هو أبو الحسن السرى بن أحمد الكندى شاعر وصاف مداح ، نشأ بالموصل وقصد سيف الدولة بحلب فأقام معه حتى مات ثم قصد بغداد فمدح رؤساءها ومات بها سنة ٣٦٦ هـ .

(٦) وقال ابن نباتة السعدى : [1]

وكم من خليلٍ قد تمنيتُ قُربَه بجربتُه حتى تمنيتُ بُعدَهُ
وما للفتى فى حادثِ الدهرِ حيلةٌ إذا نحسُه فى الأمرِ قابلَ سَعْدَهُ
أرى هِمَمَ المرءِ اكتئابا وحسرةً عليهِ إذا لم يُسْعِدِ اللهُ جَدَّهُ

(٧) وقال الصّابئ : [2]

يا جامعًا بخِلالٍ قبيحةٍ ليس تُحصى
نَقَصْتَ من كلِّ فضلٍ فقد تكاملتَ نَقْصا
لَوْ أنّ للجهلِ شخصًا لكُنتَ للجهل شَخْصا

(٨) وقال الوزير الصاحب إسماعيل بن عباد كاتب المشرق
ووزير آل بُوَيه المتوفى سنة ٣٨٥ هـ

وكم شامتٍ بى بَعْدَ موْتى جاهلا يَظَلُّ يَسُلُّ السيفَ بَعْدَ وَفاتى
ولو عَلِمَ المسكينُ ماذا يَنالُه مِنَ الظُّلمِ بَعْدِى ماتَ قبلَ مَماتى

(٩) وقال الخُوارَزْمى :

لا تَصحَبِ الكسلانَ فى حاجاته كمْ صالحٍ بِفسادِ آخرَ يَفسُدُ
عَدْوَى البَليدِ الى الجليدِ سريعةٌ والجمرُ يُوضَعُ فى الرَّمادِ فيَخْمُدُ

(١) هو أبو نصر عبد العزيز بن محمد بن نباتة السعدى التميمى أحد فحول الشعراء المجيدين العراقيين . توفى سنة ٤٠٥ هـ .

(٢) هو أبو اسحاق ابراهيم بن هلال الصابئ الحرانى، كان صابئا على دين فلاسفة القدماء من اليونان، وكان جميل العشرة للمسلمين وتكسب بالكتابة فى دواوين بغداد . وكان رئيس الكتاب بها، وصدرت عنه نفائس الرسائل . وله شعر جميل ومات سنة ٣٨٤ .

(١٠) وقال البستى : [١]

بين من يُعطى ومن يأ خُذُ فى التَّقْدِيرِ عَرْضُ
فَيَـدُ المُعْطِى سمـاءٌ ويدُ الآخِـذِ أرضُ
وعلى الآخذِ أن يَشْـ كُرَ، إنّ الشُّكْرَ قرضُ

وقال أيضـا :

أَفِـدْ طبعَك المكدودَ بالهمِّ راحةً يَجُمَّ، وعَلِّلْهُ بشيءٍ مِنَ المَزحِ
ولكن إذا أعطيتَــهُ ذاك فليَكُنْ بِمقدارِ ما تُعطِى الطعامَ من المِلْحِ

وقال فى المدح :

لمـا أتانى كتابٌ مِنــكَ مُبْتَسِمٌ عن كل برٍّ وفضــل غيرِ محدودِ
حكَتْ معانيــهِ فى أثنـاءِ أسطرِه آثارَكَ البيضَ فى أحوالِيَ الســود

وقال أيضـا :

ما إن سمعتُ بنُــوّارٍ لَهُ ثَمَــرٌ فى الوقْتِ يُمتِعُ سَمْعَ المرءِ والبَصَرا
حتى أتانى كِتابٌ منــك مبتسمٌ عن كلِّ لفظ ومعنًى يُشبه الدرَرَا
وكانَّ لفظُك مِن لألائهِ زَهَرًا، وكان معناهُ فى أثنـائه ثمَــرا
تسابَقا، فأصابا القصـدَ فى طَلَقٍ للهِ مِن ثَمَرٍ قد سابقَ الزَّهَرا ! [٢]

---

(١) هو أبو الفتح البستى على بن محمد الكاتب الشاعر. أحد المولعين بالتجنيس، وأحد رؤساء الكتاب فى الدولة الغزنوية والمتوفى سنة ٤٠٠ هـ .

(٢) الطلق : الشوط فى الجرى .

(١١) وقال الناشئ الأصغر فى الوصف : (١)

إنِّى لَيَهْجُرُنى الصَّديقُ تجنّباً فأُرِيه أنّ لِهَجْرِه أسبابا
وأخافُ إن عاتبتُه أغْرَيتُه ، فأرى لَهُ تركَ العتابِ عِتابا
وإذا بُلِيتُ بجاهلٍ مُتَعاقِلٍ يدعُو المحالَ من الأُمورِ صوابا
أوليتُهُ مِنّى السكوتَ ، ور بما كان السكوتُ عنِ الجوابِ جوابا

(١٢) وقال الأبهرى فى الحكم : (٢)

متى ترغَبْ إلى النـاسِ تكنْ للناسِ مملوكا
وإن أنتَ تخفّفتَ على الناسِ أحبّوكا
وإن ثقّلتَ عافُوكَ وملُّوكَ وسبُّوكا
اذا ما شِئْتَ أن تُعصَى فمُرْ مَن ليس يرْجوكا
وسلْ مَنْ ليس يخشاكَ فيدْمى عِنْدَهَا فُوكا

(١٣) وقال الأبِيوَرْدِىّ (٣)

تنكّرَ لى دهْرِى ولم يَدْرِ أنّنى أعِزُّ وأحداثُ الزّمانِ تَهُونُ
فظَلّ يُرِينى الخطبَ كيفَ اعتداؤُه وَبِتُّ أُرِيه الصّبْرَ كيف يكون

---

(١) هو أبو الحسن على بن عبد الله المعروف بالناشئ الأصغر الشاعر البليغ المتوفى سنة ٣٦٦ هـ .

(٢) هو أبو الحسن على بن مأمون الأبهرى أحد شعراء الجبل وطبرستان .

(٣) هو أبو المظفر محمد بن أحمد الأبيوردى الأموى الشاعر المشهور من فضلاء بغداد وأدبائها . وأبيورد المنسوب اليها بليدة بخراسان توفى سنة ٥٥٧ هـ .

(١٤) وقال الشريف ابن الهبّارية :(١)

لأصونَنّ دِرهمي فهو لا شكّ صانِني
لم يُعنِّ ابنُ والدى وصحيحى أعانني (٢)

وقال أيضا :

لله درّ دَراهمى فهى التى أعلت مكانى
لولا الغنى عن صاحبى لأحلّنى دار الهوان

(١٥) وقال الطّغرائى يرثى زوجته :(٣)

ولم أنسَها، والموتُ يقبض كفَّها ويبسُطُها ، والعينُ ترنو وتُطرِقُ
وقد دمعت أجفانُها فوقَ خدها جَنَى نَرْجِسٍ فيه النّدى يَتَرقرقُ
وحلَّ مِنَ المَقْدور ما كنتُ أتَّقِي وحُمَّ مِن المحذور ما كنتُ أفرَق
وقِيلَ : فِراقٌ لا تَلاقِيَ بعدَه ! ولا زادَ إلا حسرةٌ وتحرُّقُ!
فلو أنّ نفسًا قبلَ محتُومِ يومها قضتْ حَسَراتٍ كانتْ الرُّوحُ تزهق

(١) هو أبو يعلى محمد المعروف بابن الهبارية البغدادى الشاعر الأديب من بيت الخلافة العباسية نشأ فى إبان اضمحلالها . وهو صاحب كتاب الصادح والباغم المنظوم حكايات وأمثالا ومواعظ على ألسنة الحيوان توفى سنة ٥٠٤ ﻫ . ببلاد كرمان .

(٢) أى ودرهمى الصحيح .

(٣) هو مؤيد الدين الأستاذ العميد فخر الكتاب أبو إسماعيل الحسين بن محمد الطغرائى آخر فحول المشرق بلاغة كتابة وجزالة شعر . وقصيدته لامية العجم مشهورة مشروحة وله ديوان شعر مطبوع توفى قتيلا سنة ٥١٣ ﻫ . وكان وزيرا من وزراء المملكة السلجوقية .

هِلالٌ ثَوَى مِنْ قبلِ أن تمَّ نُورُه وغُصْنٌ ذَوَى فَيْنَانُهُ وهوَ مُورِق (١)
فَوَاعَجَبَا أنَّى أُحِمَّ اجتماعُنا؟ ويا حَسرَتِي من أين حَلَّ التفرُّقُ؟ (٢)

وله فى الحكمة :

يسودُ الفتى قومَه بالفعالِ وليسْ بأكرمِهم مَحْتِدَا
ومن جوهرِ السيفِ صارالحديدُ بقيمةِ أضعافِه عَسْجَدَا

وله فى أعدائه :

نَكِرُوا عَلَيَّ معايِبي فحذرتُها ونَفَيْتُ عن أَخْلاقِيَ الأَقذاءَ
ولربما انتفعَ الفتَى بعدُوِّهِ والسمُّ أحياناً يكونُ شِفاءَ

وقال أيضا :

قالت : حُرِمْتَ الغِنى من حَيْثُ أُوتِيَهُ سِواكَ! والعُدْمُ مشتقٌّ مِن العَدَمِ
فقلتُ : كُفِّي، فليس العُدْمُ مَنْقَصَةً وإنما المرْءُ بالأخلاقِ والشِّيَمِ
إن ضاقَ خِطَّةُ حالِي لم يَضِق خُلُقِي أو قَصَّرَ المالُ لم تَقْصُرْ له هِمَمِي
أمَا علِمْتِ — وخيرُ العِلمِ أنفعُهُ — أن الغِنَى غيرُ محسوبٍ منَ الكَرَمِ

وقال أيضا :

خُذَا من صَبا نجدٍ أماناً لِقَلْبِهِ فقد كادَ رَيَّاها يطيرُ بِلُبِّهِ
وإيَّاكُما ذاكَ النسيمَ، فإنَّه إذا هَبَّ كان الوجدُ أيسرَ خَطْبِهِ

(١) الفينان هنا : الكثير الأهداب (والورق) .
(٢) أحم : قدر .

خليـــليَّ لــو أحببْتُما لعلِمــتُما ... محلَّ الهوى من مُدْنَفِ القلْبِ صَبِّهِ
تذكرتُ ، والذكرى تشوقُ وذو الهوى ... يحِنُّ ، ومَن يعلَقْ به الحبُّ يُصْبِهِ
وفى الرَّكْبِ مَطْوِىُّ الضُّلوعِ على جوًى ... متى يدعُهُ داعِى السَّــقامِ يُلَبِّــهِ

وقال أيضــا :

يا قلبُ مالكَ والهوى مِن بَعْـدِما ... طاب السُّـــلوُّ ، وأقصرَ العُشاقُ
أوَما بدا لكَ فى الإفاقةِ ، والأُلَى ... نازعْتَهــم كأسَ الغَــرامِ أفاقُوا !
مرِضَ النسيمُ وصَحَّ ، والداءُ الذى ... أشكوه لا يُرجَى له إفْــراقُ
وهدا خُفوقُ البَرْقِ ، والقلبُ الذى ... تُطــوَى عليــه جَوانِحِى خفّاقُ

وقال ينصح بنيه :

كونوا جميعًــا يا بَنِىَّ إذا اعْتَرَى ... خَطْبٌ ولا تَتَفَــرَّقوا آحادا
تأبَى القِداحُ اذا اجتمعْنَ تكسُّرا ... وإذا افترقنَ تكسرتْ أفــرادا

وله فى الرأى :

لا تحقِرنَّ الرأىَ وهْوَ مُوافِقٌ ... حُكْمَ الصوابِ اذا أتَى مِن ناقِصِ
فالدرُّ وهو أجــلُّ شىءٍ يُقتنَى ... ما حَطَّ قيمتَه هَوانُ الغائِصِ

وقال أبو أحمد بن أبى بكر الكاتب أحد رؤساء الكتّاب فى الدولة السامانية :

اذا لم يكن للمرءِ فى دَوْلةٍ امرئٍ ... نصيبٌ ولا حَــظٌّ تمنَّى زَوالَهــا
وما ذاكَ من بُغضٍ لهــا غيرَ أنّه ... يُرَجِّى سِوَاها ، فهو يهوَى انتقالَها

(١٦) وقال السَّهْرَوَرْدِىّ[١] فى الفلسفة والتصوف :

قُلْ لِأَصحابٍ رَأَوْنِي مَيِّتًا ... فبكَوْنِي إذْ رَأَوْنِي : حَزَنا
لا تَظُنُّونى بأنّى مَيِّتٌ ... ليس ذَا المَيِّتُ واللهِ أنا
أنا عُصْفورٌ ، وهـذا قَفَصِي ... طِرْتُ عنـهُ ، فتخَلَّى رَهَنَا
فَٱخْلَعُوا الأنْفُسَ عن أجسادِها ... فتَرَوْنَ الحـقَّ حقًّا بَيِّنا
لا تَرُعْكُمْ سَكْرَةُ المَوْتِ فمـا ... هىَ الا بانتقـالٍ من هُنـا

(١٧) وقال الرِّفاعى[٢] :

اذا جَنّ ليلٍى هامَ قلْبِي بذِكركمْ ... أَنوحُ كما ناح الحَمامُ المطَـوَّقُ
وفَـوْقِي سَحابٌ يُمطِرُ الهمَّ والأسَى ... وتحـتِي بِحـارٌ بالأَسَى تَتَـدفّقُ
سلُوا أمَّ عَمْرٍو كيفَ باتَ أَسِيرُها ... تُفَكُّ الأُسارَى دونَه وهْو مُوثَق
فلا هو مقتولٌ ، ففِي القتلِ راحةٌ ... ولا هُوَ ممنونٌ عليهِ فَيُطلَقُ

ودخل بعضهم على أبى بكر دُلَف المشهور بالشِّبلى الزاهد الصوفى تلميذ الجُنَيد المتوفى سنة ٣٣٤ هـ ، وهو يهيج ويقول :

على بُعـدِكَ لا يَصْـبِـ ... ـرُ مَن عادتُه القُـربُ
ولا يقـوَى على هَجْـرِ ... كَ مَن تيَّمَـهُ الحبُّ
فإنْ لم تَرَكَ العَيْنُ ... فقـد يُبصِرُكَ القـلْبُ

(١) هو شهاب الدين عمر السهروردى . قالها وهو يجود بنفسه لما قتل سنة ٥٨٦ هـ . بقلعة حلب قتله صلاح الدين لتوهمه أنه يفتن ابنه بالكفر . (٢) هو أبو العباس أحمد الرفاعى صاحب الطريقة الرفاعية الصوفية المتوفى بقرية أم عبيدة ببطائح البصرة سنة ٥٧٨ هـ .

(ب) النـــــثر

(١) ولابن العميد[١] رسالة الى عضد الدولة يهنئه بمولودين :

أطال الله بقاء الأمير الأجلّ عضد الدولة ، وأدام عزّه وتأييده ، وعلوّه وتمهيده ، وبسطته وتوطيده ، وظاهر له من كلّ خير مزيده ، وهنأه ما آحتظاه به على قرب الميلاد[٢] من توافر الأعداد ، وتكثّر الأمداد ، وتثمّر الأولاد ، وأراه من النجابة فى البنين والأسباط ، ما أراه من الكرم فى الآباء والأجداد ، ولا أخلى عينه من قرّة ، ونفسه من مسرّة ، ومتجدّد نعمة ، ومستأنف مكرمة ، وزيادة فى عدده ، وفسح فى أمده ، حتى يبلغ غاية منهله ، ويستغرق نهاية أمله ، ويستوفى ما بعد حسن ظنّه . وعرّفه الله السعادة فيما بشّر عبده من طلوع بدرين هما آنبعثا من نوره ، وآستنارا من دوره ، وحفّا بسريره ، وجعل وفدهما متلائمين ، وورودهما توءمين ، بشيرين بتظاهر النعم ، وتوافر القسم ، ومؤذنين بترادف بنين ، يجمعهم منخرق الفضاء[٣] ، ويشرق بنورهم أفق العلاء ، وينتهى بهم أمد النماء ، الى غاية تفوت غاية الإحصاء . ولا زالت السبيل عامرة ، والمناهل غامرة بصفائح صادرهم بالبشر ، وآملهم بالنيل .

---

(١) هو الأستاذ الرئيس الوزير أبو الفضل محمد بن الحسين العميد أكبر كتاب المشرق ، وصاحب الطريقة الإنشائية الشعرية ووزير ركن الدولة بن بويه ، ثم عضد الدولة توفى سنة ٣٦٠ هـ .

(٢) أى على صغر سنه .

(٣) منخرق الفضاء : واسعه .

(٢) ومن رسائل الصاحب[١] بن عَبَّاد تهنئة بميلاد طفلة

أهلا وسهلا بِعَقيلةِ النساء، وأُمّ الأبناء وجالبةِ الأصهار، والأولاد الأطهار، والمُبَشِّرةِ بإخْوة يتناسقون، نُجَباءَ يَتَلاحقون.

فلو كانَ النساءُ كمثل هٰذِي لَفُضِّلَتِ النساءُ على الرجال

وما التأنيثُ لاسمِ الشمس عيبٌ ولا التذكير فخرٌ للهلال

فَادَّرِعْ ياسيدى اغتباطا، واستأنِفْ نَشاطا؛ فالدنيا مُؤَنثةٌ، والرجالُ يَخْدُمونها، والذكورُ يعبُدونها، والأرضُ مؤنثة؛ ومنها خُلِقَتْ البَرِيّة، وفيها كثرت الذُّرّية، والسماءُ مؤنثة، وقد زُيِّنت بالكواكب، وحُلِّيت بالنجم الثاقب، والنفسُ مؤنثة وبها قِوامُ الأبدان، ومِلاك الحيوان، والحياةُ مؤنثة، ولولاها لم تَتَصَرّف الأجسام، ولا عُرِف الأنام، والجنة مؤنثة وبها وُعِدَ المتقون، ولها بُعِثَ المرسلون، فهنيئًا هنيئًا ما أُولِيتَ، وأوزعَكَ اللهُ شكرَ ما أُعطِيتَ. وأطالَ بقاءك ما عُرِف النسلُ والوَلدُ، وما بَقِيَ الأبدُ، وكما عُمِّرَ لُبَدُ[٢].

(٣) وكتب البديع[٣] أبو الفضل أحمد بن الحسين بن يحيى الى بعض إخوانه تعزية له عن أبيه

وَصَلتْ رُقعَتُكَ يا سيّدى، والمصابُ لعمرُ الله كبير، وأنتَ بالجزَع جدير، ولكنّك بالعَزاءِ أجدَر، والصبرُ عن الأحِبَّة رُشدٌ كأنه الغيّ، وقد ماتَ الميتُ

(١) تقدمت ترجمته عند شعره.

(٢) لبد آخر نسور لقمان، يضرب به المثل فى التعمير وطول الأجل؛ فيقال: طال الأمد على لبد.

(٣) هو أبو الفضل بديع الزمان أحمد بن الحسين الهمذانى الكاتب المبدع والشاعر الرقيق صاحب المقامات والرسائل المشهورة توفى سنة ٣٩٨ هـ بهراة وهو فى سن الأربعين.

فليحي الحي، والآن فاشدد على مالك بالخمس، فأنت اليوم غيرك بالأمس . قد كان ذلك الشيخ – رحمه الله – وكيلك، تضحك ويبكي لك . وقد خولك ما ألف بين سراه(١) وسيره، وخلفك فقيرًا الى الله غنيًا عن غيره . وسيعجم(٢) الشيطان عودك، فان استلانك رماك بقوم يقولون : خير المال ما أتلف بين الشراب والشباب، وأنفق بين الحباب(٣)، والأحباب، والعيش بين القداح(٤)، والأقداح، ولولا الاستعمال ما أريد المال؛ فان أطعتهم فاليوم في الشراب، وغدًا في الخراب، واليوم: واطربا للكأس! وغدًا : واحربا من الإفلاس . يامولاي! ذلك الخارج من العود يسميه الجاهل نقرا، ويسميه العاقل فقرا، وكذلك المسموع في الناي هو في الآذان زمر، وغدًا في الأبواب سمر . فإن لم يجد الشيطان مغمزًا في عودك من هذا الوجه رماك بقوم يمثلون الفقر حذاء عينيك، فتجاهد قلبك، وتحاسب بطنك، وتنافش عرسك(٥)، وتمنع نفسك، وتبوء في دنياك بوزرك، وتراه في الآخرة في ميزان غيرك، لا ! ولكن قصدًا بين الطريقين، وميلا عن الفريقين: لا منع ولا إسراف . والبخل فقر حاضر، وضير عاجل، وانما يبخل المرء خيفة ما هو فيه .

---

(١) السرى : المشي بالليل والسير بالنهار أو أعم .

(٢) عجم العود : عض عليه بأسنانه ليعرف مقدار صلابته أي سيجربك الشيطان .

(٣) الحباب هنا : الفقاقيع التي تطفو على كأس الخمر .

(٤) القداح : جمع قدح بكسر القاف، وهي عيدان صغيرة تسوى ليلعب بها الميسر . والأقداح : جمع قدح بفتحتين، وهي كئوس الخمر ونحوها .

(٥) عرسك : زوجك .

فليكُنْ لله فى مالك قِسْم، وللمروءةِ قِسم، فصِلِ الرَّحِمَ ما ٱستطعْتَ، وقدِّرْ إذا قطعْتَ؛ فلأَن تكونَ فى جانبِ التقدير(١) خيرٌ من أن تكونَ فى جانب التبذير.

وللبديع فصل من رسالة ينصح بها ٱبن أخيه

أَنتَ ولدِى ما دُمتَ والعِلْمُ شأنُك، والمدرسةُ مكانُك، وٱلمِحْبَرَة حليفُك، والدفترُ أليفُك؛ فإن قصَّرتَ ولا إخالُك، فغيرِى خالُك، والسلام.

ومن مقامات البديع المقامة الثانيةَ عشرةَ البغدادية

حدَّثنا عيسى بنُ هشام قال: اشتهيتُ الأَزاذَ(٢)، وأنا ببغداذَ، وليس معِى عَقْدٌ، على نَقْد(٣)، فخرجتُ أنتهزُ محالَّه(٤) حتى أحلَّنى الكرْخَ(٥). فإذا أنا بسَواديٍّ(٦) يسوقُ بالجَهْد حِمارَه، ويَطرِف(٧) بالعقد إزارَه، فقلتُ: ظفِرْنا والله بصَيْد، وحيَّاكَ اللهُ أبا زَيْد، من أينَ أقبلْتَ؟ وأين نزلْتَ؟ ومتى وافيْتَ؟ وهلُمَّ الى البيْت! فقال السوادى: لستُ أبا زيد، ولكنِّى أبوعُبَيْد! قال: فقلتُ: نعم! لعن اللهُ الشيطانَ! أنسانيك طولُ العهد، وٱتصالُ البُعد، فكيف حالُ أبيك؟ أشابٌّ كعهدِى، أم شابَ بعدِى.

---

(١) التقدير: التقليل فى النفقة ومحاسبة النفس على الإنفاق.

(٢) الأزاذ: نوع من التمر.

(٣) أى صبر على دراهم.

(٤) أى أسرع اليها وأبتدرها.

(٥) أى أحلنى الانتهاز، والكرخ: محلة كبيرة ببغداد بالجانب الغربى.

(٦) أى بفلاح من أهل السواد وهم نبط العراق وزراعه.

(٧) ويطرف: أى يثنى طرف ازاره ويردّه على عقدة وسطه أى يشمره.

فقال : قد نبت الربيعُ على دِمْنَتِـه(١)، فقلتُ : إنا لله وإنا اليــه راجعون ! ولا حولَ ولا قوةَ إلا باللهِ العلى العظيم ! ثمدَدتُ يَدَ البِدارِ، الى الصِّدارِ، أريدُ تمزيقَه فقبضَ السوادىّ على خَصْرِى بجُمْعِهِ(٢) وقال : نشدتُكَ اللهَ لا مَزّقتَه، فقلت : هلم الى البيت نُصِبْ غداءً أو الى السوق نشترِ شواءً. فاستفزّتْه حَمِيَّةُ القَرَمِ(٣)، وعطفَتْه عاطفة اللّقَم(٤) وطمِعَ، ولم يَعلم أنه وقع . ثم أتينا شوّاءً يتقاطرُ شِـواؤُه عَرَقًا، ويتسايَلُ جُوذابُه(٥) مَرَقًا، فقلتُ : أفرِزْ لأبى زيد من هذا الشّواء، ثم زِنْ له من تلك الحلْواء، واخترْ له من تلك الأطباق، وانضِدْ عليها أوراقَ الرُّقاق، وشيئًا من ماءِ السُّمّاق(٦)، ليأكلَه أبو زيدٍ هنيئًا . فانحنى الشّواءُ بساطورِه، على زُبدةِ تَنّورِه(٧)، فجعلها كالكُحْلِ سَحقًا، وكالطّحْنِ دَقًّا . ثم جلَس وجلَستُ، ولا بَئِسَ ولا بَئِستُ(٨)، حتى استوفَيْناه . وقلت لصاحبِ الحَلْوى : زِنْ لأبى زيدٍ من اللّوزِينَج رِطلَيْن، فهو أجْرَى فى الحلوق، وأمضى فى العروق، وليكن لَيْلِيَّ العُمْرِ(٩)، يومىَّ النَّشْر، رقيقَ القِشْر، كثيفَ الحَشْو،

(١) يريد قبره .
(٢) أى بقبضة يده .
(٣) القرم : اشتهاء اللحم
(٤) إفراط الرغبة فى الطعام .
(٥) الجوذاب : طعام يتخذ من سكر ورز ولحم .
(٦) السماق : ثمر حامض يشهى الطعام .
(٧) التنور : الفرن . وزبدته : يريد بها اللحم المشوى فيها الناضج كأنه زبدة .
(٨) أى ولا نطق بكلمة .
(٩) أى صنع فى ليلته، وعرض للبيع فى نهارها . أى طازجا .

لُؤْلُؤِيَّ الدُّهْن، كوكبيّ اللوْن، يذوبُ كالصمْغ، قبْل المضْغ، ليأكله أبو زيد هنيا، قال: فوزنه. ثم قعدَ وقعدْت، وجوّدَ وجَوّدت، حتى استوفيناه. وقلت: يا أبا زيد! ما أحْوجَنا الى ماءٍ يُشَعْشَعُ بالثلج ليقمعَ هــذه الصارّة[1]، ويفثأَ[2] هــذهِ اللقمَ الحارّة، إجلس يا أبا زيد حتى نأتيَك بسَقَّاء، يأتيك بشَربةٍ من ماء، ثم خرجتُ وجلستُ بحيثُ أراهُ ولا يرانِي أنظرُ ما يصنع، فلما أبطأتُ عليــه قام السوادى الى حِماره، فاعتلَق الشَّوَّاءُ بإزاره، وقال: أينَ ثمنُ ما أكلتَ؟ فقال أبو زيد: أكلتُه ضيفا. فلكمَهُ لكْمة، وثنّى عليه بِلطْمة. ثم قال الشوّاء: هاك! ومتى دعوْناك؟ زِنْ عشرين، وإلا أكلتَ ثلاثاً وتسعين، فجعل السوادى يبكى ويحُلُّ عُقَدَه بأسنانه ويقول: كم قلتُ لِذاك القُرَيْد: أنا أبو عُبَيْد! وهو يقول: أنت أبو زيد. فأنشدت:

اعمَــلْ لرزقك كل آلَهْ   لا تقعُدَنْــ بكلّ حالَهْ
وانهَــضْ بكلّ عظيمةٍ   فالمَــرْءُ بعجزٍ لا محَــالَهْ

(٤) ولأبى إسحاق الصابئ[3] رسالة فى الشكر:

وصل كتابُك مَشحونا بلطيف بِرّك، موشّحًا بغامِرِ فضلك، ناطقًا بصحة عَهْدك، صادقا عن خُلوص وُدّك، وفهِمتُه وشكَرْتُ الله تعالى على سلامَتك شكرَ المخصوص بهــا، ووقَفْتُ على ما وصفتَه من الاعتداد بى، وتناهيتَ اليــه من التقريظ لى، فمــا زدتَ على أن أعرْتَنى خِلالَك، ونَحَلْتَنى خِصالَك، لِأنك بالفضائل أوْلى،

(١) الصارة: العطش.
(٢) ويفثأ: أى يسكن ويكسر.
(٣) تقدّمت ترجمته عند شعره.

وهى بك أحْرى، ولو كنتَ فى نفسى ممن يشتَملُ على وصـفهِ حَدّى إذا حددْتُ، أو يحيطُ بكماله وصفى إذا وصفتُ، لشرعْتُ فى بلوغها أو القُرْب منها؛ لكنّ المادحَ لك مُسْتَفْرِغٌ لك وُسْعَهُ وقد بخَسَكَ، ومُسْتَغرِقٌ طَوْقَه وقد نقصَكَ؛ فأبلغُ ما يأتى به المُثنِى عليك، ويتوصل اليه المُطْرِى لك، الوقوفُ فى ذلك دونَ منتهاه، والإقرار بالعجز عن غايته وقَرَاه(١).

(٥) فصل من المقامة التَّفْليسية من مقامات الحريرى(٢)

فاتفقَ حينَ دخلتُ تَفْليسَ(٣)، أنْ صَلَّيتُ مع زُمرةٍ مَفاليس(٤). فلما قضَينا الصّلاةَ؛ وأزمَعنا الانْثِلات، بَرَزَ شيخٌ بادى اللّقْوَة(٥)، بالِى الكُسوة والقُوّة. فقال: عَزَمْتُ على من خُلِقَ من طينة الحُرِّية، وتَفوّقَ(٦) دَرَّ العَصَبية؛ إلّا ما تكلَّفَ لى لُبْثَةً(٧)، واستمعَ منّى نَفْثَةً، ثم لهُ الخيارُ من بَعْد، وبيده البَذْلُ والردّ. فعقَدَ له القومُ الحُبَا(٨)، و رَنَوْا أَمثالَ

---

(١) القرا: المستقر ومجتمع الشىء.

(٢) هو أبو محمد القاسم بن على بن محمد الحريرى البصرى أحد أعلام البلاغة واللغة والأدب والإنشاء. ومقاماته التى حاكى بها البديع أربت عليها اشتهارا ومتعة؛ وقل أديب منذ وجدت الى الآن لم ينتفع أو يعجب بها توفى سنة ٥١٠ هـ بالبصرة.

(٣) مدينة بأذربيجان يسكنها الأرمن مع غيرهم.

(٤) مفاليس: فقراء.

(٥) اللقوة: ضرب من الشلل يعوج منه الشدق و يلتوى.

(٦) تفوق: رضع. والدر: اللبن؛ أى من فيه ميل الى نصرة عنصره وقومه.

(٧) لبثة: مكثة، أى مكث قليلا حتى يسمع ما أقول، و يريد بالنفثة هنا: الكلمة.

(٨) الحبا جمع حبوة: وهى جلسة للأعراب كان الرئيس منهم يجلس على ألا يقوم لأحد. فيجمع مقدّم وركيه الى بطنه وساقيه الى وركيه ثم يلف على مقدّم ساقيه وظهره بإزار يشمل الجميع.

الرُّبَا . فلما آنس حُسْنَ إنصاتِهِم ، ورزانة حصاتِهِم[1] ، قال : يا أولى الأبصار الرامقة ، والبصائر الرائقة ، أما يُغْنِي عن الخبرِ العِيانُ ، وينبئُ عن النارِ الدُّخانُ[2] . شيبٌ لائح ، ووهَنٌ فادح ، وداءٌ واضح ، والباطنُ فاضح . ولقد كُنْتُ مِمَّنْ مَلَكَ ومالَ ووَلِيَ وآلَ ، ورفَدَ وأنالَ ، ووصلَ وصالَ ؛ فلم تزلِ الحوائجُ تَسْحَتُ[3] ، والنوائبُ تَنْحَتُ ؛ حتى الوَكْرُ قَفْرٌ ، والكفُّ صِفْرٌ ، والشِّعارُ ضُرٌّ ، والعَيْشُ مُرٌّ ، والصِّبْيَةُ يَتَضَاغَوْنَ[4] من الطَّوَى ، ويتمنَّوْنَ مُصاصَةَ النَّوى . ولم أَقُمْ هذا المَقامَ الشائن ، وأكشِفْ لكم الدفائن ، إلَّا بعد ما شَقِيتُ ولَقِيتُ[5] ، وشِبْتُ مِمَّا لَقِيتُ . فليتني لم أكُنْ بَقِيتُ الخ .

من الكتابة العلمية التأليفية فى العراق وخراسان فى هذا العصر

(٦) فصل من كتاب التنبيه والإشراف للمسعودى[6]

وقد ذكرنا فى كتابنا هذا وما سلف قبله من كُتُبنا التى هذا سابِعُها أخبارَ العالَمِ وعجائبَه ، ولم نُخْلِه من دلائلَ تعضُدها ، وبراهين تؤيدها عقلا وخبرًا ، وغير ذلك :

---

(١) المراد بالحصاة هنا : العقل والرزانة .

(٢) مال : تموّل واقتنى . وولى : من الولاية . وآل : من الإيالة وهى السياسة .

(٣) تسحت : من السحت ، وهو محق البركة .

(٤) تضاغون : يتباكون ويصيحون جوعا . والطوى : الجوع . (٥) أصبت بالقوة .

(٦) هو العالم المؤرخ الرحالة البحاثة أبو الحسن على بن الحسين المسعودى سليل عبد الله بن مسعود الصحابى وصاحب كتاب مروج الذهب والتنبيه والإشراف ، وهما مطبوعان ، وله كثير من الكتب غيرهما . توفى سنة ٣٤٦ هـ .

مما استفاض واشتهر، وشاهد من الشّعْر على حسب الشيء المذكور وحاجته إلى ذلك . ونحن و إن كان عصرُنا متأخرًا عن عصر من كان قبلنا من المؤلفين، وأيامُنا بعيدةً عن أيامهم فنرجو أن لا نُقصِّر عنهم في تصنيف نَقْصِدُه، وغرض نَؤُمُّه، و إن كان لهم سبقُ الابتداء، فلنا فضيلة الاقتداء ، وقد تشترك الخواطر، وتتفق الضمائر، وربما كان الآخِرُ أحسنَ تأليفا، وأمتنَ تصنيفا لحكمة التجارب، وخشية التتبع، والاحتراس من مواقع الخطأ . ومن هاهنا صارت العلومُ نامية غيرَ متناهية لوجود الآخِرِ ما لا يجدُه الأوّل، وذلك الى غير غاية محصورة، ولا نهاية محدودة، وقد أخْبرَ الله عَزَّ وجل بذلك فقال : «وفوق كُلّ ذي عِلم عَليم» على أن من شيم كثير من الناس الإطراءَ للمتقدمين، وتعظيمَ كتبِ السالفين، ومدحَ الماضي ، وذمَّ الباقي . و إن كان في كتب المُحْدَثين ما هو أعظمُ فائدة وأكثرُ عائدة . وقد ذكر أبو عثمان عمرو ابن بحر الجاحظ أنه كان يؤلف الكتاب الكثيرَ المعاني الحسنَ النظم فينسُبُه الى نفسه فلا يَرى الأسماع تُصغي اليه، ولا الإرادات تيمَّمُ نحوه. ثم يؤلف ماهو أنقصُ منه مرتبةً وأقل فائدة، ثم ينحله عبدَ الله بن المقفع أو سهل بن هرون أو غيرهما من المتقدّمين، ومن قد طارت أسماؤهم في المصنفين. فيقبلون على كتبها، و يسارعون إلى نسخها، لا لشيء إلا لنسبتها إلى المتقدّمين، ولما يداخل أهل هذا العصر من حسدِ من هو في عصرهم، ومنافسته على المناقب التي يخص بها و يعنى بتشييدها . وهذه طائفة لا يعبأ بها كبار الناس . و إنما العمل على ذوي النظر والتأمل الذين

أَعطَوْا كل شيء حقَّه من العدل، ووفَّوْه قِسْطه من الحق؛ فلم يرفعوا المتقدم إذ كان ناقصا، ولم ينقصُوا المتأخر إذ كان زائدا . فلمثل هؤلاء تُصَنَّفُ الكتب، وتدوّن العلوم، وسنذكر الآن الأُمَمَ السبعَ السالفة في سابق الدهر، ولغاتِهم ومواضع مساكنهم وغير ذلك .

(٧) فصل من أدب الوزير للماوردي (١)

الإقدام من مزايا الوزير وصفاته

وأما الشرط الثالث — وهو الإقدام — فهُو في السياسة أَوْفَى شَرْطَيْها، وفي الوزارةِ أَكْفَى نَظَرَيْها، لِظَفَرِ الإقدام، وخيبة الإحجام . وقد قيل في منثور الحِكَم: بالإقدام ترتفع الأَقدام، وإنما يجب الإقدام اذا ظهرتْ أسبابُه، وقُصِدت أبوابُه، في إبّانه، وعند إمكانه، كما قال الشاعر :

إذا ما أتيتَ الأمرَ من غـيْرِ بابه ضَلَلْتَ وإن تَقْصِدْ الى البابِ تَهْتَدى

ثم يجمع بعدهما بين حزمه وعزمه ؛ فالحزمُ تدبيرُ الأمور بموجب الرأى، والعزم تنفيذها للوقت المقدّر لها . فاذا تكاملتْ شروط الإقدام من هذه الوجوه الأَربعة لم يَمْنع من الظفر إلا عوائقُ القَدَر . وقد قيل في قديم الحِكَمَ : اذا طَلَبَ اثنان حظا

(١) هو قاضى القضاة أبو الحسن على بن محمد بن حبيب الماوردى المتوفى سنة ٤٥٠ هـ . وهو صاحب كتاب أدب الدنيا والدين وكتاب أدب الوزير وهما مطبوعان، وله كثير من الكتب غيرهما .

ظفِرَ به أفضلُهما دينًا . فإن استوَيَا فى الدين ظفِرَ به أفضَلُهما مُروءةً، فإن استويا فى المروءة ظفِر به أكثرُهما أعوانا، فإن استويا فى الأعوان ظفِر به أسعدُهما جَدّا. فإن انثلَم من شروط الإقدام أحدُها صار الإقدامُ تغريرا يمنعُ من حَزم ذِى اللُّب، ويصُدُّ عن الظَّفَر، ما لم يَغْلب قَدَر، فما الأقدارُ بقياس معتبر، وقد قال حكيم الهند: السبب الذى يُدرِكُ به العاجزُ حاجتَه هو الذى يحول بين الحازم وطَلِبتِه . وقد قيل لبُزُرْجَمِهْر: ما أعجبُ الأشياء؟ قال: نُجْحُ الجاهل وإكداء العاقل . ودخل رجلٌ على عبد الله بن طاهر . فقال له : أيها الأمير! ما الذى لا يُحتاج فيه إلى عزم ولا حزم؟ فاستمهله فى جوابه ثلاثة أيام فعاد إليه بعدها ، وسأله فقال له : الدولة، فقال : صدقتَ . وما أخرج هذه الكلمة منك إلا الدولة ، ولذلك قيل فى منثور الحكم : الحظ يأتى من لا يأْتيه .

(٨) ولابن حَمْدون (١)

فصل من تذكرته فى السياسة والآداب الملكية، وهو فى سياسة الوزراء والكُتّاب وأتباع السلطان

قالوا : من صَحِبَ الملوكَ وقرُبَ منهم . ينبغى أن يكون جامعا للخلالِ المحمودة. فأوَّلُها العقلُ ؛ فانه رأسُ الفضائل ، والعلمُ فإنه من ثمارِ العقل ، ولا تَليق صحبةُ

---

(١) هو كافى الكفاة أبو المعالى بهاء الدين محمد بن الحسن بن محمد بن على بن حمدون البغدادى الكاتب الأديب صاحب التذكرة فى الأدب والسياسة توفى سنة ٤٩٥ هـ .

الملك بأهل الجَهل. والود؛ فانه خلق من أَخلاق النفس، يُوَلِّده العدل فى الإنسان الذى وَدّه. والنصيحة؛ وهى تابعة للوُدّ، وهو الذى يبعث عليها. والوفاءُ؛ فانه شيمة لاتَتِمُّ الصحبة إلا بها. وحِفْظُ السر؛ وهو من صدق الوفاء. والعفةُ عن الشهواتِ والأموال، والصَّرامةُ؛ وهى شدّة القلب، فإن الملوكَ لا يصحَبُهم أولو النُّكول، ولا ينالُ الجسيمَ من الأمور إلا الشجاع النجد. والصدقُ؛ فانه من لا يصدُق بكذبُ، ومَضَرّة الكذِبِ لاتُتلافَى. وحسنُ الزِّى والهيئة؛ فان ذلك يزيد فى بهاء الملك. والبِشْرُ فى اللقاءِ؛ فإنه يتألَّف به قلبَ مَن يُلاقيه، وفى الكُلُوح(١) تنفيرٌ عن غير ريبة. والأمانةُ فيما يُستحفَظ، ورعايةُ الحق فيما يُستودَع، والعدلُ والإنصافُ، فان العدلَ يُصلِح السرائر، ويجَمِّل الظواهر، وبه يُخاصِمُ الإنسانُ نفسَه إذا دعته إلى أمر لا يَحسُنُ رُكُوبُه. وينبغى له أن يُجانِبَ أضداد هذه الخِلال، وألَّا يكون حسودًا؛ فان الحسدَ يُفسِد ما بينه وبين الناس، ولْيُفرّق بين الحسدِ والمنافسة؛ فانهما يشتبهان على من لا يعقل، وأن يخلوَ من اللَّجَاج والمَحك؛ فان ذلك يضُرّ بالأفعالِ إذا وقع فيها اشتراك، وألا يكون بذَّاخا ولا متكبرا، فان البذخَ من دلائل سقوطِ النفس وشدّة الطيْش والبعدِ عن الصبر.

وينبغى ألا يكونَ قذمًا وَنمّا وَلا ثقيلَ الرُّوح؛ فانها صفةٌ لاتليق بمن يُلاقى الملوك، وأبدًا تكون سببا للمَقْتِ مِنْ غير جُرْم. وبالجملة فالفضائلُ والأخلاقُ المحمودة كثيرة، وأوْلى الناس بطلبِ غاياتها الملوك، كما هم الغاية، ثم أتباعهم ثم سائر الرعية.

---

(١) الكلوح: الإفراط فى العبوس والكشر عن الأنياب.

الادب بمصر والشام فى العصر العباسى الثانى

(١) الشـــــعر

(١) قال المتنبى[1] من قصيدة يمدح بها المغيث بن على ابن بشر العِجْلى :

فُـــؤادٌ ما تُسَلّيــهِ المُــدَامُ وعُمْــرٌ مِثــلُ ما تهَبُ اللّئَامُ
ودهرٌ ناسُــهُ ناسٌ صِــغارٌ وإنْ كانتْ لهم جُثَثٌ ضِخامُ
وما أَنا مِنهُــمُ بالعَيْش فيهـمْ ولكنْ مَعْــدِنُ الذّهبِ الرَّغام
أَرانبُ غَــيْرَ أَنَّهُــمُ مُــلوكٌ مُفَتَّحَــةٌ عُيونُهُــمُ نِيــامُ
بأَجسامٍ يَحَــرُّ القَتْـــلُ فيها وما أَقــرانُها إلا الطّعَــامُ[2]
وخيــلٌ لا يَخِرُّ لهــا طعينٌ كأنّ قَنَــا فوارِسِــها ثُمــامُ[3]

---

(١) هو أبو الطيب أحمد بن الحسين المتنبي آخر شعراء الطبقة الأولى فى الإجادة من المحدثين . وهو كوفى المنشأ . خرج من الكوفة وعمره بضع عشرة سنة يطلب اللغة فى بادية بنى كلب ، فالتف عليه قبائلها وشاع ذكره بينهم ، وبلغ أهل الشام أنه تنبأ بينهم فخرج إليه عامل حمص وأسره وسجنه ، ثم أطلق ، ومدح أمراء الشام وانتهى به الأمر الى مدح سيف الدولة الحمدانى أمير حلب ، فقربه اليه وأغدق عليه ، وعلمه الفروسية ؛ ثم حصلت بينهما جفوة فرحل الى مصر ، وأميرها كافور ، فمدحه ، ثم هرب من مصر وهجاه . ثم ذهب الى فارس مارًا ببغداد فمدح عضد الدولة وابن العميد ، فأغدقا عليه . ثم رجع قاصدا الكوفة فقتله الأعراب قرب بغداد سنة ٣٥٤ هـ .

(٢) أى يشتد القتل فيها ؛ وليس لها أعداء إلا الطعام .

(٣) الثمام : نبات لين كالخوص قريب من الأرض .

خليلك أنتَ ، لا مَن قُلتَ خِلّ ... وإن كثُر التجمُّلُ والكلام
ولو حِيزَ الحفاظُ بغير عقلٍ ... تجنَّبَ عُنْقَ صيقلِهِ الحُسام
وشِبْهُ الشيء مُنجذِبٌ إليه ... وأشبَهُنا بدُنيانا الطَّغام (١)
ولو لم يَعْلُ إلا ذو محلٍّ ... تعالى الجيشُ وانحطَّ القَتام (٢)
ولو لم يرعَ إلا مُستحِقٌّ ... لرُتبتِه أسامَهُمُ المُسام (٣)
ومن خَبرَ الغَوانيَ فالغَواني ... ضِياءٌ في بَواطنِهِ ظلام
اذا كان الشبابُ السكرَ والشَّيبُ همًّا فالحياةُ هي الحِمام
وما كلٌّ بمعذورٍ ببُخلٍ ... ولا كلٌّ على بخلٍ يُلام

وقال أيضًا :

اذا غامرتَ في شرفٍ مَرومِ ... فلا تقنعْ بما دونَ النُّجوم
فطَعْمُ الموتِ في أمرٍ حقيرٍ ... كطعمِ الموتِ في أمرٍ عظيم
ستَبكي شجوَها فرَسي ومُهري ... صفائحُ دمعُها ماءُ الجُسوم (٤)
قَرَبْنَ النارَ ، ثم نَشأْنَ فيها ... كما نَشأَ العَذارَى في النعيم (٥)
وفارقْنَ الصياقِلَ مُخلَصاتٍ ... وأيديها كثيراتُ الكُلوم (٦)

---

(١) الطغام : الأراذل والسفلة . (٢) القتام : الغبار .

(٣) أسام الماشية : صاحبها ، أرعاها النبات ، فهي مسامة ، أى ولو لم يرع الرعية إلا من يستحق الرياسة لرعى هؤلاء الرؤساء مرءوسيهم من الرعية ؛ لأنهم أفضل منهم .

(٤) يريد بالصفائح السيوف . ثم أخذ في وصفها الخ .

(٥) قربن النار : من قربت الإبل الماء اذا وردته صبيحة الليلة التي تسير فيها — يريد أن السيوف وردت النار .

(٦) أى وأيدى الصياقل كثيرة الجراح من مضاربها .

يرى الجُبَنَاءُ أنَّ العجزَ عَقْلٌ وتلك خَديعـــةُ الطبْعِ اللئيمِ
وكلُّ شجــاعةٍ فى المـــرْءِ تُغْنِي ولا مثــلَ الشَّجاعةِ فى الحكيمِ
وكم من عائبٍ قــوْلا صحيحًا وآفتُه من الفهْمِ السقيمِ
ولكنْ تأخُذُ الآذانُ منــهُ على قَــدْرِ القرائحِ والفُهُــوم

وقال من قصيدة يمدح بها كافورا

أَوَدُّ من الأيَّامِ ما لا تَــوَدُّهُ وأشكو إليها بيْنَنَا وهى جُنــدُه (١)
يُباعِدْن حِبًّا يجتَمِعْن وَوَصْــلُه فكيف بحِبٍّ يجتمِعْن وصَــدُّه (٢)
أبىْ خُلُقُ الدُّنيــا حبيبًــا تُديمُه فــا طَلَبِي منهــا حبيبــا تَرُدُّه
وأَسرعُ مفعــولٍ فعلتَ تَغَــيُّرًا تكلُّفُ شَيْءٍ فى طِباعِكَ ضِــدُّه
رعَى اللهُ عِيسًا فارقتْنا وفوقَهــا مَهًا كلُّهــا يُولَى بجفنَيْــهِ خَدُّه (٣)
بِوادٍ به ما بالقــلوب كأنّه وقد رحلوا جِيْــدٌ تناثَرَ عِقْــدُه (٤)
إذا سارت الأحداجُ فوقَ نَبــاتِه تَفاوَحَ مِســكُ الغانيــاتِ وَرَنْدُه (٥)

(١) أى أودّ منها ما لا تودّه من إنصافى وتنويلى مرادى ، وأشكو إليها فراقنا ، وهى عون للفراق .

(٢) وصله وصــده : معطوفان على الضمير فى يجتمعن بدون فاصل ضرورة : أى يبعدن منا الحبيب المواصل ، فكيف يقربن الحبيب المقاطع ؟

(٣) العيس : الإبل البيضاء . ويولى : يمطر ، أى ينزل عليه المطر . والمراد به هنا الدموع ، أى رعى الله إبلا فارقتنا عليها نسوة كالمها كل واحدة منهن تبكى فيسيل دمعها على خدّها .

(٤) أى فارقتنا بواد به ما بقلوبنا من الوجد والوحشة ، وكان متزينا بنزولهن فيه ، فلما رحلن صار كالجيد العاطل من الحلية .

(٥) الأحداج : جمع حدج : مركب كالهودج للنساء . والرند : نبات طيب الرائحة بالبادية ، وهو الغار . أى اذا سارت الإبل حاملة لهن فى الأحداج تفاوح مسكهن ونبات الرند بالوادى .

وحالٍ كإحداهن رُمْتُ بُلوغَها ... ومن دُونِها غَوْلُ الطريق وبُعْدُه [١]

وأتعبُ خَلْقِ الله من زادَ همُّه ... وقصَّرَ عما تشتهى النفسُ وُجدُه [٢]

فلا يَنْحَلِلْ فى المَجْدِ مالُكَ كلُّه ... فينحلَّ مَجْدٌ كان بالمال عَقْدُه

ودَبِّرْه تدبيرَ الذى المجدُ كفُّهُ ... إذا حاربَ الأعداءَ ، والمالُ زَنْدُه

فلا مَجْدَ فى الدنيا لمَن قلَّ مالُهُ ... ولا مالَ فى الدنيا لمَن قلَّ مجدُه

وفى الناس مَن يرضى بميسورِ عيْشِهِ ... ومركوبُه رِجلاهُ ، والثوبُ جِلْدُه

ولكنَّ قلبًا بين جَنْبَيَّ مَالَهُ ... مَدًى ينتهى بى فى مُرادٍ أُحُدُّه

يَرى جسمَه يُكسَى شُفُوفا تَرُبُّه ... فيختارُ أن يُكسَى دُروعا تَهُدُّه [٣]

يُكَلِّفُنِى التهجيرَ فى كلِّ مَهْمَهٍ ... عَلِيقِى مَراعِيه وزادِىَ رُبْدُه [٤]

وقال بمصر ولم ينشدها كافورا ولم يذكره بها :

صَحِبَ الناسُ قبلَنا ذا الزمانَا ... وعَنَاهُمْ من شأْنِهِ ما عنانا

وتولَّوْا بِغُصَّةٍ كلُّهم منْ ... ـه ، وإن سرَّ بعضَهم أَحيانا

رُبَّما تُحسِنُ الصنيعَ لياليـ ... ـه ، ولكنْ تُكَدِّرُ الإحسانا

وكأنَّا لم يرضَ فينا بِرَيْبِ الدَّ ... هْرِ ، حتَّى أعانَهُ مَن أعانا

كلَّما أنبتَ الزمانُ قناةً ... ركَّبَ المرءُ فى القناة سِنانا

---

(١) ورب حال كإحدى هذه النسوة فى الصعوبة والامتناع وتعذر الوصول اليهن .

(٢) الوُجد : المال والمقدرة .

(٣) تربه : تنعمه وتنميه .

(٤) الربد : جمع أربد يريد بها النعام . أى لا عليق له إلا مرعى البادية ، ولا زاد إلا من صيد النعام.

وَمُرادُ النُّفُـوسِ أصغرُ مِنْ أنْ ... نتعادَى فيـه ، وأنْ نتفـانَى
غيرَ أنَّ الفتَى يُلاقِي المنـايا ... كالحـاتٍ ، ولا يُلاقِي الهَـوانا
ولو أنَّ الحيـاةَ تبـقَى لحيٍّ ... لعــدَدْنا أضلَّنـا الشُّــجْعانا
وإذا لم يكن مِنَ المَــوْتِ بُدٌّ ... فمن العَجْــزِ أن تكون جبـانا
كلُّ ما لم يَكُنْ مِنَ الصعْبِ فى الأنْـ ... ـفُسِ سَهْلٌ فيهـا إذا هُــو كانا

وقال يُعزِّى من قصيدة :

لا بُدَّ للإنسـانِ مِن ضَجْعَــةٍ ... لا تَقْلِبُ المُضجَعَ عن جَنْبِـهِ
ينسَى بها ما كانَ مِن عُجْبِــهِ ... وما أذاقَ الموتُ من كَرْبِه
نحنُ بَنُـو الموْتَى، فمـا بالُنَـا ... نَعافُ ما لا بُدَّ مِن شُرْبِه ؟
تبخَـلُ أيْدِينـا بأرواحنـا ... على زمانٍ هُنَّ مِن كَسْـبِه
فهـــذه الأَرْواحُ من جَـوِّه ... وهـــذه الأجسـادُ من تُرْبِه [1]
لو فكَّرَ العاشــقُ فى مُنتهَى ... حُسْنِ الذى يَسبِيه — لم يَسْبِه
يموتُ رَاعِى الضأنِ فى جَهله ... مَوْتَةَ جالِينوسَ فى طِبِّــه
ورُبَّمـا زادَ على عُمْــرِه ... وزادَ فى الأمْنِ على سِرْبِه
وغايةُ المُفْــرِطِ فى سَـلْمِه ... كغايةِ المُفْـرِطِ فى حربه
فـلا قَضَى حاجتَــه طالبٌ ... فؤادُه يَخفِقُ مِن رُعبِــه

(١) أى أجسامنا مركبة من عناصر الأرض وترابها ، وحياتنا مستمدة من الجو وهوائه ، ومظهر الله هو والزمان هو الأرض وماؤها وهواؤها .

وقال المتنبي من قصيدة يستعطف بها سيفَ الدولة لبنى كلاب، وكان قد أوقع بهم وأسر منهم :

وكيفَ يتمُّ بأسُــك فى أناسٍ ... تُصيبهمُ ، فيُؤلِمُك المُصـابُ
ترفَّقْ أيُّهـا المَولَى عليهـم ؛ ... فإنّ الرِّفقَ بالجـانى عِتـاب
وإنهـمُ عَبيدُك حيث كانوا ... إذا تَدْعـو لحـادثةٍ أجابوا
وعينُ المخطئين هُمُ وليْسُـوا ... بأوّلِ مَعْشرٍ خَطِئُـوا فتـابوا
وأنتَ حياتُهم غضِبتْ عليهمْ ... وهَجْـرُ حياتِهم لهـمْ عِقـاب
وما جُهِلَتْ أياديكَ البَـوَادى ... ولكن رُبَّمـا خَفِىَ الصَّواب
وكـم ذنبٍ مُـولِّده دَلالٌ ... وكم ذَنب مُولِّده اقـتراب
وجُرمٍ جرَّهُ سـفهاءُ قـوْمٍ ... وحلَّ بغيرِ جارِمه العـذاب

وقال المتنبي يذكر شعب بوَّان :

مغـانى الشِّعْبِ طِيبًـا فى المغانى ... بمَـنْزِلة الربيـع منَ الزمان (١)
ولكنَّ الفتَى العـربىَّ فيهـا ... غريبُ الوجهِ واليـدِ واللسان (٢)
مَلاعِبُ جِنَّـةٍ لو سـارَ فيهـا ... سُليمانٌ لسـارَ بِتَرجُمـان (٣)

---

(١) المغانى : المنازل المفرد مغنى . وشعب بوان أحد منازه الدنيا ، وهى أربعة مواضع : غوطة دمشق ، ونهر الأبلة ، وشعب بوان ، وصغد سمرقند . وطيبا : تمييز ، يقول : منازل هذا المكان أحسن أماكن الدنيا كما أن الربيع أحسن فصول السنة .

(٢) يريد بالفتى نفسه . غريب الوجه : لأن سحنته ليست كسحنة الفرس ، وغريب اليد : لا ملك له بها أولا يكتب بيده إلا العربية . وغريب اللسان لأن القوم أعاجم ؛ إذ هو عند شيراز .

(٣) جعل المكان لجماله ملاعب ، وجعل أهله جنا لبراعتهم . وأخبر أنه لا يفهم لغتهم حتى لو أتاهم سليمان لاحتاج إلى مترجم مع علمه باللغات .

طَبَتْ فُرسَاننَا والخيـــلَ ، حتى خَشِيتُ ، وإن كَرُمْن مِنَ الحِران (١)
غَدَوْنا تنْفُضُ الأغصانُ فيهـا على أعرافِها مِثْـلَ الجُمان (٢)
فسرتُ ، وقد حَجَبْنَ الشمسَ عنّى وجِئْنَ مِنَ الضّيــاءِ بمـا كفانى
وألْقَى الشــرقُ منهـا فى ثيـابى دنانــيرًا تَـفِرُّ من البنـان
لهـا ثَمَرٌ تُشــير اليــك مِنــه بأشربةٍ وَقَفْنَ بلا أَوان (٣)
وأمواهٌ تَصِــلُّ بهـا حصَاها صَليلَ الحَلْى فى أيدى الغوانى (٤)

* * *

إذا غَنَّى الحمـامُ الـوُرْقُ فيهـا أَجابَتْــه أغانىُّ القِيـان (٥)
وَمَنْ بالشِّعب أحوجُ من حَمامٍ اذا غَنَّى وناحَ ـ الى البَيان (٦)
وقد يتقاربُ الوصــفانِ جِدًّا وموْصــوفاهمـا مُتباعِــدان (٧)

(١) طبت : دعت واستمالت ، والحران للدابة أن تقف مكانها لا تبرحه . يقول : إن هذه المواضع استمالت خيلنا حتى خفت حرانها على رغم كرمها .

(٢) غدونا : سرنا غدوة . الجملة بعدها حال . والأعراف : جمع عرف ، شعر العنق ، والجمان حب من الفضة يشبه اللآلئ . شبه به ما يتناثر على الخيل من الأزهار البيضاء كالياسمين مثلا أو ما ينفذ من خلال الأوراق من ضوء الشمس .

(٣) الأوانى : جمع آنيـة وهى جمع إناء . يريد أن ثمرها لرقة قشره يرى ماؤه من وراء القشر كأنه شراب قائم بنفسه دون إناء يمسكه .

(٤) تصل : تصوت .

(٥) الورق : جمع ورقاء وهى التى فى لونها سواد إلى بياض . والقيان : جمع قينة : الجارية .

(٦) من موصولة مبتدأ خبره أحوج . يقول : سكان الشعب أحوج من حمامه إلى من يبين معنى غنائهم لانهم أعاجم لا يفهم العربى غناءهم .

(٧) يعنى التقارب بين أصوات الحمام وبين أصوات الأعاجم وان اختلف الصائت .

يقول بشِعْب بَوَّانٍ حِصانى : أعَنْ هـذا يُسار الى الطِّعانِ (١)
أبوكُمْ آدمُ سَنَّ المَعاصِى وعلَّمكم مُفارقَة الجِنانِ (٢)

(٢) قال أبو فِراسٍ (٣) فى الشكوى والعتاب :

وإنّى وقومِى فرّقتْنا مذاهبُ وإنْ جمعتْنا فى الأُصول المَناسِبُ
فأقصاهمُ أقصاهُمُ من مَساءَتى وأقربُهُمْ مما كرِهتُ الأقاربُ
غريبٌ وأهلِى حيثُ ما كرَّ ناظِرِى وحيدٌ وحَوْلى مِن رجالى عَصائبُ
نَسيبُكَ من ناسبْتَ بالوُدّ قلبَه وجارُكَ مَن صافَيْتَه لا المُصاقِبُ
وأعظمُ أعْداء الرجال ثِقاتُها وأهونُ مَن عادَيْتَه مَنْ تُحارِبُ
وما الذنبُ إلا العجزُ يركَبُه الفتى وما ذنبُه إن حارَبَتْه المطالبُ
ومن كان غيرُ السيف كافلَ رزْقه فلِلذُلِّ منه — لا مَحالةَ — جانبُ

وقال :

أنفِقْ مِن الصبر الجميل، فإنه لم يخْشَ فقرًا مُنفِقٌ مِن صَبْرِهِ
والمرْءُ ليس ببالِغٍ فى أرضه كالصقْر ليس بصائدٍ فى وَكْرِه

---

(١) استفهام تعجبى . والطعان الحرب .

(٢) أى فأنتم تفعلون هذا اقتداء بأبيكم آدم حين عصى الله فأخرج من الجنة .

(٣) هو أبو فراس الحارث بن سعيد بن حمدان التغلبى ابن عم سيف الدولة أمير حلب وممدوح المتنبى كان شاعرا كاتبا أديبا فارسا . طالما قاتل الروم بين يدى سيف الدولة . وأسر فى إحدى وقائعه معهم، وطال أسره . وكان يكتب الى سيف الدولة كثيرا من الكتب والقصائد فى إنقاذه، وكان يعسر عليه المفاداة . ثم فك أسره . وسكن منبج متوليا عليها . ثم قتل فى ثورة قومية سنة ٣٥٧ عن ٣٧ سنة . و يغلب على شعره الفخر والشكوى من الأقارب والعتاب .

وقال :

خفِّض عليكَ ولا تكنْ قَلِقَ الحَشَى ... مما يكونُ ، وعلَّه ، وعساهُ
فالدهرُ أقصرُ مــدَّةً مما تُرَى ... وعَسَاكَ أن تُكفَى الذى تخشاه

وقال :

عَرفْتُ الشرَّ لا للشـ ... ـرِّ ، لَكِنْ لِتوقِّيــهِ
فَمن لا يَعْرِف الشرَّ ... مِنَ الناس يَقعْ فيه

وقال :

لعَمرُكَ ما الأبصارُ تنفعُ أهلهَا ... اذا لم يكن للمُبْصرين بصـائرُ
وهل ينفعُ الخطىُّ غيرَ مثقَّفٍ ... وتَظهَـرُ إلَّا بالصِّقال الجواهرُ
وكيف يُنالُ المجدُ ، والجسمُ وادعٌ ... وكيف يُحازُ الحمدُ ، والوفْرُ وافرُ

وقال :

اذا لم يُعِنْكَ اللهُ فيما تُريده ... فليس لمخلوق إليكَ سبيلُ
وإنْ هُوَ لم يُرْشِدْكَ فى كلِّ مَسْلكٍ ... ضَلَلْتَ ، ولو أنَّ السِّماكَ دليلُ

وقوله :

ما لِلْعبيــد مِنَ الذى ... يَقْضِى به اللهُ امتناعُ
ذُدْتُ الأُسُودَ عن الفرا ... ئسِ ، ثم تَفرِسُنِى الضِّباعُ

وقوله :

قد عَذُبَ الموتُ بِأَفْواهنا ... والموتُ خيرٌ من مَقامِ الذليلْ
إنّا الى الله لما نابَنا ... وفى سبيل الله خيرِ السبيل

(٣) المَعَرِّى (١)

قال من قصيدة يرثى بها فقيها حنفيا :

غيرُ مُجْدٍ فى مِلّتى واعتقادى ... نَوْحُ باكٍ ، ولا تَرَنُّمُ شادِ (٢)
وشبيهٌ صَوْتُ النَّعِىِّ إذا قِيـ ... ـسَ بصوْتِ البشيرِ فى كل نادِ
أَبَكَتْ تلكُمُ الحَمامَةُ أم غنّـ ... ـتْ على فَرْعِ غُصْنِها المَيّادِ
صاحِ هَذِى قبورُنا تَمْلأُ الرَّحْـ ... ـبَ فأَيْنَ القُبورُ منْ عَهْدِ عادِ
خَفِّفِ الوَطْءَ ما أَظُنُّ أديمَ الْـ ... أَرْضِ إلا مِن هذه الأجسادِ
وقبيحٌ بنا وإن قَدُمَ العهـ ... ـدُ هوانُ الآباءِ والأجدادِ
سِرْ إنْ اسْطَعْتَ فى الهَواءِ رُوَيْدًا ... لا اختيالا على رُفاتِ العِبادِ
رُبَّ لَحْدٍ قَدْ صارَ لحدًا مِراراً ... ضاحِكٍ من تزاحُمِ الأضدادِ
ودفينٍ على بقايا دَفِينٍ ... فى طويل الأزمانِ والآبادِ
فَاسألِ الفَرْقَدينِ عمّن أحسّا ... من قَبيلٍ وآنسا من بِلادِ (٣)
كم أقاما على زوالِ نهارٍ ... وأنارا لِمُدْلِجٍ فى سَوادِ

(١) هو أبو العلاء أحمد بن عبدالله المعرى الشاعر الفيلسوف . ولد ومات بالمعرة ، وتعلم فى صغره على أهله ثم على علماء الشام وقتئذ ، فخرج نادرة فى الحفظ والذكاء . وعمى فى صغره ، ولما اكتهل ذهب إلى بغداد فلم يطب له العيش فيها ، فرجع الى بلده منقبضا عن العالم ، فجلس فى البيت ولم يخرج ، وحرم نفسه أكل اللحم ، وما يخرج من كل ذى روح . وعاش على هذه الحال نحو أربعين سنة ومات سنة ٤٤٩ عن ٨٦ سنة . وله شعر عادى وشعر التزم فى قوافيه رو بين وضمنه أغلب آرائه فى العالم ونظامه .

(٢) أى صائح من الطيور .

(٣) الفرقدان : نجمان واضحان فى بنات نعش الصغرى (الدب الأصغر)

تَعَبٌ كلُّها الحياةُ فما أعْـ ـجَبُ إلا مِن راغبٍ في ازدياد
إنّ حُزْناً في ساعةِ الموت أضعا فُ سرورٍ في ساعة الميلاد
خُلِق الناسُ للبقاءِ فضلَّتْ أُمَّةٌ يَحْسَبونهم للنَّفاد
إنما يُنقَلون من دارِ أعما لٍ الى دار شِقْوةٍ أو رشاد
ضَجْعَةُ الموتِ رَقدةٌ يستريح الـ ـجِسم فيها ، والعيشُ مثلُ السُّهاد

وقال يفتخر :

ألا في سبيلِ المجْدِ ما أنا فاعلُ : عَفافٌ ، وإقدامٌ ، وحَزْمٌ ، ونائلُ
أعِنْدي ، وقد مارستُ كلَّ خَفِيَّةٍ يُصدَّقُ واشٍ ، أو يُخَيَّبُ سائلُ
أقَلُّ صُدُودي أنني لكَ مُبْغِضٌ وأيْسَرُ هجْري أنني عنكَ راحلُ (١)
إذا هبّت النَّكْباءُ بيني و بينكم فأهونُ شيءٍ ما تقولُ العواذلُ (٢)
تُعَدُّ ذُنوبي عندَ قومٍ كثيرةً ولا ذنبَ لي إلَّا العُلا والفَضائلُ
كأنِّي إذا طُلْتُ الزمانَ وأهلَهُ رجَعتُ وعِندي للأنامِ طوائلُ (٣)
وقد سارَ ذِكْرِي في البلاد ، فمن لهم بإخفاءِ شمسٍ ضوءُها متكاملُ
يُهِمُّ الليالي بَعْضُ ما أنا مُضمِرٌ ويَثْقُلُ رَضْوى دونَ ما أنا حاملُ
وإنِّي وإن كنتُ الأخيرَ زمانُهُ لآتٍ بما لم تستَطِعْهُ الأوائلُ

---

(١) يخاطب لائمه بقوله : لا أرضى فيك بالصدود دون الإبغاض لك ، ولا بالهجر دون الارتحال عنك .

(٢) النكباء : الريح تهب بين مهبي ريحين . أي اذا بعدت عنكم ، وأصبح بيني وبينكم فراغ تهب فيه الرياح فلا أبالي بقول العواذل .

(٣) طلت : فقت عليهم ، وأشرفت . والطوائل : الترات ، أي كأن لهم ثارات عندي يطلبونها .

وأغدو، ولو أن الصباحَ صوارمٌ ... وأَسْرِى، ولو أنَّ الظلامَ جَحافِل
وإنّى جوادٌ لم يُحَلَّ لِجامُه ... ونِضْوٌ يَمانٍ أغفلَتْه الصَّياقِل
وإن كان فى لُبسِ الفتى شرفٌ له ... فما السيفُ إلا غِمدُه والحمائل
ولى مَنْطِقٌ لم يرضَ لى كُنْهَ منزِلى ... على أننى بَيْنَ السِّماكَيْنِ نازِل (١)
لدَى مَوْطِنٍ يشتاقُه كلُّ سَيِّدٍ ... ويَقْصُر عن إدراكِه المتناوِلُ
ولما رأيتُ الجهلَ فى الناس فاشياً ... تجاهلتُ حتى قِيلَ : إنّىَ جاهل
فواعجبا ! كم يَدَّعِى الفضلَ ناقصٌ ... ووا أسفا ! كم يُظهِر النقصَ فاضلُ
وكيف تنامُ الطيرُ فى وُكُناتِها ... وقد نُصِبَتْ للفرقدَيْنِ الحبائل
يُنافِسُ يَومِى فىَّ أمسِى تشرُّفا ... وتَحسُد أسحارِى علىَّ الأصائل
وطال اعترافى بالزمانِ وصَرْفِه ... فلستُ أُبالى مَن تَغُولُ الغوائل
فلو بانَ عَضُدِى ما تأسَّفَ مَنْكِبِى ... ولو ماتَ زَنْدِى ما بكتْه الأَنامِل
إذا وَصَفَ الطائىَّ بالبخلِ مادِرٌ ... وعَيَّر قُسًّا بالفَهاهةِ باقِل (٢)
وقال السُّهى للشمس : أَنتِ خَفِيةٌ ... وقال الدُّجَى : ياصُبْحُ لونُك حائل (٣)
وطاوَلَتِ الأرضُ السماءَ سَفاهةً ... وفاخرَتِ الشُّهبَ الحَصَى والجنادِلُ
فيامَوْتُ زُرْ إنَّ الحياةَ ذَميمةٌ ... ويا نفسُ جِدِّى إن دهرَكِ هازل

---

(١) السماكان ؛ الرامح والأعزل : نجمان فى السماء .

(٢) يريد بالطائى حاتما . ومادر : يضرب به المثل فى البخل ، وقس بن ساعدة أحد خطباء الجاهلية وفصحائها ، وباقل : يضرب به المثل فى العىّ .

(٣) السهى : نجوم خفية فى بنات نعش الصغرى .

إذا أنْتَ أُعطِيتَ السّعادَة لم تُبَلْ ... وإن نَظَـرَتْ شَزْرًا إليكَ القبائلُ (١)

فإن كنتَ تبغِي العِزّ فابغِ توسُّطا ... فعنــدَ التّنـاهِي يقصُر المتطاوِل

تُوَقّى البُـدورُ النقصَ وهي أهِلَّةٌ ... ويُدرِكُها النُّقصــانُ وهي كَوامِل

وقال رحمه الله في اللزوميات وهي تتضمن كثيرا من آرائه :

غدوتُ مريضَ العَقْل والدِّينِ فالقَنِي ... لتسـمَعَ أنبـاءَ الأُمورِ الصحائح

فلا تأكلَـن ما أخرجَ المَـاءُ ظالِمًـا ... ولا تَبْـغِ قُوتًا من غريضِ الذبائح (٢)

ولا بيْـضَ أُمّاتٍ أرادتْ صريحَـهُ ... لأطفالهـا دونَ الغَـوانِي الصرائح (٣)

ولا تَفْجَعَنّ الطَـيرَ وهي غوافـل ... بمـا وَضَعَت ، فالظـلمُ شرُّ القبـائح

ودع ضَرَبَ النَّـحْل الذي بكَرَت لَهُ ... كواسبَ من أزهار نبتٍ فَـوائح (٤)

فمـا أحرزتْه كي يكونَ لغيرها ... ولا جمعَتْـه للنَّـدَى والمَنـائح

مَسَـحْتُ يَدِي من كل هـذا فليتَنِي ... أبِهْتُ لشأني قبـل شَيْب المسائح (٥)

بَنِي زَمَنِي هـل تعلمون سرائرًا ... علِمتُ ، ولكـنّي بهـا غيرُ بائح

سَـرَيتُمْ على غَيٍّ ، فهـلا اهتديتمُ ... بمـا خَبَّرتكم صافيـاتُ القَـرائح!

(١) لم تبل : أى لم تبال . وهــذا الفعل قد يشذ عن حكم المعوص المجزوم فيعامل معاملة الثلاثى الأجوف فى الشعر فتحذف عينه بعــد حذف لامه للجزم ويسكن ما قبل آخره . والنظر الشزر : نظر بمؤخر العين غضبا .

(٢) أى لا تأكل السمك ونحوه ولا ذبائح الدواب .

(٣) أى لا تأكل بيض الطيور ولا أفراخها فتفجعها فيها .

(٤) الضرب : العسل .

(٥) المسائح : جمع مسيحة ، وهى ذؤابة الشعر .

وصاحَ بكم داعى الضَّلال، فما لكم أَجبتم على ما خَيَّلَتْ كلّ صائح؟

* * *

فإن تَرْشُدوا لاتخضِبُوا السيفَ من دمٍ ولا تُلْزِموا الأَميالَ سَبْرَ الجرائح(١)

ويُعجِبُنى دأْبُ الذين تَرَهَّبوا سِوَى أَكْلِهم كَدَّ النفوس الشحائح

وأطيبُ منهم مَطْعَمًا فى حياته سُعاةُ حَلالٍ بَيْنَ غادٍ ورائح

فما حَبَس النفسَ المسيحُ تعبُّدا ولكنْ مَشَى فى الأرض مِشيةَ سائح

يُغَيِّبُنى فى التُّربِ مَنْ هو كارِهٌ - إذا لم يُغَيِّبْنى - كَرِيهَ الروائح

ومَن يتوقَّ أن يُجاوِرَ أعظُمًا كأَعْظُمِ تلك الهالكات الطرائح

ومِن شرِّ أَخلاقِ الأَنيس وفعلِهم خُوارُ النَّواعِى والْتِدامُ النوائح(٢)

وأصفَحُ عن ذَنْبِ الصديق وغيرِه لسكناى بَيْتَ الحق بين الصفائح

وأزهدُ فى مَدْحِ الفتى عند صِدْقه فكيف قَبولى كاذباتِ المدائح

وما زالت النفسُ اللجوجُ مطيَّةً الى إن غدتْ إحدى الرذايا الطلائح(٣)

وما يَنفعُ الانسانَ أن غَمائماً تَسُحُّ عليه تحت إحدى الضرائح

ولو كان فى قُرْبٍ من الماء رَغْبةٌ لنافَسَ ناسٌ فى قُبور البطائح(٤)

---

(١) ينهى عن الحرب والقتل وما يتبعهما من معالجة الجراح بادخال الأميال فيها لمعرفة عمقها فى الجسم.

(٢) الأنيس: يريد بهم الإنس.

(٣) الرذايا: جمع رذية، وهى الضعيفة الهزيلة من الحيوان، وكذلك معنى الطلائح.

(٤) ينكر على الناس دعاءهم للموتى بالسقيا.

(٤) وقال أبو الحسن التِّهامى فى الغزل

قلتُ للجُلِّ وثُغُورُ الرُّبا ... مُبتَسِماتٌ وثُغورُ المِلاحْ
أيُّهما أحلى ــ تُرى ــ مَنْظَرًا ؟ ... فقال : لا أعلم ! كُلٌّ أقاحْ

(٥) وقال علىٌّ بن النعمان فى الوصف

وهو القاضى أبو الحسن على بن النعمان قاضى العزيز الفاطمى والمتوفى سنة ٣٧٤ هـ :

صديقٌ لِى لَــهُ أَدَبُ ... صَداقةُ مِثْلِه نَسَبُ
رعَى لى فَوقَ ما يُرعَى ... وأوجبَ فوقَ ما يَجبُ
فَلَوْ نُقِدتْ خلائقُه ... لَبُهْرِجَ عِندَها الذَّهبُ

(٦) عبد المحسن الصُّورىّ

وقال عبد المحسن الصورى أحد شعراء الشام المبدعين ، وتوفى سنة ٤١٩ هـ .

فى وصف جميل يسبح فى ماء :

رأيتُ ما لم يَــرَه راءِ ... ماءً غَــدَا يَسبَحُ فى ماءِ
أومأْتُ باللحظ الى جِسْمه ... فكاد أن يُدْمِيـه إيمائى

---

(١) هو أبو الحسن على بن محمد التهامى أصله من تهامة بلاد العرب وهى : ما انخفض من الأرض من الحجاز الى البحر الأحمر . جاب بلاد العراق والشام ، ومدح رؤساءها . ثم جاء مصر جاسوسا لأحد أمراء الشام زمن الفاطميين ، فقبضوا عليه ومات فى سجنهم سنة ٤١٦ هـ . وله شعر رقيق مجموع فى ديوان ، ومن أشهره مرثيته فى ولده التى أولها (حكم المنية فى البرية جار) .

(٧) وقال أبو الحسن على بن عبد الرحمن

الشهير بابن يونس المنجم المصرى من فلكيي المصريين زمن الفاطميين توفى سنة ٣٩٩ هـ

في الهجاء

وذى حِرْصٍ تَـراهُ يَلُمُّ وَفْـراً ... لِوَارثه، ويَدْفَعُ عَنْ حِمَاهُ

ككلبِ الصيد : يُمسِكُ وهْوَ طاوٍ ... فريسَـتَه ليأكلها سِـواهُ (١)

(٨) وقال القاضى المهذب الحسن بن الزبير الأسوانى

من كبار الأدباء والشعراء فى دولة المصريين الفواطم

المتوفى سنة ٥٦١ هـ . يتشوق

نهر بَرَدَى بالشام

بِاللهِ يـا رِيحَ الشَّـمَا ... لِ إذا اشتمَلْتِ الرَّوْحَ بُرْدَا

وحَمَلتِ من نَشْرِ الخُـزَا ... مَى فاغتَـدى للنَّـدِّ نِـدّا

ونَسَجت ما بَيْنَ الغُصُـو ... نِ، اذا اعتنقْنَ، هوًى وَوُدّا

وهززتِ عِنْـد الصُّـبح مِن ... أجيـادِها لِلزَّهر عِقْـدا

فملأتِ صَـفْحةَ وجْهِـه ... حتى اكتسى آسًا ووَرْدا

فكأنمـا أَلْفَـيتِ فيـ ... ـهِ منهـما صُـدْغًا وخَـدّا:

---

(١) طاو : جوعان .

صُوَّى علـى بَرَدَى ؛ عَسـا ه يُزيد فى مَسـرِاك بُرْدَا (١)
نَهَرٌ كنَصْـل السَّيف تَحـكِـ ـسو مَتْنَـهُ الأزهارُ غِمْــدا
صقَلَتْــهُ أنفـاسُ النَّسِـ ـيم بمَرِّهِنَّ ، فليس يَصْـدَا
أحبـابَنـا ما بالُــكم فينا مِن الأعـداءِ أعْدَى
وحيـاةِ حُبِّـكُمُ ، بِتُــرْ بَةِ وَصْلِكم ما خُنتُ عَهْـدا

(٩) وقال ابن الفارض الصوفىّ من قصيدة : (٢)

أَبْقِ لى مُقْـلَةً لَعَـلِّيَ يَـوْمًا قبـلَ مَوْتى أَرَى بها مَن رَآكا
أَيْن منّى ما رُمتُ؟ هيهاتَ! بل أَيْـ ـنَ لِعَيْـنِي بالحـظ لَـثْمُ ثَرَاكا ؟
وبَشيرى لو جاءَ منك بعَطْفٍ ووُجُودى فى قَبْضَتى قُلتُ : هاكا !
قد كَفَى ما جرى دمًا مِن جُفونٍ لِىَ قَرْحَى ! فهل جَرَى ما كَفاكا ؟
فأَجِرْ مِن قِلاكَ فِيكَ مُعَنًّى قبْـلَ أن يَعـرِفَ الهوى يَهواكا
بِانكسارى بِذِلَّتى بِخُضـوعى بافتقـارى بِفـاقَتى لِغِنـاكا ـ
لا تَكِلْنى الى قُـوَى جَـلَدٍ خا نَ ، فإنى أَصبحْتُ من ضُعَفاكا
كنتَ تجفُو ، وكانَ لِى بعضُ صَبْرٍ أحسنَ اللهُ فى اصطبارى عَزَاكا !

(١) البرد جمع بريد وهى مسافة كل منزلة لخيل البريد وسكن الراء للشعر .
(٢) هو أبو حفص عمر بن على بن مرشد أحد كبار الصوفية وأبلغ شعرائها وأولعهم بالجناس وأنواع البديع . ولد بالقاهرة ومات بها وله ديوان شعر مشروح . وأصل آبائه من حماة توفى سنة ٦٣٢ هـ .

كم صُـدودٍ عَساكَ ترحَمُ شَـكْوَا ... ىَ، ولو باستماع قوْلى : عَساكا!

شَنَّعَ المُرْجِفُون عنك بِهَجْرى ... وأَشاعوا أنّى سَـلَوْتُ هَواكا

ما بِأَحْشائهم عشِقتُ ، فأسْلُو ... عنك يوما ،دَعْ يهجرُوا! حاشاكا!

كيف أسْلو؟ ومُقْلتى كلّما لا ... حَ بَريقٌ تَلفَّتَتْ لِلقاكا

كلُّ مَن فى حِماك يهواكَ لكن ... أنا وَحْدى بكلّ مَن فى حماكا

(١٠) وقال ابن مطروح[1]

بعد ما كسر الملكُ المعظم توران شاه بن الملك الصالح جيوش ملك الفرنسيس لويس التاسع واعتقل بدار ابن لقمان بالمنصورة ، وقُيِّد بقيد من ذهب ، ووكل به خادمٌ يسمى صبيحا؛ حتى فدى نفسه . ثم شاعت الأخبار أنه سيكرّ على مصر فقال يهدّده :

قُـلْ للفَرَنْسيس اذا جئتَـه ... مقالَ صِـدْقٍ من قَؤُول فصيح[2]

آجَـرَكَ اللهُ عـلى ما مضى ... من قَتْـلِ عُبّادِ يسوعَ المسيح[3]

قـد جِئتَ مِصرًا تبتغى أَخْذَها ... تحسَب أنّ الزَّمْرَ ـ ياطَبْلُ ـ رِيحْ

فَساقَكَ الحَيْنُ الى أدهَـمٍ ... ضاقَ به عَنْ ناظِرَيْكَ الفسيح[4]

---

(١) هو جمال الدين يحيى بن عيسى الشهير بابن مطروح . وهو من أهل الصعيد الأعلى ولد بأسيوط ونشأ بقوص وتقلبت به الأحوال ؛ فخدم الملك الصالح نجم الدين أيوب مدة ولايته ، ثم اعتزل الخدمة بعد موته حتى مات سنة ٦٤٩ هـ .

(٢) يريد بالفرنسيس لويس نفسه .

(٣) هذا يمثل روح العداء الذى كان سائدا فى الحروب الصليبية بين النصرانية والإسلام .

(٤) الحين : قدر الموت والهلاك . والأدهم : القيد الحديد، ولكن لويس قيدوه على ما قيل بقيد ذهب .

رُحْتَ، وأصحـابُك أودعْتَهُـم   بقُبح أفعـالِكَ بَطْنَ الضَّريح
خمسونَ ألفًا لا يُرَى منهـمُ   إلّا قتيــلٌ أو أسـيرٌ جريح
فـرَدَّكَ الله الى مثـلِها !   لَعـلَّ عِيسَى منـكُمُ يسـتريح!
إن كانَ بَابَاكُم بذا راضِـياً   فرُبَّ غَشٍّ قد أتَى مِن نصيح
فاتّخِـذوهُ كاهِنـا ؛ إنه   أنصحُ من شِـقٍّ لكم أو سَـطيح (١)
وقُـلْ لهم إن أضمَروا عوْدةً   لأخْذ ثارٍ أو لِقَصْـدٍ صحيح:
دارُ ابن لُقْمانَ على عَهْـدها   والقيــدُ باقٍ، والطَّواشِي صَبيح (٢)

(١١) وقال البهاءُ زُهير : (٣)

لا تَعتِب الدهرَ فى حالٍ رماكَ به   إنِ آسْـتردَّ فقِدْمًا طالمـا وَهَبـا
حاسِبْ زمانَك فى حَالَىْ تَصرُّفِهِ   تجِدْهُ أعْطاكَ أضعافَ الذى سَلَبا
واللهُ قـد جعَـلَ الأيّامَ دائرةً   فـلا تَرَى راحةً تَبـقَى ولا تَعَبـا
ورأْسُ مالِكَ وهْىَ الرُّوحُ قد سَلِمَتْ   لا تأسَفَنَّ لشىءٍ بعدَها ذَهَبا
ورُبَّ مالٍ نمـا من بَعـد مَرْزِئَة   أما ترى الشَّمعَ بعـد القَطِّ مُلْتهِبا

(١) فاتخـذوه أى البابا المقدّم ذكره . وشق وسطيح كاهنان من كهان العرب فى جاهليتها كانا ينبئان بالغيوب فيما يزعم المؤرخون .

(٢) وابن لقمان هذا هو أحد رؤساء الكتّاب زمن الصالح وبعده . والدار التى سجن بها لويس لا تزال منها بقية فى المنصورة .

(٣) هو بهاء الدين زهير بن محمد المهلبي شاعر الدولة الأيوبية وأرق المصريين شعرا . ولد بقرب مكة ، ونشأ بقوص من صعيد مصر، وتقلبت به الأحوال الى أن خدم الملك الصالح أيوب فكان أشبه بوزير له وبعد موت الصالح انقطع البهاء بداره حتى مات سنة ٦٥٦ هـ وله ديوان شعر مشهور يتضمن كثيرا من السهل [illegible]

وقال :

مِنَ اليومِ تعارفْنا ونَطوِى ما جَرَى مِنّا
ولا كانَ ، ولا صارَ ولا قُلْتُمْ ، ولا قُلْنَا
وإن كان ولا بُدّ من العَتْبِ فَبِالْحُسْنَى
فقد قِيلَ لَنا عنكُمْ كما قِيلَ لكُمْ عنّا
كفَى ما كان من هَجْرٍ وقد ذُقْتُمْ ، وقد ذُقنا
وما أحسنَ أن نَرْجِـعَ لِلوصلِ كما كُنّا

وقال :

وثقيلٍ ما بَرِحْنا نَتَمَنَّى البُعْدَ عنهُ
غابَ عنّا ففَرِحْنا جاءَنا أثْقَلُ منه

(ب) النثر

(١) كتب أبو الفرج الببغاء أحد كُتّاب سيف الدولة الحَمْدانى يهنئ بولاية عمل

سيدى ـ أيّدَه اللهُ ـ أرفعُ قَدْرا ، وأنبهُ ذِكْرًا ، وأعْظَم نُبْلًا ، وأشهر فضلا ، من أن نُهَنِّئَه بِولايةٍ وإن جَلَّ خَطَرُها ، وعَظُم قدرُها ؛ لأن الواجبَ تَهنئةُ الأعمال بفائض عَدْلِه ، والرَّعِيّة بمحمود فِعْله ، والأقاليمِ بآثار سياستِه ، والولاياتِ بسمات كِيَاستِه . فعرَّفه اللهُ يُمْنَ ما تَوَلّاه ، ورعاه فى سائر ما استرعاه ، ولا أخْلاه من التوفيق فيما يعانيه ، والتسديد فيما يُبرِمُه ويُمضيه .

وله فى تهنئة بعيد :

عرّفك الله يُمْنَ هذا العيـد وبركته، وضاعف لك إقباله وسعادته ، وأحياك لأمثاله فى أسبغ النعم وأكملها، وأفسح المُدَد وأطولها، وأشرف الرُّتب وأرفعها، وأعز المنازل وأيفعها . وحرس منحتك من المحظور، ووقى نعمتك من عثرات الدهور .

(٢) ابن قادوس (١)

ولابن قادوس فصلٌ من منشورٍ مما كان يُنشر على الناس بوفاء النيل فى الدولة الفاطمية . وهو :

النِّعَمُ وإن كانت شاملةً للأُمم ، فإنها مُتفاضِلةُ الأقدارِ والقِيَم ؛ فأولاها بشكرٍ تُنشَرُ فى الآفاق أعلامُه ، واعتدادٍ تُحكِمُ بإدراك الغاياتِ أحكامُه ، نعمةٌ يشترك فى النفع بها العبادُ، وتبدو بركتُها على الناطق والصامت والجماد ، وتلك النعمةُ النيلُ المصرىُّ(٢) الذى تَبْرُزُ به الأرضُ الجُرُزُ(٣) فى أحسن الملابس ، وتظهرُ حللُ الرياض على القيعان والبسابس(٤)، وتُرى الكنوزُ ظاهرةً للعيان، مُتبرّجةً بالجواهر واللُّجين والعِقيان . فسبحان من جعله سببا لإنشار المَوات، وتعالى من ضاعف به ضُروبَ البَركات، ووفّر به موادَّ الأرزاقِ والأقوات، (وهذا الأمر) صادر الى الأمير ، وقد منّ الله

(١) هو القاضى كافى الكفاة محمود ابن القاضى الموفق أسعد بن قادوس من رؤساء كتاب الإنشاء فى الدولة الفاطمية فى أيام الآمر والحافظ الفاطميين .

(٢) تمييز عن نيل الفرات وهو خليج منه .

(٣) الأرض الجرز : التى أكل نباتها ولم يصبها مطر، فلم تنبت ثانية أو هى الأرض التى لا تنبت .

(٤) البسابس : القفار الخالية .

تجلَّ وعلاَ بوفاءِ النيل المبارك ، وخُلِعَ على القاضي فلان بن أبي الرَّدَّاد في يوم كذا وكذا وطافَ بالخِلَع والتشريفات ، والمواهب المضاعفات ، بالقاهرة المحروسة ومصر ، على جاري عادته ، وقديم سيرته . ونودي على الماء بوفائه ستة عشر ذراعا وأصبعا من سبعة عشر ذراعا . واستبشر بالنِّعمة بذلك الخلائق ، وواصلوا بالشكر مواصلةً لا تستوقفهم عنها العوائق . وبدا من مسرات الأمم وابتهاجهم ما يضمن لهم من الله المَزيد ، ويُنيلهم المَنالَ السعيد ، ويقضي لهم بالمآل الحميد ، وموصل (هذا الأمر) اليك فلان ، فاعتمد عند وصوله اليك إكرامَه وإعزازَه ، وإجمالَ تلقيه وإفضالَه ، إلى ما جرت به عادةُ مثله من رجاء ، وتنويه واحتفاء ، وإكرام واعتناء ، ليعود شاكرا . فاعلم هذا واعمل به إن شاء الله تعالى .

(٣) ابن الصيرفي (١)

ولابن الصَّيْرَفي أحد كتّاب الإنشاء في الدولة الفاطمية فصل من منشور مما كان ينشر على الناس بالبِشارة بركوب الخليفة الى صلاة عيد الفِطْر :

وكتابُ أمير المؤمنين هذا إليك يوم كذا عيد الفطر من سنة كذا بعد أن وفّى الصيامَ حَقَّه ، وحاز أَجرَ من جعل الله على خزائنه رِزْقَه ، وبعد أن أفْطَر بحضرته الأولياءُ من آله وأُسْرَته ، والمُقَدَّمون من رُؤَساء دولته ، والمُتَميِّزون من أوليائه وشيعته . وكان من نَبإ هذا اليوم أن أميرَ المُؤمنين لما ارتَقَبَ بُروزَه من قُصوره ،

(١) هو القاضي الأمين تاج الرياسة أبو القاسم علي بن سليمان بن منجد المعروف بابن الصيرفي . كان من رؤساء الكتّاب في الدولة الفاطمية زمن الآمر وهو صاحب ديوان الرسائل المطبوع بمصر .

وتجلّ فأشرقت الأرضُ بنوره، توجّه الى المُصلَّى، قاضيا لسُنّة العيد ؛ فكانت نِعْمةُ ظهوره بالنظر [الحاضر] وبالخير للبعيد. واستقلّ ركابُه بالعساكر المنصورة التى أبدت منظرا مُعجِبا ، وجعلت أديمَ الأرض بالخيل والرَّجْل محتجبا، وذخرتْ الانتقامَ ممن شقّ العصا ، وتجاوزتْ فى الكثرة عددَ الرمل والحصى ، وزيّنتْ الفضاءَ بهيئتها ، وروّعت الأعداءَ بهَيْبتها ، وجمعتْ بين الطاعة وشدّةِ الباس ، وادّرعتْ من التقوى أمنعَ جُنّــةٍ وأحصنَ لِباس . ولم يزلْ سائرا فى السكينة والوقار ، ناظراً للدُّنيــا بعين الاحتقار ، والثّرى بالجباهِ والشــفاهِ مُصافَحٌ ملثوم، فهما موسومتانِ به وهو بهمــا موسوم ؛ الى أن وصل الى مقرّ الصلاة ، ومحل المناجاة؛ فصلّى أتمَّ صلاة وأكملها ، وأداها أحسنَ تأديةٍ وأفضلَها ، وأخلص فى التكبير والتهليــل إخلاصَ من لم يُفِتْ أمْرًا ويخشى الله ويتّقيه؛ ونَصَح فى إرشاده ووعْظِه، وأعربَ ببديع معناه وفصيح لفْظِه ، وعاد الى مثوى كرامته ، وفَلَكِ إمامته ، محمودَ المقَــام، مشمولاً بالتوفيــق فى النقض والإبرام . أعلمكَ أميرَ المؤمنين ذلك لتُذيعَه فيمن قِبلَك ، وتشكرَ الله على النعمة الشاملة لهم ولك . فاعلم هذا واعمل به إن شاء الله تعالى . وكتب فى اليوم المذكور.

(٤) ولعليّ[1] بن خلف فى الدعوة الى وليمة

رُقْعتى — أطال الله بقاءَ سيدى — ومجلسى بمَنْ حلَّه من خدَمه، وتركُه من صنائع كرَمه ، فلكٌ مُزيّنٌ بأنجمــه . فإن رأى أن يُطلِــع فيه بَدْرًا بطلوعه ، ويَنْقُــلَ قَدَمَهُ اليهم، ويُكمِّلَ نقْصَهم بتمــامه، ويُضيفَ ذلك الى تليد إنعامِه — فعَل ، إن شاء الله تعالى .

(١) من كتاب الإنشاء فى الدولة الفاطمية وألف فى مصطلح الإنشاء كتابه المسمى مواد البيان وكثيرا ما ينقل عنه صاحب صبح الأعشى .

(٥) وللقاضى الفاضل يصف فيضان النيل (١)

من رسالة قال : وأما النيل فقد ملأ البقاع ، وانتقل من الأصبع الى الذراع، وكأنما غارَ (٢) على الأرض فغطّاها، وعارَ (٣) عليها فاستقعدها وما تخطّاها (٤)، فما يوجد بمصر قاطعُ طريق (٥) سواه، ولا مرغوبٌ مرهوب إلا إيّاه .

وله أيضا :

من أخرى يصف محاصرة جيش صلاح الدين بيت المقدس وفتحه «زَاولَ المدينةَ من جانب، فاذا هو أوْديةٌ عميقة، ولُجَجٌ وَعْرٍ غريقة (٦)، وسُورٌ قد انعطف عَطْفَ السِّوَار، وبُرُوجٌ قد نزلتْ مكانَ الواسطة من عِقْد الدار (٧). وَقَدَّم المنْجنيقات التى تتولّى عِقابَ الحصونِ عِصيِّها وحِبالُها، وأوْتَرَ لهُمْ قِسيَّها التى تَضربُ ولا تُفارِق سِهامَها ولا سِهامَها نِصالُها، فصافحت السورَ فاذا سِهامُها فى ثَنايا شُرُفاتها (٨) سِواك،

(١) هو أبو على عبد الرحيم البيسانى اللخمى رئيس ديوان الإنشاء فى آخر الدولة الفاطمية، ووزير صلاح الدين وابنه العزيز . وكان معهما أشبه بالوزير وهو صاحب الطريقة الفاضلية فى الإنشاء أساسها التورية والجناس والطباق . وتوفى سنة ٥٩٦ هـ .

(٢) من الغيرة والغور ففيه تورية .

(٣) عار الرجل : تردد وذهب وعاد . أى أنه يذهب ويجىء اليها ويتردد : كالرجل يدع عمله ويعود الى قعيدة بيته .

(٤) أى لم يجاوزها الى غيرها كالرجل يكتفى بزوجه .

(٥) فى قاطع الطريق تورية .

(٦) أى أنه كان يحيط بالبلد خندق وعر الحجارة أغرق بالماء .

(٧) شبه السور بالعقد . والأبراج بالواسطة .

(٨) أى شرفات الحصون .

وقدّم النصر بشرى من المنجنيق تُخلِدُ إخلادَه الى الأرض(١) وتعلو علوّه الى السماك ، فشجّ مرابع أبراجها، وأسمع صوت عجيجها ورفع منار عجاجها، وأسفر النقابُ من الخرابِ النقابَ، وأعادَ الحجرَ الى خِلقته الأولى من التُراب، ومضغ سَرد حجارته بأنياب معوَله، وأظهر من صناعته الكثيفة ما يدُلُّ على لطافة أنمله، وأسمع الصخرة الشريفة أَنينَه(٢) الى أن كادت ترِقّ لِمقتَله» .

من الكتابة العلمية التأليفية بمصر والشام

(١) فصل للكِندى(٣) في كتاب الوُلاة وكتاب القضاء

قال : وعسكر شَيْبانُ [بن أحمد بن طولون] يوم الأربعاء مستهل ربيع الأول بعين شمس ، فأتاهم محمد بن سليمان فمضى اليه عامة أصحاب شيبان يسألونه أمانهم . فلما رأى شيبانُ ذلك أرسل الى محمد بن سليمان فى أمانه وأمان إخوته وأهله فآمنهم .

وخرج شيبان ليلة الخميس لليلة حلت من ربيع الأول سنة اثنتين [وتسعين ومائتين] الى محمد بن سليمان . وانصرف عسكره كله . وكانت ولايته عليها اثنى عشر يوما .

ثم دخل محمد بن سليمان الكاتب يوم الخميس لمستهل ربيع الأول سنة اثنتين وتسعين ومائتين فأمر باحراق القطائع، فأُحرِقَت، ونهب أصحابه الفُسطاطَ يومئذ .

---

(١) أخلد الى الأرض : نزل بها وأقام، وأخلد الى الشيء : مال اليه .

(٢) أى أنين الحجر الذى أعاده النقاب الى خلقته الأولى من التراب أى نسفه وسحقه .

(٣) هو أبو عمر محمد بن يوسف الكندى المصرى أحد كبار المؤرخين من المصريين وصاحب كتاب ولاة مصر وقضاتها وكتب أخرى فى خططها وأخبارها وتوفى بمصر سنة ٣٥٠ هـ .

فركِبَ محمد بن سليمان فَطَافَها، وأطلق من في السجون، وسَكَّنَ الناس، ودعا من الغد على المِنبر لأمير المؤمنين المكتفي بالله وحده، وصرف موسى بن طُونيق عن الفسطاط يوم الجمعة لليلتين خلتا من ربيع الأول، وجعل محمد بن سليمان مكانه رجلا من أصحابه يقال له «البُكْتمري» وصرف أبا زُرعة محمد بن عثمان القاضي عن قضائه وردّ محمد ابن عَبْده بن حَرْب على القضاء. وبعث محمد بن سليمان بِطُغُج بن جُفّ والياً إلى قِنّسْرين وضم إليها جمعا من جند بني طولون. ثم أمر بإخراج الأعراب الذين جاءوا معه. ثم أخرج ولَدَ أحمد بن طولون وهم عشرون إنسانا. وأخرج بدر الحمامىَّ واليا على دِمَشْق وأخرج منها قوّاد بني طولون ومواليهم وقتاً بعد وقت. فلم يبقَ بمصر منهم أحد يذكر، وخلت منهم الديار، وعفتْ منهم الآثار، وتعطلت منهم المنازل، وحل بهم بعد العز الذل والتطريد والتشريد بعد اجتماع الشمل ونضرة الملك ومساعدة الأ

(٢) [illegible]

نزولَ الليل ؛ حتى وصل خبرُها الى ملوكهم . فقالوا : إنه رحيم القلب ، وقد أذنّا لك بالخروج، فاخرجي واطلبيه منه، فانه يردُّه عليك. فخرجتْ تستغيث الى العسكر، فاخبرتهم بواقعتها ، فأطلقوها وأنفذوها الى السلطان . فلقيتْه وهو راكب ، وأنا في خدمته، وفي خدمته خلق عظيم ،فبكتْ بكاءً شديدا ،ومرّغت وجهها في التراب فسأل عن قصتها، فأخبروه. فرقّ لها، ودمعتْ عينُه ،وأمرَ بإحضار الرضيع ،فوجدوه قد بيع في السوق، فارتدّه، وأمر بدفع ثمنه الى المشتري وأخذه منه . ولم يزل واقفاً حتى أحضر الطفل وسلم اليها. فأخذته وبكت بكاء شديدا ، وضمته الى صدرها، والناس ينظرون اليها ويبكون . وأنا واقف في جملتهم، فأرضعته ساعة . ثم أمر لها ، فحملت على فرس وأُلحقتْ بعسكرهم مع طفلها . فانظر الى هذه الرحمة الشاملة لجنس البَشر .

اللهم إنك خلقته رحيما فارحمه رحمةً واسعة من عندك ياذا الجلال والإكرام !

وانظر الى شهادة الأعداء له بالرأفة والكرم .

(ومليحة شَهِـدتْ لهـا ضَرّاتُها والحسنُ ليس لحقه من مُنكر)

الأدب فى الأندلس

(ا) الشـــعر

(١) ابن هانئ الأندلسى [١]

قال ابن هانئ الأندلسى من قصيدة يمدح بها الأمير طاهراً وأبا عبد الله الحسين ابنى المنصور :

آمسَحُوا عن ناظِرِى كُحلَ السُّهادِ وانفُضُوا عن مَضْجَعِى شَوكَ القَتادِ
أو خُــذوا مِـنِّىَ ما أبقيـتُمُ لا أُحِبُّ الجسمَ مسلوبَ الفؤادِ
هــل تُجيرونَ مُحِبّاً مِن هَوًى أو تفُكُّونَ أسـيراً من صِفَادِ [٢]
أسُلُوًّا عنكُم من هَجرِكُم؟ قلّمَا يَسْلُو عن الماءِ الصَّوادِ
إنمـا كانتْ خُطوبٌ قُيِّضَتْ فَعَدتْنا عنكُم إحدى العَوادِى
فعلَى الأيّام من بَعـدِكُمُ ما على الظَّلْمَاءِ مِن لُبْسِ الحِدادِ
لا مَزارٌ منكُمُ يَدنُو سِـوَى أن أرَى أعلامَ هَضْبٍ أو نِجَادِ

(١) هو أبو القاسم محمد بن هانئ الأزدى الأندلسى ، أشعر شعراء الأندلس والملقب بمتنبى الغرب ، نشأ فى أشبيلية ، واتّهم بسوء العقيدة فهرب الى عدوة المغرب ، وكانت فى قبضة الفاطميين الأوّلين ، فمدح المعز قبل فتح مصر ، وفى أثنائه . ولما فتحت مصر وذهب المعز الى مدينة القاهرة تأهب للحاق به ، فمات فى الطريق سنة ٣٦٢ هـ . ولم يناهز الأربعين . ويمتاز شعره بالغريب وفخامة اللفظ والأساليب البدوية . وكثرة التشبيهات والمجاز .

(٢) الصفاد : ما يشدّ به الأسير من قيد ونحوه .

قد عقلنا العيس فى أوطانها وهى أنضاءُ ذميلٍ ووخادِ (١)
قل تنويلُ خيالٍ منكمُ يطَّبي بين جفونٍ وسُهادِ (٢)
وحديثٌ عنكمُ أكثرُهُ عن نسيم الريح أو برقِ الغَوادى (٣)
لم يزدْنا القُربُ إلا هجرةً فرضينا بالتنائى والبِعادِ
واذا شاءَ زمانٌ رابَنا برقيبٍ أو حسودٍ أو مُعادِ
فهداكمْ بارقٌ من أضلعي وسُقيتمْ بغمامٍ من وِدادى
واذا انهلَّتْ سماءٌ فعلى ما رفعتُم من سماءٍ وعِمادِ
واذا كانتْ صلاةٌ فعلى هاشِم البطحاءِ أربابِ العبادِ

ولابن هانئ من قصيدة يمدح بها المعز :

وَوَراءَ حَقِّ ابنِ الرسول ضَراغمٌ أُسْدٌ وشَهباءُ السلاحِ مَنُونُ (٤)
والطالبان : المَشْرَفِيَّةُ والقنا والمُدركان : النصرُ والتمكينُ
وصَواهلٌ لا الهَضْبُ يومَ مُغارِها هَضْبٌ، ولا البِيدُ الحُزُونُ حُزُونُ

(١) الأنضاء : جمع نضو، وهو الهزيل من الإبل وغيرها . والذميل والوخد : نوعان من سير الابل . وجمع الوخد هنا على وخاد .

(٢) يطبى : مضارع اطباه : بمعنى تقرب اليه وتحبب ومال اليه واستجاب له ، وكلها مناسب هنا أى قل السماح من خيالكم المحبب الملازم لجفون المسهدة .

(٣) وكذلك : قلت الفائدة من حديث عنكم تحدث به عن النسيم الذى يهب من ناحيتكم والبرق اللامع من قبل دياركم . والغوادى : السحب تمطر فى الغداة .

(٤) أى كتيبة شهباء السلاح كالمنون وهى الموت .

جَنبَ الحَمَامَ، وما لهُنّ قـوادِمٌ ... وعلا الربُّودَ، وما لهنّ وُكُون (١)
فَلَهُنّ مِن ورِقِ اللُّجينِ تَوجُّسٌ ... ولَهُنّ من مُقَـلِ الظِباءِ شُفون (٢)
فكأنهـا تحتَ النُّضار كواكبٌ ... وكأنّهـا تحتَ الحَـديد دُجون (٣)
عُرِفَتْ بساعةِ سَبقِها، لا أنّهـا ... عَلِقَتْ بهـا يوم الرِّهانِ عُيون (٤)
وأَجـلُّ عِلمِ البرقِ فيهـا أنّهـا ... مرَّتْ بجانحتَيـه، وهي ظنون (٥)

(٢) وقال ابن عبد ربه (٦) من أبيات فى التشوق :

وكيفَ؟ ولى قلبٌ اذا هبّتِ الصَّبا ... أهابَ بشوقٍ فى الضُّلوع دفينِ
ويَهتاجُ منـه كلّ ما كان ساكنا ... دعاءُ حَمامٍ لم تَبِتْ بوُكـون
وان ٱرتياحى من بُكاءِ حمـامة ... كذى شَجَنٍ داويتَـه بشجُون
كأنّ حمـامَ الأيْكِ لمـا تجاوبتْ ... حزينٌ بكى من رحمةٍ لحـزين

---

(١) جنب الحمام : أى جنب المزوراء خيلا كالحمام إلا أنها ليس لها قوادم مثلها . وعلا بها الربود وهى الحروف الناتئة فى الجبال وليس للخيل وكون فيها كالحمام .

(٢) التوجس : التسمع من الخوف والنفار . والشفون : النظر بمؤخر العين . أى أن هذه الخيل شديدة الحس والانتباه فهى تتوجس من صوت ورق الفضة وتذعر به . وهى جميلة العيون فكأنها تنظر بعين ظبي .

(٣) أى فكأنها بما عليها من حلية السروج الذهبية كواكب ، وكأنها بما على فرسانها من الدروع والسلاح دجون : جمع دجن وهو السحاب والغيم الأسود .

(٤) عرفت عند ساعة وصولها للغاية ، وهى حينئذ رائقة إذ لاتدركها الأبصار يوم الرهان من شدة سرعتها .

(٥) وأكثر ما يعلم البرق عنها أن يظن أنها مرت به .

(٦) هو أحمد بن محمد بن عبد ربه صاحب العقد الفريد وأحد كبار الأدباء والكتاب من الأندلسيين توفى سنة ٣٢٨ هـ .

وقال أيضا :

هيَّجَ البينُ دَوَاعِي سَقَمِي وكَسَا جِسْمِيَ ثوبَ الألمِ
أيُّها البينُ أقلني مرةً فاذا عُدْتُ فقد حلَّ دَمِي
يا خَلِيَّ الرُّوعِ ، نَمْ في غِبطة إنَّ مَنْ فارقْتَه لم يَنَمِ
ولقد هاج لقلبي سقَمًا ذكرُ مَن لو شاءَ داوى سَقَمِي

(٣) قال ابن زيدون[١] :

وكتب بها الى أحد الرؤساء وهو فى سجن ابن جهور المتغلب على قرطبة بعد بنى أمية والعلويين :

ما علَى ظَنِّيَ بَاسُ يجرَحُ الدهرُ ويَاسُو
ربَّما أشرفَ بالمرْ ءِ على الآمال يَاس
ولقدْ يُنجِيكَ إغفا لٌ ، ويُؤْذيك احتِرَاسُ
ولكَم أَجْدَى قُعُودٌ ولكَمْ أَكْدَى التماسُ
وكذا الحكمُ : إذا ما عزَّ ناسٌ ، ذَلَّ ناسُ
وبَنُو الأيام أخيا فٌ : سَراةٌ، وخِساسُ
نَلْبَسُ الدنيا ، ولكنْ مُتعَةٌ ذاكَ اللِّباسُ
يا أبا حَفْصٍ وما بها وَاكَ فى فَهْمٍ إياسُ

---

(١) هو الكاتب الشاعر أبو الوليد أحمد بن عبدالله الشهير بابن زيدون وزير آل جهور وآل عباد من ملوك الطوائف بالأندلس وصاحب الرسالتين الشهيرتين الجدية والهزلية المنسوبتين اليه توفى سنة ٤٦٣هـ بإشبيلية .

مِن سَنَى رأيكَ لى فى غَسَقِ الخطْب اقتباسُ
وَوِدَادِى لكَ نَصٌّ لم يُخالِفْه القِياس
أنا حَيرانُ ، وللأمـ ـر وُضوحٌ والتِباس
لا يَكُن عهدُك وَرْدًا إنَّ عَهْدى لك آس (١)
وأدرْ ذِكرِىَ كأسًا ما آمطتْ كفَّك كاس
فعسى أن يسمحَ الدهـ ـرُ ، فقد طال الشِّماسُ (٢)
واغتنِمْ صَفوَ الليالى إنما العَيشُ آختلاس
ما ترى فى مَعْشَرٍ حا نُوا عن العهد، وخاسوا ؟ (٣)
ورأونى سَامِرِيًا يُتَّقَى منه المِساس
أذؤُبٌ هامتْ بلَحمِى: فآنتهابٌ ، وآنتهاس
كُلُّهمْ يسألُ عن حا لِى، وللذئْبِ آعتساس
إنْ قَسَا الدهرُ فلِلمـا ءِ مِن الصَّخرِ آنبجاس
ولئن أمسيتُ محبو سًا فلِلغَيْث آحتباس
ويُفَتُّ المِسكُ فى التُّر بِ ؛ فيُوطَا ويُداس

وقال أيضا «متغزلا» :

ياقمرًا مطلَعُه المَغْرِبُ قد ضاق بى فى حُبِّك المَذهَبُ

---

(١) لأن الورد قليل البقاء، والآس دائم .

(٢) الشماس : الإباء ، من شمس الفرس . منع ظهره أن يركب .

(٣) خاسوا : نقضوا العهد .

أَلزمتَنى الذَّنبَ الذى جِئتَه صدقْتَ! فاصْفحْ أيُّها المذنبُ!
وإنّ مِنْ أغربِ ما مرَّ بي أنّ عَذابي فيكَ مُستَعْذَبُ

وقال يتغزَّل بوَلَّادة، الأميرة الأديبة بنت المستكفى الأموى :

يانازِحًا وضميرُ القَلْبِ مَثواه أَنسَتْكَ دُنياكَ عَبْدًا أنتَ دُنياهُ
أَلهتْكَ عَنهُ فُكاهاتٌ تلَذُّ بها فليسَ يَجْرِى ببالٍ مِنكَ ذِكراهُ
عَلَّ الليالىَ تُبَقِّينى الى أَمَلٍ الدَّهرُ يعلَمُ والأَيامُ مَعناهُ

وقال أيضا :

وَدَّعَ الصَّبرَ مُحِبٌّ وَدَّعَكْ حافظٌ مِن سرِّه ما ٱستوْدَعَكْ
يقرَعُ السِّنَّ على أن لم يَكن زادَ فى تلك الخُطا إذْ شَيَّعَكْ
يا أَخا البدرِ سناءً وسَنًى حفِظَ اللهُ زمانًا أطلعَكْ
إن يطُلْ بَعْدَكَ لَيْلى فلكَمْ بِتُّ أَشكو قِصرَ الليلِ مَعَكْ

(٤) وقال أبو الصلت أمية بن عبد العزيز الأندلسى الدانى يصف قصرا بناه على بن تميم بن المعز بمصر [١]

لله مجلِسُكَ المنيفُ قِبابُهُ بمُوَطَّدٍ فَوقَ السِّماكِ مُؤسَّسِ [٢]
مُوفٍ على حُبُكِ المَجَرَّةِ تلتقِى فيه الجَوارى بالجوارى الكُنَّسِ [٣]

(١) هو أديب متفلسف متطبب كاتب شاعر، رحل الى المشرق، ودخل مصر فى أيام الدولة الفاطمية واتصل برجال القصر. ثم رحل عن مصر، ونزل المهدية من بلاد تونس فمات بها سنة ٥٢٩ هـ .

(٢) أى المرتفعة قبابه ببناء موطد مؤسس فوق السماك، وهو نجم فى السماء.

(٣) موف : مشرف عال. المجرة : صورة بياض فى السماء يمتد من الشمال الى الجنوب كالنهر. وحبك النجوم (ومنها المجرة) : طرائقها. والجوارى الأولى : الجوارى الحسان. والجوارى الكنس الكواكب. أى أنه مشرف على الكواكب بحيث تلتقى جواريه الحسان بنجوم السماء.

تتقابلُ الأنـــوارُ فى جَنَبـاته ... فالليـلُ فيـه كالنهـارِ المُشمِس
عُطِفَتْ حَنـاياهُ دُوينَ سَمـائه ... عَطْفَ الأَهِلَّة والحَواجِبِ والقِسِى
واستشرفَتْ عَمَدَ الرُّخام ، وظُوهِرتْ ... بأَجلَّ مِن زَهرِ الربيـعِ وأنفَسِ
فهـــواؤه من كُلِّ قـــدٍّ أَهيَفٍ ... وقَرارُه مِن كلِّ خدٍّ أملَس [1]
فلكٌ تحـيَّرَ فيـه كلُّ مُنجِّـم ... وأقرَّ بالتقصـيرِ كلُّ مُهنْـدِس [2]
فبدا لِلَحْظِ العين أحسنَ منظَرٍ ... وغدا لِطيبِ العَيْش خيرَ مُعرَّس [3]
فاطلعْ به قمـــرًا اذا ما أَطلعت ... شمسُ الخُدورِ عليك شمسَ الأَكْؤُس
فالناس أجمعُ دونَ قـدرِك رُتبـةً ... والأرضُ أجمعُ دونَ هذا المجلِس

(٥) لأبى بكر بن عمّار [4]

يندب أيامه ولياليَه ويذكر عاطل عيشه وحاليَه :

خليليَّ ما بالى على صِدقِ عَزمَتى ... أرَى من زَمانى وَنْيةً وتَعذُّرا [5]
ووَاللهِ ما أَدرى لأىّ جَريمـةٍ ... تجنَّى ، ولا عن أىّ ذنبٍ تَغيَّرا
ولم أَكُ عن كَسْبِ المكارِم عاجِزا ... ولا كنتُ فى نَيْلٍ أُنيلَ مُقصِّرا

---

(١) الهيف بفتحتين : رقة الخصر . اى أن هواءه رقيق رقة خصور الملاح ، وقراره أى أرضه ملساء ناعمة ملاسة الخدود .

(٢) أى كأنه فلك السماء .

(٣) أى خير مقام .

(٤) هو محمد بن عمار الشلبي الكاتب الشاعر وزير المعتمد بن عباد ملك أشبيلية . ثم خرج عليه فقتل سنة ٤٧٧ هـ .

(٥) أى توانيا وتقصيرا فى إسعافى .

لئن ساءَ تمــزيقُ الزمانِ لدَوْلَتِي ... لقد رَدَّ عن جَهْلٍ كثيرٍ وأَبْصَرا (١)
وأيقَظَ مِن نَوْمِ الغَــرارةِ نائمـاً ... وأكْسَبَ عِلْماً بالزَّمانِ وبالورَى

(٦) وقال ابراهيم بن خفاجة الأندلسى (٢)

لِلَّهِ نَهْــرٌ ســالَ فى بَطْـحاءِ ... أشْهى وُرودا من لَمَى الحَسْناءِ
مُتَعَطِّفٌ مثــلُ السِّــوار كأنّه ... والزَّهرُ تكنُفُهُ مَجَــرُّ سَمـاءِ
قــد رَقَّ حتى ظُنَّ قُرْصاً مُفْــرَغاً ... مِن فِضَّـــةٍ فى بُرْدَةٍ خضــراءِ
وغدَتْ تَحُفُّ به الغُصُونُ كأنها ... هُــدْبٌ يَحُفُّ بمُقــلةٍ زَرْقاءِ
والريحُ تعبَثُ بالغُصونِ وقد جرَى ... ذهبُ الأصيلِ على لُجَيْنِ المـاءِ

وقال أيضـاً :

وأراكةٍ ضَرَبتْ سمـاءً فَوْقنـا ... تَنْدَى ، وأَفلاكُ الكئُوسِ تُدارُ
حَفَّتْ بِدَوْحَتِها مَجَــرَّةُ جَدْوَلٍ ... نَثَرتْ عليــه نُجومَهـا الأزهارُ
وكأنّهـا وكأنّ جـدولَ مائهـا ... حسناءُ شُــدَّ بخَصْــرِها زُنّارُ
زَفَّ الزُّجاجُ بها عَروسَ مُدامةٍ ... تُجْـلَى ، وأنوارُ الغُصـونِ نِثارُ
فى رَوْضةٍ جُنحُ الدُّجَى ظِلٌّ بها ... وتجسَّمتْ نَوْرًا بهـا الأنــوارُ (٣)

---

(١) أى ردّنى عن جهلى بمحاولتى إنشاء دولة وخروجى على ولى نعمتى . والمراد بالجهل الطيش وسوء الرأى .

(٢) أبو إسحاق ابراهيم بن عبد الله بن خفاجة أشهر وصاف الطبيعة من الأندلسيين . ولد بشقر من شرق الأندلس . عاش فى زمن ملوك الطوائف وأوائل حكم الموحدين . وعمر طويلا . ومات سنة

(٣) أى كأن سوادها جنح الدجى وكأن نورها تجسم حتى صار زهرا

غَنَّـاءُ ينشرُ وَشْـيَه البَزَّازُ لِى ... فيهـا ، و يفتـق مِسْـكَهُ العطّارُ
قَامَ الغِناءُ بها ، وقد نَضَحَ النَّدى ... وَجْهَ الثَّرَى ، واَستيقظ النـوّار
والمـاءُ من حَلْى الحَبـابِ مُقَلَّدٌ ... زَرَّتْ عليـه جيوبَهـا الأشجار

وقال فى ذم علماء السوء من المسلمين والنصارى :

دَرَسوا العُلُوم يملِكوا بجِدالهِم ... فيها صُدورَ مَراتب ومجالس
وتَزَهَّدُوا حتى أَصابوا فُرصَةً ... فى أخذِ مالِ مساجدٍ وكنائس

وقال يصف أسود فى ماء :

وأســودٍ يَسْـبَحُ فى لجّةٍ ... لا تَكْتُمُ الحصباءَ غُدرانُها
كأنهـا فى شَكْلها مُقْلَةٌ ... وذلك الأَســودُ إنسانُها

(٧) ولابْن الصَّائغ[1] فى الغزل

أَسُكّانَ نُعمانِ الأَراكِ تيقَّنُــوا ... بأنكُمُ فى رَبْعِ قَلْـبِى سُكّانُ
ودُومُوا على حِفظِ الوِداد ، فطالَمَا ... بُلِينَـا بأقْوامٍ اذا اَسْتُؤْمِنُوا خانوا
سَلُوا الليـلَ عنِّى مذ تناءَتْ دِيارُكُمْ ... هلِ اكتحلتْ بالغُمْضِ لِى فيه أجفانُ
وهَلْ جَرَّدَتْ أسْـيافَ بَرقٍ سماؤُكُمْ ... فكانت لهـا إلا جُفـونىَ أَجفـانُ ؟[2]

(١) هو أبو بكر بن باجه المعروف بابن الصائغ الشاعر الفيلسوف الأندلسى المتوفى سنة ٥٣٣ هـ .
(٢) الأجفان فى هذا البيت جمع جفن وهو قراب السيف .

(٨) يحيى بن الفضل أحد أدباء الأندلس وشعرائها فى الحكم

جَمَعْتَ مالًا فَفَكِّرْ هل جَمَعْتَ له ... ـ يا جامعَ المـال ـ أيامًا تُفَرِّقُهُ (١)

المـالُ عنـدكَ مخـزونٌ لوارثهِ ... ما المـالُ مالُكَ إلا يومَ تُنفِقُهُ

إنّ القَناعـةَ من يَحْلُـلْ بساحتها ... لم يَلْقَ فى ظِلّها همًّـا يُؤرِّقُـه

(٩) البَطَلْيَوْسى (٢) يصف منظرا به تماثيلُ أُسُودٍ تمُجّ المـاء من أفواهها

يا مَنظَرًا إن نَظَـرْتُ بَهجتَـه ... أَذْكَرَنى حُسْنَ جَنَّـةِ الخُـلْدِ

تُرْبَةُ مِسْـكٍ، وجَوُّ عنـبرةٍ، ... وغَـيْمُ نَدٍّ، وطَشُّ مَا وَرْدِ

والمـاءُ كاللّازَوَرْدِ قد لَفَظَتْ ... فيـه اللآلى فَواغِرُ الأُسْـدِ (٣)

كأنمـا جائلُ الحَبـابِ بهِ ... يَلْعَبُ فى جانبيْـه بالـنَّرْدِ

(١٠) ابن سهل الاسرائيلى (٤)

قال فى جمال الطبيعة :

الأرضُ قد لبِسَتْ رداءً أخضَرا ... والطَّلُّ ينـثُر فى رُباها جوْهرا

هاجتْ، فخِلتُ الزَّهْرَ كافورًا بها ... وحسبْتُ فيها التُّرْبَ مِسكًا أذفَرا

وكأنَّ سَوْسَنَها يُصافِحُ وَرْدَها ... ثَغْرٌ يُقبِّـلُ منـه خدًّا أحْمَـرا

والنَّهرُ ما بَيْنَ الرياض تخـالُه ... سَـيْفًا تعلّق فى نِجادٍ أخضرا

---

(١) أخذ هذا المعنى من عمر بن الخطاب رضى الله عنه، قيل له إن فلانا قد جمع مالا، فقال : وهل جمع له أياما ؟

(٢) هو الفقيه الأستاذ أبو محمد عبد الله بن محمد بن السيد البطليوسى النحوى اللغوى الشاعر الكاتب المتوفى سنة ٦٢٧ هـ .

(٣) أى أفواه الأسد الفواغر : المفتوحة .

(٤) هو ابراهيم بن سهل أحد الشعراء المجيدين بالأندلس فى عصورها الأخيرة . كان يهوديا فأسلم ومات سنة ٦٤٩ هـ غريقا ولم يجاوز الأربعين . وله غزل رقيق . وهو من أصحاب الموشحات .

وجَرَتْ بصفْحتها الرُّبا، فحسبْتُها كَفًّا يُنَمِّقُ فى الصحيفة أسْطُرا
وكأنَّهُ إذ لاح ناصِعُ فِضةٍ جَعلتْه كَفُّ الشمس تِبْرًا أصفَرا
والطيرُ قد قامت به خطباؤُه لم تَتَّخذْ إلا الأَراكَةَ مِنْبرا

(ب) النـــــــثر

(١) أبو عُبيد الله البكرى

قال الوزيرُ الفقيه أبو عبيد الله البكرى رحمه الله فى فصل من رُقعة يهنِّئُ بها الوزيرَ الأجلَّ أبا بكرٍ بنَ زيدون بالوزارة زمن ملوكِ الطوائف .

أسعدَ الله بوزارة سيدى الدنيا والدِّين، وأجرَى لها الطيرَ الميامين، ووصل بها التأييدَ والتمكين. والحمدُ لله على أملٍ بلَغه، وجَذَلٍ قد سوَّغه، وضَمانٍ حقَّقه، ورجاءٍ صدَّقه . وله المِنَّةُ فى ظلامٍ كان — أعزَّه الله — صُبْحَه، ومُستَبْهِمٍ غدا شَرْحَه، وعُطلِ نَحرٍ كان حَلْيَه، وضَلالِ دهرٍ صار هَدْيَه :

فقد عمَّرَ اللهُ الوزارةَ باسْمه وردَّ اليها أهلَها بعد إقْصار

(٢) أبو المطرِّف

وكتب الوزيرُ الكاتبُ أبو المُطَرِّف ابن الدَّبّاغ رحمه الله الى أبى الفضل ابن حَسْدَاى، وكان يهوديا فأسلم، يعاتبه ويداعبه :

كنتُ عَهِدتُك لا تمتنِعُ من مُداعبةِ من يدُاعبك ، ولا تنقبِضُ عن مُراجَعةِ من يُخاطبُك، فمِن أين حدثَ هذا التعالى ؟ وما سَبَبُ هـذا التغالى ؟ عرِّفنى

— جُعِلتُ فِداك — ما الذى عَرَاك ؟ ولعلّك رأيتَ الحَضْرَةَ قد خَلَتْ من قاضٍ فطمِعْتَ فى القضاء، وجعلْتَ تأخُذُ نفسَك بأُهْبَتِه، وتترشّح لِرُتْبَتِه، وأنت الآن — لا شك — تتفقّهُ فى الأحكام، وتتطلّع شريعةَ الإسلام . وهَبْك تحلّيتَ بهذا السَّمْت، وتهيأت لذلك الدَّسْت، ما تصنَعُ فى قِصة السبْت ؟ دَعْ هـذا التخلُّقَ ! وارْجِع الى أخلاقِك، وعُدْ فى إطراقك، وتجاهـلْ ما قَبِلَك جاهـل، وتحامَقْ مع الحمْق، وأنت عاقل، فلا تمنَـع لَذَّةَ الاسترسال، ولا تَتْبع الدنيـا بجِدٍّ منـك فى سائر الأحوال، فمـا أشبهَ إدبارَها بالإقبال، وكثرتَها بالإقلال .

وفصل من رسالة فى وصف السراج، لأبى عبد الله محمـد بن أبى الخصال ، أحد أدباء الأندلس وبلغاء كتّابها، فى زمن ملوك الطوائف، وزمن ولاة المرابطين، فى أوائل المـائة السادسة .

عذرًا إليـك — أيّدك الله — فانى خَطَطْتُ والنـومُ مُغازِل ، والقُرُّ نازِل ، والريحُ تلعَبَ بالسراج ، وتصولُ عليـه صَوْلَةَ الحَجّاج، فطورا تُبْرِزُه سِنانًا، وتُحرّكُه لِسانًا، وآونةً تَطْوِيه عُنَّابة، وأخرى تَنْشُره ذُؤَابة، وتارة تُقيمه إبرَةَ لَهَب، وتعطِفُه بُرَةَ[(١)] ذهب، وحينًا تُقوِّسـه حاجِبَ فتاةٍ ذاتِ غَمَزَات، وتُسلِّطه على سَليطه[(٢)]، وتُديله[(٣)] على خَليطه. وربما نَصَبَتْه أُذُنَ جَراد، ومسختْه حَدَقَ جَراد، ومشقته[(٤)] حروفَ بَرْق،

(١) البرة : حلقة صغيرة تكون فى أنف البعير، والخلخال .

(٢) السليط : الزيت .

(٣) وتديله : تجعل له الغلبة عليه . خليطه : وهو الزيت لأنه منهما يتكون القنديل .

(٤) مشق الكتابة : مدّ حروفها .

بكَفّ وَدْق، ولثَمتْ بسناهُ قِنديلَه، وألقتْ على أعطافِه مِنْديلَه، فلا حَظَّ منه للعين(١)، ولا هِدايةَ فى الطِّرْس لليدَين .

الكتابة العلمية التأليفية بالأندلس

(١) فصل من كتاب الأخلاق لابن حزم(٢)

(وَاعلم) أنّ مَن قَدَّرَ فى نفسه عُجباً، أو ظنّ لها على سائر الناس فَضلاً، فلينظر الى صبْره عند ما يدهَمُه : مِن همّ أو نكْبة أو وجَع أو دُمّل أو مصيبة؛ فان رأى نفسَه قليلةَ الصبر فليعلمْ أن جميعَ أهل البلاء من المجذومين وغيرهم الصابرين أفضلُ منه على تأخُّر طبقتهم فى التمييز، وإن رأى نفسَه صابرة فليعلم أنه لم يأت بشىء لم يُسبَق فيه على ماذكرنا؛ بل هو إمّا متأخر عنهم فى ذلك، أو مساوٍ لهم لا مَزِيدَ . ثم لينظر الى سيرته وعدله أو جَوْره فيما خُوِّلَهُ : من نعمة أو مال أو خوَلٍ أو أَتباع أو صحة أو جاه؛ فان وجد نفسه مُقصرةً فيما يلزَمهُ من الشكر لواهبه تعالى، و وجَدَها حائفة عن العدل — فليعلم أن أهل العدل والشكر والسيرة الحسنة من المُخَوَّلِين أكثَرَ مما هو فيه أفضلُ منه . فإن رأى نفسه ملترمة للعدل فالعادلُ بعيدٌ عن العُجْب البَتّة

---

(١) فلاحظ منه للعين : أى أن العين لا تثبت فيه، ولا تحقق صورة له، لكثرة تحريك الريح له واضطرابه بها، فالكاتب فى ضوئه لا يهتدى أن يكتب فى القرطاس بيده لتفرقه .

(٢) هو أبو محمد على بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهرى عالم الأندلس فى عصره، وأحد أئمة الإسلام، وصاحب كتاب الملل والنحل وغيره من كثير الكتب . نشأ فى قرطبة فى بيت وزارة ورياسة واشتغل بالعلم ولم يمنعه عن أن يلى الوزارة . توفى سنة ٤٥٦ هـ .

لعلمه بموازين الأشياء ومقادير الأخلاق والتزامه التوسط الذى هو الاعتدال بين الطرفين المذمومين . فإن أُعجِبَ لم يَعدِل بل قد مال الى جَنبَةِ الإفراط المذمومة .

(٢) فصل من شرح المقامات للشريشى [1]

أقرّ الحريرى هٰهنا للبديع بالفضل ، وجعله سباقا للغايات . وما أحسن هذا الأدبَ منه على علمه بفضل مقاماته على مقامات البديع ، ومن أدل دليل على ذلك أنه مذ ظهرت مقامات الحريرى لم تُستعمل مقامات البديع ، ثم إنه طبّق استعمالُها آفاقَ الأرض إلا أنه أسرّ هنا شيئا ؛ لأنه ختم كلامه بأن البديع بالتقدم فضَلَه . وهذا منه مذهبٌ مستحسن . ألا تراه كيف بدأ بتجريد الفضل للبديع وحده ، ثم لم يرلنفسه قدرا ، فى قوله « وان لم يدرك الظالع شأو الضليع » ؛ فجعل نفسه كالفرس الأعرج ، الذى جريُه انما اجتهد دون مشى الصحيح ، وجعل البديعَ كالفرس العتيق الكامل القوة .

ثم لما بلغ الى هذا الموضع بعد أسطار صرح فى الظاهر للسامع ، بأن البديع سبّاقُ غايات ، وصاحب آيات ، وأومأ الى من فطَن أنه إنما فضله بتقدّم الزمان ، ثم خلط الكلام بين المتقدّمين والمتأخرين ، ثم تنامى ذلك الى آخر الكتاب فى السابعة والأربعين ، وصرح هناك بتفضيل المتأخر على المتقدّم ، وتفضيل نفسه على البديع ، حيث يقول :

---

(١) هو أبو العباس أحمد بن عبد المؤمن القيسى الشريشى أحد أئمة الأدب واللغة والنحو من الأندلسيين الذين عاشوا فى خدمة ملوك الغرب من الموحدين . وقد شرح مقامات الحريرى شرحا ضافيا ممتعا .

إن يكنِ الإسكندرىُّ قبلى فالطَّلُّ قد يبدو أمامَ الوَبْل
والفَضـــلُ للوابل لا للطـــلِّ

ولو كان غيره من العلماء المنسوبين الى سوء الأدب ورأى فضل مقاماته لذم البديع ونقص كتابه؛ فكان ينعكس الذم عليه، وكذا رأينا فى الغالب من ادَّعى لنفسه فضلا وازدرى غيره أنه قلما يكون إلا ممقوتا. فلما أظهر الحريرى مدح البديع، ووفاه قسطه من التفضيل والترفيع، ولم ينظر نفسه إلا بطَرْف خفىّ قل من يتفطن له؛ ستر الله عليه، ورفع صيته، ووضع لكتابه القَبول عند الخاصة والعامة.

فشَرَّقَ حتى لم يجد ذكرَ مغرِب وغَرَّبَ حتى لم يجد ذكرَ مَشرِق

فلا يذم كتابه إلا أحد الرجلين اللذين ذكرهما: إما جاهل، أو حاسد. ومذهب الناس فى تفضيل الحديث على القديم، وأكثرهم على تفضيل القديم.

عصر المماليك والعثمانيين

(ا) الشعر

(١) قال شمس الدين محمود الكوفى يذكر خراب بغداد وقتل التتار للخليفة المستعصم بالله

عِندِى لأجلِ فِراقِكم آلامُ ... فإلامَ أُعْذَلُ فيكمُ وألامُ
مَنْ كان مثلى للحبيبِ مُفارقًا ... لا تعذلوه؛ فالكَلامُ كِلامُ (١)
نِعمَ المساعدُ دَمْعِىَ الجارى على ... خَدِّىَ إلّا أنّه نَمّامُ (٢)
ويُذيبُ رُوحى نَوْحُ كلِّ حَمامةٍ ... فكأنما نوحُ الحَمامِ حِمامَ (٣)
إن كنتَ مِثْلى للأحبةِ فاقدًا ... أو فى فؤادِك لَوْعةٌ وغَرامُ
قِفْ فى ديارِ الظاعنينَ ونادِها ... «يا دارُ ما صَنَعتْ بِكِ الأيامُ»
أَعرضْتُ عنكِ؛لأنهم مذ أعرضوا ... (لم يبقَ فِيّ بشاشةٌ تُستامُ) (٤)
يا دارُ أين الساكنونَ؟ وأين ذيّـ ... ـالِكَ البهاءُ وذلكِ الإعظامُ

---

(١) الكلام بالكسر جمع كلم بالفتح وهو الجرح .

(٢) نمام : دال على ما أكنه من الوجد والحزن .

(٣) الحمام : بالكسر الموت .

(٤) تستام : تقوم و يغالى بها .

يا دارُ أينَ زمانُ رَبعُك مُونِقٌ وشِعَارُكِ الإجلالُ والإكرامُ
يا دارُ مذ أفَلَتْ نجومُك عَمَّنا والله من بعدِ الضياءِ ظَلامُ (١)

(٢) وقال بدر الدين يوسف الذهبي (٢)

هَلُمَّ يا صَاحِ إلى رَوْضَةٍ يَجْلُو بها العانِي صَدَا هَمِّهِ (٣)
نسيمُها يعثُرُ فى ذَيْلِهِ وزَهْرُها يضحَكُ فى كُمِّه (٤)

وقال :

باكِرْهُ إلى الروْضةِ تَسْتَجْلِها فثغرُها فى الصُّبحِ بَسَّامُ (٥)
والنَّرجِسُ الغَضُّ اعتراه الحَيَا فَغَضَّ طَرْفًا فيه أسقامُ (٦)
وبُلْبُلُ الدَّوْحِ فصيحٌ على الْـ أَيْكَةِ والشُّحْرُورُ تَمْتَامُ
ونَسْمَةُ الريحِ على ضَعْفِها لها بِنا مَرٌّ وإلْمامُ
واكْتُمْ أحاديثَ الهوى بيْننا فَفِي خِلالِ الرَّوْضِ نَمَّامُ (٧)

---

(١) أفلت : غابت .

(٢) كان من شعراء المماليك المشهورين بالشام . سهل الشعر عذبه مولع بالبديع ، مات سنة ٦٨٠ هـ .

(٣) العانى : المهموم .

(٤) يعثر النسيم فى ذيله : تصوير لمس النسيم العليل وجه المروج وتحريكه الأزهار فكأنه يتعثر فيها فيضحك منه الزهر وهو فى كمه : أى غلافه ، وفيه تورية لطيفة .

(٥) استجلى الشىء : استكشفه . والعروس : رآها مجلوة .

(٦) الحيا : المطر . أسقام : فتور وانكسار .

(٧) النمام : الواشى ، ونبت عطرى كالريحان ينتشر أريجه بقوة .

وقال :

الرَّوْضُ أحْسَنُ ما رَأَيْـ ـتُ إذا تكاثَرتِ الهموم
تَحْنُـو علىَّ غُصُــونُه ويرقُّ لى فيــه النسيمُ

وقال :

البَرْدُ قد وَلَّى فما لكَ راقِدًا ؟ يأيُّهـا المُــدَّثِّرُ المُــزَّمِّلُ
أَوَ ما ترى وجْهَ الربيعِ وحسنَهُ والروضُ يضحكُ والحَيَا يتهَلَّلُ

وقال :

شـوْقى إليك على البِعادِ تقاصرتْ عنـه خُطاىَ ، وقَصَّرتْ أَقْلامى
واعتلّتِ النَّسَماتُ فيمَـا بيْننَا ممـا أُحَمِّلُهـا إليكَ سَــلامى

(٣) وقال الشاب الظريف من قصيدة (١)

أَبَتْ رِقّتى إلَّا الذى يقتضِى الهـوَى وعَزْمِىَ إلّا ما اقتَضَى الرأْىُ والعقلُ
فوا عجبًا أنّى خَفيتُ ، ولم أبِنْ وقـد راحَ مملوءًا بِىَ الحَزْنُ والسَّهْلُ
طريدٌ ولى مأْوًى ، مُباحٌ ولى حِمًى ، وحيدٌ ولى صَحْبٌ ، غريبٌ ولى أهلُ
سأَجهَـدُ : إمَّا للمنـايا ، أو المُـنَى قُصاراىَ : إمّا النَّصرُ ، أو ماجنَى النَّصْلُ (٢)
فإن لم تَصِلْنِى هِمّتى بمَطالبى ولم يَنْتَسِـجْ للشَّيْبِ فى لِمَّتِى غزْلُ
فلا نَظرَتْ عَيْنى ، ولا فاهَ مِقْـوَلِى ولا بَطَشَتْ كَفِّى ، ولا سعتِ الرِّجْلُ

---

(١) هو محمـد بن سليمان التلمسانى المولود بمصر سنة ٦٦١ هـ ، والمتوفى سنة ٦٩٥ هـ وهو شاب ويمتاز شعره بالرقة وجمال الصياغة .

(٢) قصاراى : أى غايتى و بين النصر والنصل جناس غير تام .

ومَنْ عرَف الأمرَ الذى أنا عارفٌ رأى كُلَّ صَعْب كُلَّ إدرا كِهِ سَهلُ
خُذِ العِــزَّ من أىِّ الوُجُوهِ رأيتَــهُ فلا خَــيْرَ فى عَيْشٍ يكونُ به الذُّلُّ
ولِلْمَرْءِ من داعِى الطبيعةِ قائدٌ إذا لم يذُدْهُ دونَه الحِلْمُ والنُّبْلُ
من التُّرْب هذا الطبعُ، والنفسُ من عُلاً فللمــرءِ أنْ يَدْنو، وللمرء أنْ يَعْلُو

وقال :

يا ساكنًا قلبيَ المُعَــنَّى وليس فيــهِ سِــواكَ ثَانى
لأىِّ مَعْــنًى كسرْتَ قلبى وما ٱلْتقَى فيــه ساكنان (١)

وقال :

ولقــد أتيتُ الى جنابكَ قاضيًا باللَّــثْمِ للعَتَبَــاتِ بعضَ الواجب
وأتيتُ أقصِــدُ زَوْرةً أحيا بهــا فرُدِدتُ ـ ياعَينِي ـ هناكَ بحَاجب (٢)

وقال :

بَدَا وجهُهُ من فــوْق أسْمَرِ قَــدِّهِ وقد لاح من سُودِ الذَّوائبِ فى جُنْحِ
فقلتُ : عجيبٌ! كيفَ لم يَذْهَبِ الدُّجَى وقد طلعتْ شَمْسُ النهــارِ على رُمْحِ؟ (٣)

وقال :

يا باعِثًا شَــعْرَهُ ٱنتشارًا بقــامَــةٍ ما لهَــا نظــيرُ
الموتُ من ناظِرَيْك، لكنْ مِن شَــعْرِكَ البَعْثُ والنُّشورُ (٤)

---

(١) فى قوله كسرت قلبى تورية والمقصود : إيذاء القلب بالهجر و يورى بذلك بالكسرة المعروفة للتخلص من التقاء الساكنين، وكذلك فى قوله ساكنان : يريد محبوبين .

(٢) كذلك التورية هنا فى كلمة حاجب .

(٣) يقصد بالدجى : الشعر الأسود الدوائب، وشمس النهار الوجه . والرمح : القد .

(٤) البعث والنشور فى الأصل يكونان فى الآخرة، ولكنه ردهما هنا الى ماذكره فى أول البيتين حيث قال : يا باعثا شعره انتشارا .

(٤) وكتب صفى الدين الحلي[١] الى عشيرته بالحلة

بلّغِي الأَحبابَ يا رِيـ ـحَ الصَّبا عنّى السَّلاماَ

وإذا خاطَبــكِ الحَـا هلُ بى ، قُولى سَلاما

أَناَ من لم يذمِمِ النّا سُ لــه يــوْمًا ذِماما [٢]

يحْفَـظُ العَهــدَ ولا يَسْـ ـمعُ فى الخِـلِّ المَـلاما

مِن أُناسٍ صَيرُوا العِرْ ضَ على الذّمِّ حَـراما [٣]

أَيْتَمُوا الأَطفالَ فى الحَرْ ب، وهُم كَهفُ اليتامىٰ

وإذا مَرُّوا بِلَغـو فى الورَى مَرُّوا كِراما

فلَكَم ذُقتُ عَـذاباً للهـوى كانَ غراما [٤]

إنّ نارَ الشـوْق ساءَتْ مُسْتَقَرًّا ومُقـاما

وقال يحرض الأمير نورالدين على ملتقى المغول وحربهم عند ما أغاروا على ماردين:

أَمِنْ حَجَرٍ فـؤادُك أَم حديدُ فَفيه على الوغَى بأسٌ شـديدُ [٥]

وأَطـوادٌ حُلومُكَ أم جِبـالٌ تَميـد الراسـاتُ ، ولا تَميـدُ [٦]

---

(١) يعته صفى الدين من متقدمى عصر المماليك وكان شاعر الدولة الأرتقية فى ماردين وقد زار القاهرة ومدح السلطان الناصر، وتوفى ببغداد سنة ٧٥٠ هـ .

(٢) الذمام : الحرمة .

(٣) العرض : موضع المدح والذم من الناس .

(٤) غراما : لزاما ، يشير الى قول الله تعالى فى وصف جهنم : " إن عذابها كان غراما " .

(٥) الوغى : الحرب .

(٦) الطود : الجبل ، حلوم مفرده حلم بالكسر وهو الأناة والعقل . تميد الراسيات : تضطرب الجبال الشامخة الثابتة .

لأنكَ كلّما حاولْتَ أمرًا يُصَوِّبُ فِعْلَكَ الرأىُ السديدُ
طلَعْتَ على العُداة، وأنتَ شمسٌ فذابَ بحرِّ موقِعِها الجليدُ
أَغَرْتَ على حِماهُم غيرَ عادٍ ولاقَوْا منكَ ما لاقتْ ثمودُ (١)
بجيشٍ ترجُفُ الرَّاياتُ فيه وتخفِق دونَ مقْدَمِهِ البُنودُ
وتهتزُّ الذوابلُ فيه عُجْبا كما اهتزَّتْ من المَرَحِ القُدودُ (٢)
عَجِلْتَ الى قراعِهِم بعزمٍ به يَدْنو لك الأمَدُ البعيدُ
وكم وانٍ يَعُدُّ العجزَ حِلْمًا فيندَمُ، والنَّدامَةُ لا تُفيدُ (٣)
ومَنْ يرَ ما يُريدُ وكَفَّ جُبْنًا رأى مِنْ بَعْدِه ما لا يُريدُ

وقال فى فرسٍ أدهمَ مُحجَّلٍ :

ولقَدْ أروحُ الى القنيصِ وأغتَدى فى مَتْنِ أدهَمَ كالظَّلامِ مُحَجَّلِ
رامَ الصباحُ من الدُّجى استنقاذَهُ حَسَدًا، فلم يَظْفَرْ بِغَيْرِ الأَرْجُلِ (٤)
فكأنَّهُ صِبْغُ الشَّبيبَةِ هابَهُ وخْطُ المَشيبِ، فجاءَهُ من أسْفَلِ

---

(١) عاد : معتد ظالم ؛ وفى الكلمة إشارة الى (عاد) المذكورين فى القرآن الكريم وهم قوم هود الذين أهلكوا لما عصوه . وثمود قوم سيدنا صالح الذين عصوه فأخذتهم الصيحة فأصبحوا فى ديارهم جاثمين .

(٢) الذوابل : الرماح الرقيقة اللاصقة بالجلد . المرح : شدّة الفرح مع الاعجاب بالنفس .

(٣) وان : ضعيف ، حلما : أناة وعقلا .

(٤) رام الصباح من الدجى استنقاذه : أى طلب الصباح أن ينقذه من الظلام فلم يفز بغير الأرجل . وتفسير ذلك أن الفرس أسود الجسم (أدهم) أبيض الأرجل (محجل) فالصباح له تلك الأرجل البيض فى حين أن الليل له سائر الجسد الأسود .

وقال فى وصف عُودِ طَرَب :

وعُـــود به عادَ الســـرورُ لأنّه ... حَوَى اللهوَ قِدمًا وهو رَيّانُ ناعمُ
يُغرّبُ فى تَغْــرِيده فكأنّه ... يُعيــدُ لنـا ما لَقّنَتْــهُ الحمائمُ

وقال من قصيدة للسلطان الملك الأفضل :

عانَــدَهُ فى الحبّ أعــوانُه ... وخانــه فى الوُدّ إخــوانُه
مُتَيّــمٌ ليس له ناصــرٌ ... أوّلُ مَنْ عَادَاهُ سُــلْوانُه (١)
يكتُمُ ما كابَدَه قلبُــه ... ويعْجِــزُ الأعينَ كِتمانُه
ما شانَهُ غـيرُ مقالِ العِــدَا، ... وقد هَمَتْ عينــاه : ما شانُهُ ؟
كَلّفَ إخفــاءَ الهوَى قلبَــهُ ... فعــزّ من ذلك إمكانُهُ
أمانةٌ يُشْفِقُ من حَمْلِهــا ... لِفَــرْطِ ذاك الثّقْــلِ إنسانُهُ
مَنْ لِمُحِبٍّ قلبُــهُ هائمٌ ... يَحِنُّ ، والأحبابُ جِيرانُهُ (٢)
ما شامَ بَرْقَ الشام إلّا هَمَتْ ... بوابِلِ الأدمُــعِ أجْفــانُهُ (٣)
سقَى حِمَى وادِى حَمــاةَ الحَيَــا ... وصَــيّبُ الــوَدْقِ وهَتّــانُه (٤)
وحبّذا العاصِى، ويا حبّــذا ... دَهْشَتُــهُ الغَـرّا ومَيْــدَانُه (٥)
وادٍ اذا مــرّ نســيمٌ بِهِ ... تعطّــرتْ بالمِسْــك أرْدَانُه (٦)

---

(١) المتيم : من عبده الحب وذلله . (٢) هائم : متحير .
(٣) شام البرق : نظر إلى سحابته أين تمطر . الوابل : المطر الشديد .
(٤) الحيا : المطر . الودق : المطر أيضا . صيب : كثير النزول ، وكذلك هتان .
(٥) العاصى : اسم نهر بالشام .
(٦) الأردان مفردها ردن بضم الراء وهو أصل الكم .

تستأسِرُ الأبطالَ آرامُه ... وتقنِصُ الآسادَ غِزلانُه (١)
كَمْ فيه مِن ظَبْي هَضِيم الحَشَى ... إذا انثَنَى يَحْسُدُه بانُه
تشابهتْ عند مُرورِ الصَّبَا ... قُدودُ أهليه وأغْصانُه
كم ليلةٍ قضَّيْتُ فى مَرْجِه ... وقد طَمَتْ بالماء غُدْرانُه (٢)
والأُفْقُ حالٍ بنجوم الدُّجَى ... قد كُلِّلَتْ بالدر تيجانُه (٣)
كأنما الجَوْزَاءُ فيه، وقد ... حَفَّ بها البدرُ وكِيوانُه
بيتُ بنى أيوبَ إذ شُيِّدَتْ ... بالمَلِكِ الناصِرِ أركانُه

(٥) وقال جمال الدين بن نباتة المصرى

يرثى ولدًا له مات صغيرًا (٤)

اللهُ جارُك إنَّ دَمْعِىَ جارِى ... يا مُوحِشَ الأوطانِ والأوْطارِ (٥)
لما سكنْتَ من التراب حديقةً ... فاضتْ عليك العينُ بالأنهارِ
شتَّانَ ما حالى وحالُكَ : أنتَ فى ... غُرَفِ الجنانِ، ومُهْجتى فى النارِ
خَفَّ النَّجا بك يا بُنَىَّ إلى السُّرَى ... فسبقْتَنِى، وثقُلْتُ بالأوْزَارِ (٦)

(١) الآرام : جمع رئم، وهو الظبي الخالص البياض .
(٢) المرج : مرعى الدواب .
(٣) والأفق حال : متزين ومتحل بالنجوم .
(٤) هو جمال الدين أبو بكر، ولد بمصر وتوفى بها سنة ٧٦٨ هـ، و يظهر فى شعره ذوق سليم ورقة ممتازة .
(٥) الأوطار جمع وطر : الحاجة تهتم لها وتعنى بها .
(٦) النجا : مقصور النجاء، وهو السرعة .

ليتَ الردَى إذْ لم يَدَعْكَ أهابَ بي، حتى نَدُومَ معًا على مِضمارِ (١)
ليتَ القضَا الجارِي تمهّلَ وِردُهُ، حتى حَسِبتُ عواقِبَ الإصْدَارِ
ما كنْتَ إلّا مِثْلَ لمحةِ بارقٍ ولّى ، وأغرَى الجفْنَ بالإمطارِ
أبكيكَ ما بكَتِ الحمامُ هَديلَها وأحِنُّ ما حنَّتْ إلى الأوْكارِ (٢)
أبكي بجُمّرِ الدموعِ ؛ وإنما تبْكِي العيونُ نظيرَها بنُضارِ
قالوا : صغيرًا! قلتُ : إنَّ! وربما كانتْ به الحَسَراتُ غيرَ صِغارِ (٣)
وأحقّ بالأحزان ماضٍ لم يُسِئْ بيَدٍ ولا لِسْنٍ ولا إضمارِ (٤)
ناءِى اللّقا ، ومِحاه أقربُ مَطْرَحًا يا بُعْدَ مجتمعٍ وقربَ مزارِ !
لهفِي لغُصنٍ راقني بنبانه لو أمهلتْه التربُ للإثمارِ
لهفي لجوهرةٍ خفَّتْ ؛ فكأنني تجْنُبُها من أدمعي بِحارِ
لهفي لسارٍ حارَ فيه تجلدي واحيرتي بالكوكب السيارِ !
سكن الثّرى ، فكأنه سكن الحَشَى من فرْطِ ما شُغِلَتْ به أفكاري
أَعزِزْ علىّ بأن ضُيِّفُ مسامعي لم يحظَ من ذاك اللسان بقاري ! (٥)
أعزِز علىّ بأن رحلتَ ولم تخُضْ أقدامُ فكرِكَ أبحُرَ الأشعارِ
أَعزِز علىّ بأن نثرتُ على الثّرى وعليك من دمعي كُدُرِّ نِثارِ

(١) أهاب بى : دعانى .
(٢) الهديل هنا : أب الحمام زعموا أنه هلك فى القدم فهى تبكيه .
(٣) إن : أى نعم .
(٤) اللسن : بكسر اللام اللسان .
(٥) قارى : من القرى أو من القراءة .

أُبُنَيَّ! إنْ تُكْسَ الترابَ فإنه غاياتُ أجمعنا ، وليس بعَار
ما فى زمانك ما يَسُرُّ مؤمِّلًا فاذهبْ كما ذهب الخيالُ السارى
لو أنّ أخْبارى لديك توصلتْ لبكيتَ فى الجنّاتِ من أخبارى
أحزانُ مُدَّكِرٍ ، وسَلْوةُ مُفْرَدٍ ، ومُقامُ مَضْيَعَةٍ ، وذُلُّ جِوَارِ
أُبُنَيَّ ، إنّى قد كَنَزْتُك فى الثَّرَى فانفع أباكَ بساعة الإقتار (١)
أُبَنَيَّ ، قد وقفتْ علىّ حوادثٌ فوقفنَ من طَلَلٍ على آثارِ
ومضَى البياضُ من الحياة وطيبِها لكنها أبقَتْه فوق عِذارى (٢)
نَمْ وادِعًا ؛ فلقد تقرَّح ناظرى سهرًا ، ونامتْ أعينُ السُّمّارِ
أرعَى الدُّجَى وكأنّ ذيلَ ظلامِه مُتَشَبِّثٌ بالنَّجْم فى مِسمارِ
خَلَعَ الصباحُ على المَجَرَّةِ سَجْفَه أم قُسِّمَتْ شمسُ النهارِ دَرارى
تبًّا لعادِيَةِ الزمانِ على الفتَى ؛ فلقد حذِرْتُ وما أفاد حِذارى
وحويتُ دينارًا بوجهك فانتحَى صَرْفُ الزمانِ ، فراحَ بدينارِ (٣)

وقال من قصيدة يمدح بها الملك المؤيد :

سَرَى طَيْفُها حيثُ العواذلُ هُجَّعُ فَنَمَّ علينا نَشْرُه المتضوِّعُ
وباتَ يُعاطينى الأحاديثَ فى دُجًى كأنّ الثريا فيه كأسٌ مُرَصَّعُ

---

(١) لعله يريد بساعة الاقتار يوم الحساب ، أى الافتار من الحسنات ، وان طفله سيكون
اليوم ذخرا .

(٢) يشير الى مشيبه والعذار : الشعر المحاذى للاذن .

(٣) يشبه وجه ابنه بالدينار بهجة وصفاء .

أجيرانَنا، حيَّا الربيعُ ديارَكم ... وإنْ لم يكن فيها لِطَرْفِيَ مَرْبَعُ (١)
شكوتُ إلى سَفْحِ النقا طولَ نأيكم ... وسفْحُ النقا بالنأيِ مثلي مُروَّعُ
ولا بدَّ من شكْوى الى ذى مُروءةٍ ... يُواسيك أَوْ يُسليك أو يتوجَّعُ
فَدَيتُ حبيبًا قد خلا عنه ناظرى ... وله يخلُ منه فى فؤادى موضعُ
مقيمٌ بأكناف الغَضى، وهى مُهجتى ... وإلا بوادى المنحنى، وهى أضلعُ (٢)
أطال حجازَ الصدِّ بيني وبينه ... فعلتُ الحَوْرا ودمعى ينبعُ (٣)
لئن عرَضَتْ من دونِ رؤيته الفلا ... فيارُبَّ روضٍ ضمَّنا فيه مجمعُ
محلٌّ ترى فيه مجامعَ لذةٍ ... بها تخطب الأطيارُ والقُضبُ تركعُ
وسِرْنا به نحو الهناء فلابسٌ ... تُجَرُّ وأيدٍ بالمُدامة تُرفَعُ (٤)
وقد أمنتنا دولةٌ شاذويّةٌ ... فما نختشى اللأْواءَ وما نتخشَّعُ (٥)
مدائحُها تمحو الآثامَ، ورِفدُها ... يعوِّضُ من وفرِ الغِنى ما نُضيّعُ
رعى اللهُ أيامَ المؤيّد إنّنا ... وجدْنا بها نَيْلَ المقاصد قد رعوا

(١) المربع : المكان، يقضى فيه فصل الربيع .

(٢) وادى الغضى، ووادى المنحنى : مكانان فى جزيرة العرب . والغضى : شجر اذا اشتعل كان [illegible] نار . يقول : ان حبيبه فى أكناف الغضى وهى مهجتى التى تشتعل اشتعال الغضى أو بوادى المنحنى [illegible] أضلعى ففى البيت شبه استخدام .

(٣) الحورا وينبع : مكانان، وفى البيت مراعاة النظير .

(٤) فى البيت مراعاة النظير .

(٥) [illegible] والأُواء : الشدة .

وقال فى الناصر حسن وقد أمره أن ينسخ له ديوانه :

أحبابَنا دارُكم والعيشُ نَعْمانُ ... والسفحُ دمعي ، ودارُ القلبِ حرّانُ(١)
أشكو اشتياقاً، وما بالوصل من قدمٍ ... كأنَّ وصلي لفرطِ الحبِّ هِجرانُ
وربّما رُمتُ أن أشكو السهاد إلى ... عَذلِ المنام ، وقلتُ : النومُ سُلطانُ
يأيها الناصرُ السلطانُ لا غَمضتْ ... عينٌ لها عن سنى مرآكَ سُلوانُ(٢)
كم فى ملوكِ الورى فضلٌ ومعرفةٌ ... كانوا ، ومثلُكَ فى ذا النحوِ ما كانوا
إن يمضِ كسرى فكم إيوانُ مَعْدَلةٍ ... لديكَ قد زانه يُمْنٌ وإيمانُ
أمَرْتَ شِعْرى يا خيرَ الملوكِ على ... أشعارِ قومٍ؛ فلى أمرٌ وديوانُ

(٦) قال مجير الدين بن تميم

لمّا لبستُ لِبُعده ثوبَ الضّنَى ... وغدوتُ من ثوبِ اصطبارى عاريا(٣)
أجريتُ واقِفَ أدمُعى من بَعْده ... وجعلتُه وقفًا عليه جاريا

وقال فى كتاب :

يا حُسنَها نسخةً يلهو مطالعُها ... بها لِما قد حوتْ مِنْ رائِقِ الحِكَمِ
صحّتْ وقد لطُفتْ أجزاؤها فحكتْ ... لُطفَ النسيمِ وحاشاها من السَّقَمِ(٤)

---

(١) العيش : الحياة . نعمان بالفتح : واد فى طريق الطائف يخرج الى عرفات ، يقال له نعمان الأراك . ونعمان أيضا : صفة مشبهة من الفعل نعم ينعم أى صار ناعما لينا . حرّان : بلد بشمالى الشام .

(٢) السنى : ضوء البرق .

(٣) الضنى : المرض .

(٤) لطفت : رقت . لطف النسيم : رقته . النسيم : الريح الطيبة .

وقال فى سجادة :

أيا حُسْنها سَجَّادةً سُندُسيَّةً يُرَى للتُّقَى والزُّهد فيها تَوَسُّمُ[١]
إذا ما رآها النّاسكون ذَوُو الحِجَا أمامَهم صلُّوا عليها وسَلَّمُوا

وقال :

بعَثَ النسيمُ رسالةً بقُدومه للرَّوْض فهْوَ بقُرْبِه فَرْحانُ
ولِطِيبِ ما قرأ الهَزَارُ بِشَدْوِهِ مضمونَها مالَتْ له الأغصانُ[٢]

وقال فى وكيل بدار القاضى بدمشق :

لا تَقْرَبِ الشرْعَ إذا لم تكنْ تَخْبُرُه فهْوَ دقيقٌ جليلْ[٣]
وَوَكِّلِ العِزَّ الذى وَجْهُهُ على نجاحِ الأمْرِ أقوى دليلْ
ولا تَمِلْ عنه الى غيرِه وحسبُنا اللهُ ونِعْمَ الوكيلْ

وقال :

أرْضٌ كساها القَطْرُ حُلَّةَ سُندُسٍ رُقِمَتْ، لها طُرَرٌ من الغُدْرَانِ[٤]
وَفْدُ النسيم أضاعَ نَشْرَ رياضِها فالوُرْقُ تَنْشُده بكلِّ مكانِ

---

(١) توسم : تخيل وتفرس ، أى من يرها يتخيل فيها التقى ·

(٢) الهزار بفتح الهاء : طائر حسن التغريد ·

(٣) تخبره : تعلمه · دقيق : أمر غامض ·

(٤) القطر : المطر · والمعنى أن المطر كسا الأرض حلة خضراء من النبات رسمت لهذه الحلة طررا أى جوانب من الغدران ، أى المياه التى غادرها المطر ·

وكتب مجير الدين الى كمال الدين بن النجار وكيل بيت المال بدمشق :

كمالَ الدين يا مولاىَ يا مَنْ يعزُّ البحرَ فى بَذْلِ النوالِ
أتيتُ لحاجة، فاغْنَمْ ثنائى عليك بها وشُكْرِى وٱبتهالى
ولا تجعلْ سواكَ لها، فإنّى عليكَ بِنُجْحها وقعَ ٱتكالى
أيَجْمُل أن يقول الناسُ : إنّى أتيتُ لحاجةٍ لم تقضها لى
وأُصْبِحُ بينهم مثلًا لأنى أتانى النقصُ من جهةِ الكمالِ

وقال :

لمّا جَسَسْتُك بالمديح ولم أكُنْ أدرى بأنك خاملٌ فى الناسِ
ناديتُ لمّا أن جَسَسْتُك بالهجا: أكليبُ خُذْها منْ يَدَىْ جسّاسِ (١)

وقال :

مُذْ لاحظَ المنثورُ طَرْفَ النَّرْجِسِ الْـ ـمزْوَرَّ قال ، وقولُه لا يُدْفَعُ:
فَتِّحْ عيونك فى سِوَاىَ ، فإنّنى عندى قُبالةَ كلِّ عينٍ إصْبَعُ (٢)

وقال :

أيا حُسْنَها من روضة ضاعَ نَشْرُها فنادتْ عليه فى الرياض طيورُ (٣)
ودُولابُها كانت تُعَدّ ضلوعُه لكثرة ما يَبْكى لها ويدورُ

(١) الجس بالشىء : المس به ، كليب : لقب وائل سيد تغلب ، وهو تصغير كلب ، جساس بن مرة : سيد بكر وقاتل كليب ، وهو أيضا صيغة مبالغة من جس ففى كل من كليب وجساس تورية .

(٢) المنثور : المتفرق وهو وصف لنوع من الزهر . طرف النرجس : عينه . المزور : المنحرف. لا يدفع : لا يرد . قبالة الشىء : تجاهه .

(٣) ضاع نشرها : يعنى انتشرت رائحتها الطيبة . الدولاب : آلة للسقى تديرها الدابة .

وقال :

لِمَ لا أَمِيل إلى الرِّياض وحُسْنها   وأَعيشُ منها تحت ظِلّ ضَافي (١)
والزَّهْرُ يلْقانِي بثَغْرٍ باسمٍ   والماءُ يَلقانى بقلْبٍ صافى

وقال :

أَلَا رُبَّ ماءٍ قد تقضّى ببِرْكةٍ   أقمتُ بها فيمَا جَرى مُتَفكِّرا
بعيْنِي رأيتُ الماءَ فيها ، وقدْهوى   على رأسه من شاهقٍ فتكسَّرا (٢)

وقال :

تأمَّلْ إلى الدُّولاب والنَّهرِ إذْ جرى   ودَمْعُهما بين الرياض غَزيرُ
كأنّ نسيمَ الرَّوض قدضاعَ منهما ،   فأصبح ذا يَجْرى وذاكَ يدُور (٣)

(٧) قال الأمير محمد بن منجك متغزلًا

تناهَى عندَهُ الأَملُ   وقصَّرَ دونه العَذَلُ (٤)
رشًا يَفْتَرُّ عن بَرَدٍ   تكادُ تُذيبُه القُبَلُ (٥)
يُخَامِر عِطْفَهُ ثَمَلٌ   يَميلُ بهِ ويَعْتَدِلُ (٦)

---

(١) الظل الضافى : المتسع .
(٢) هوى على رأسه : سقط . الشاهق : الجبل المرتفع .
(٣) الدولاب : آلة كالناعورة يستق به الماء . ضاع منهما : أى فقد ، فهما ينشدانه .
(٤) تناهى : انتهى . والعذل : اللوم والعتاب .
(٥) رشا : أصله رشأ فسهلت همزته وهو الظبى اذا قوى ومشى مع أمه . يفتر : يضحك ضحكا حسنا :
البرد : حب الغمام يشبه به الأسنان . القبل : جمع قبلة .
(٦) يخامر : يخالط . والعطف : الجانب ، والثمل : السكر .

يُمَثِّلُ ما يُروقُ لنا ... بِصَفْحةِ خَدِّه الخَجَلُ
فليتَ به كما اتصلَتْ ... حَشَاى الطَّرْفَ يتصلُ
إذا مَا الخِدْرُ أبرزَهُ ... تَنَاهَبَ حُسْنَهُ المُقَلُ
لقَدْ أغراهُ فى تَلَفِى ... شبابٌ ناضِرٌ خَضِلُ
وقَدٌّ حَشْوُه هَيَفٌ ... وطَرْفٌ مِلؤُه كَحَلُ (١)

(٨) قال ابراهيم بن المبلّط من قصيدة طويلة

حَدَّثَتْ بَانَةُ الحِمَى عن صَبَاهَا ... عن ثَنِيَّاتِ مَكَّةٍ عَنْ صَفَاهَا : (٢)
أَنَّ عَصْرَ اللِّقَاءِ آنَ ووَافَى ، ... وزَمَانَ النوَى انْقَضَى وتَنَاهَى (٣)
ونَسِيمُ الصَّبَا يُؤَدِّى الأَمَانَا ... تِ إلَى أهْلِهَا كما قَدْ رَوَاهَا
كمْ نسيمٍ سَرَى فَسَرَّ قُلُوبًا ... شَفَّهَا البُعْدُ والنَّوَى فَشَفَاهَا (٤)
تَعرِفُ العاشِقِينَ منها نَسِيمَا ... تُ ، وَهُمْ يَعرِفُونَهَا بِشَذَاها (٥)
إِنَّ أَيْدِى الفِرَاقِ جَارَتْ علَيْنَا ... فى قَضَاءٍ فَحَسْبُها وكَفَاها
آه وَاوَحْشَتِى لأَحْشَاءِ قَلْبِى ... وَقَلِيلٌ قَوْلِى على البُعْدِ : آهَا

---

(١) القد : القامة . الهيف : ضمر البطن والخصر .

(٢) البانة : واحدة البان شجر معروف . الحمى : مايحمى ويحفظ من كل شىء ، الصبا : ريح . ثنيات مكة : جبالها . وانصفا : من مشاعر مكة فى جنوب المسعى .

(٣) آن : حان وقرب . وافى : أتى . تناهى : انتهى .

(٤) شفها البعد : هزلها .

(٥) الشذا : قوة ذكاء الرائحة .

(٩) قال نور الدين العسيلي يصف دولابا

وَدُولَابٍ مَرَرْتُ بِهِ سُحَيْرًا ... يَئِنُّ كَأَنَّهُ الصَّبُّ المَرُوعِ (١)
غَدَتْ أَضْلَاعُهُ تَنْعَدُّ سُقْمًا ... وَيُفْنِي جِسْمَهُ صَبُّ الدُّمُوعِ (٢)
يَدُورُ كَمَنْ أَضَلَّ الإِلْفَ مِنْهُ ... وَذَاقَ تَشَتُّتَ الشَّمْلِ الجَمِيعِ (٣)
فَقُلْتُ لَهُ : فَدَيْتُكَ مِنْ كَئِيبٍ ... كَسَاهُ الهَمُّ أَثْوَابَ الخُشُوعِ
عَلَامَ أَرَاكَ تَبْكِي كُلَّ وَقْتٍ ... وَتَهْتِفُ فِي المَنَازِلِ وَالرُّبُوعِ؟ (٤)
فَقَدْ قَرَّبْتَ لِي حُزْنًا بَعِيدًا ... وَنَحَّانِي نُوَاحُكَ عَنْ هُجُوعِي (٥)
فَقَالَ : أَمَا عَلِمْتَ بِأَنَّ مِثْلِي ... خَلِيقٌ بِالصَّبَابَةِ وَالوُلُوعِ (٦)
فَإِنِّي كُنْتُ فِي رَوْضٍ رَفِيعًا ... أَبِيتُ مِنَ الأَزَاهِرِ فِي جُمُوعِ
وَلِي فِي المُنْتَمَى أَعْرَاقُ صِدْقٍ ... أُصُولُ أَنْجَبَتْ أَزْكَى فُرُوعِ
إِذَا مَا الوَرْدُ قَابَلَنِي وَحَيَّا ... تَضَرَّجُ وَجْنَتَاهُ بِالنَّجِيعِ (٧)
وَيَصْفَرُّ البَهَارُ لَدَيَّ خَوْفًا ... كَصُفْرَةِ عَاشِقٍ صَبٍّ مَرُوعِ (٨)

(١) الدولاب : آلة كالناعورة يستق به الماء
(٢) صب الدموع : انسكابها .
(٣) أضل الالف : أضاعه ، تشتت الشمل الجميع : تفرق ما اجتمع من أمره .
(٤) تهتف : تصيح . والربوع : جمع ربع وهو الدار .
(٥) نحانى : أبعدنى . الهجوع : النوم ليلا .
(٦) الصبابة : رقة الشوق وحرارته .
(٧) النجيع : الدم الضارب الى السواد .
(٨) البهار : نبات أصفر طيب الرائحة .

وإنْ قصَدَتْ بنُو الآدابِ رَبْعِي أجُودُ مِن النَّثارِ على الجميع (١)
فقَيَّضَنِي الشَّقاءُ إلى غَبِيٍّ شديدِ البطشِ جَبَّارٍ قَطُوعِ (٢)
فألقانى على رأسِى صَرِيعًا وأنتَ مشاهِدٌ حالَ الصَّرِيعِ
وقَطَّع لُطفَ أوْصالى بعُنفٍ وصار يَدُقُّ عَظْمى فى ضُلوعى (٣)
فصِرت أرَى الَّذِى قدْ كانَ دُونِى أناف ، وصار ذا شأوٍ رفيع (٤)
عَلَى قلْبِي أدُورُ عنًا وأبْكِي عليْهِ أسًى كَمِقلاتٍ هَلُوعِ (٥)
فكيْفَ أُلامُ؟ إنْ أدْمَنْتُ نَوْحِي وَجُدْتُ بمَدْمَعِ الطَّرْفِ الهَمُوعِ (٦)
وحالِى ناصِحٌ أبْناءَ جِنْسِى ، فَلا تَعْتَدَّ بالجِذْعِ المَنِيعِ
فإنَّ الدَّهْرَ كالصَّيَّادِ كَيْدًا وأسْبابُ القضا شَرَكُ الوُقُوعِ (٧)

(١٠) وقال الأستاذ الإمام أبو المواهب البكرى

يا يَوْمَ بُولاقَ وأُنْسِى بهِ حَكاكَ منْ شوّالَ يَوْمُ الهِلالْ
وأقبَلَ النيلُ جَنُوبًا ، وما منْ عارِضٍ إلّا نسيمُ الشَّمالْ (٨)

---

(١) ربعى : دارى . النثار : المنثور .

(٢) فقيضنى : لحانى .

(٣) لطف أوصالى : دقة مفاصلى .

(٤) أناف : ارتفع . الشأو : من معانيه السبق ، وهو المراد هنا .

(٥) المقلات : ناقة تلد واحدا ثم لا تحمل بعده . وامرأة لا يعيش لها ولد . الهلوع : كثيرة الجزع .

(٦) أدمنت نوحى : أدمته . الطرف الهموع : العين الكثيرة سيل الدموع .

(٧) الشرك : حبالة الصائد الواحد شركة بفتح الراء .

(٨) عارض : مانع يمنع من المضى .

يا عَارِضًا أوْجبَ للنيـل مَا سَلْسَلَهُ ، وهْوَ طليقُ المجَالْ (١)
وقهْـوَة تنْضحُ مِسْكًا ، وَلا بِدْعَ ؛ فَفِي الفِنْجانِ شكْلُ الغزَالْ (٢)
حَبَابُهـا مِنْ فوقِها مانعٌ نِفَارَه ؛ فَهْـو شِبَاكُ اللآلْ (٣)
تُدِيرُهَا هيْـفاءُ مَمْشُـوقةٌ خَـوْدٌ تَثنَّتْ في بُرُودِ الدَّلالْ (٤)
كادَ مُحَيَّا مَنْ أقبلَتْ نحوَهُ يَذْهَبُ مِنْ رَنَّاتِ تِلك الجَالْ (٥)
بِغُـرَّةٍ أوْ طُـرَّةٍ وَزَّعتْ أفكارَنَا بينَ الهُدَى والضَّلالْ (٦)
تَقولُ للشمسِ، وقدْ أقبلتْ: تَلَثَّمِي ما أنْتِ إلَّا خَيَـالْ

وقال :

مَا أَرْسَـلَ الرَّحمنُ أوْ يُرسِـلُ مِنْ رَحْمَـةٍ تَصْـعَدُ أوْ تَنْزِلُ
فِي مَلَكُوتِ اللهِ أوْ مُلْكِـهِ مِنْ كلِّ ما يَختصُّ أوْ يَشْمَلُ
إلَّا وطَـهَ المصْـطفَى عَبْـدُهُ نَبِيُّـه مُخْتـارُه المُرْسَـلُ
وَاسِطَةٌ فِيها وأصْـلٌ لَهـا يَعلَمُ هَـذا كُلُّ مَنْ يَعقِلُ (٧)
فَـلُذْ بِهِ فِي كلِّ ما تَرْتَجِي فَهْوَ شَـفِيعٌ دائمـا يُقبَـلُ

(١) سلسله : أجراه فى حدود، طليق المجال : غير مقيد فى جولانه وسيره .
(٢) القهوة : من أسماء الخمر، لا بدع : معناه لا عجب .
(٣) الحباب : نفاخات الماء التى تعلوه .
(٤) الهيفاء : ضامرة البطن رقيقة الخصر ، ممشوقة : حسنة القوام ، الخود : الحسنة الخلق الشابة ، تثنت : تمايلت ، البرود : الثياب ، الدلال : هو جرأة المرأة فى تكسر كأنها مخالفة وليس بها خلاف .
(٥) الجال : الخلاخيل .
(٦) الغرة : بياض فى جبهة الفرس فوق الدرهم والمراد بها بياض وجه الهيفاء ، والطرة : الناصية .
(٧) واسطة فيها : يريد وسيلة فى إنزالها ، والواسطة أصلها أعظم حبات العقد وتوجد فى وسطه .

وعُــذْ بِهِ فى كل ما تختشِى ... فإنهُ المرْجِــعُ والمؤئِــلُ
وَحُطَّ أحمـالَ الرَّجا عِنــدهُ ... فإنهُ المأمــلُ والمَعْقِــلُ
ونَادِهِ إنْ أزمَــةٌ أَنْشبَتْ ... أظفارَها واستحكمَ المُعْضِــلُ
يا أكرمَ الخَــلْقِ على رَبِّهِ ... وخيرَ مَنْ فيهِــمْ بهِ يُسـأَلُ
قد مسَّــنِي الــكَرْبُ وكم مَرةٍ ... فَرَّجْتَ كرْبًا بعضُــهُ يُذْهِلُ
ولنْ تَرَى أعجزَ مِنِّي فَمـا ... لشِــدَّةٍ أقوَى ولا أحمِــلُ

(١١) قال الشيخ عبد الله الشبراوى المتوفى سنة ١١٧٢ هـ

في السيد عبد القادر نقيب الأشراف الذى حضر من البلاد الروميه، وبعد أن بات ليلةً وجد مذبوحًا

أيها القومُ وَيْحَكُمْ ! قد هَدَمْتُمْ ... بُنْيَــةَ اللهِ ، واتَّهمتُمْ عِبـادَهْ(١)
وذَبَحْتُمْ هــذا المهــذَّبَ غَدْرًا ... وقَطَعْــتُمْ بِغِلْظَــهِ أوْرادَه(٢)
ثم نُحتُم عليه زُورًا : ولكنْ ... ذاكَ أمرٌ قَضَى الإلٰه نَفَادَه(٣)
أيها النائحون مَهـلًا ! فَمَنْ ذا ... نالَ من دهرِه الخَئُونِ مُرادَه ؟
لا تُطِيلوا على النقيبِ نحيبًا ... فهو بالذَّبْحِ نال أعلَى سَعادَه
كم نبيٍّ وصالحٍ ووَلِيٍّ ... ماتَ قتلًا، ونال أجْرَ الشهادَه

---

(١) بنية الله : ما بناه الله .

(٢) الغدر : ترك الوفاء . الوريدان : عرقان فى العنق جمعها أوردة وورود لا أوراد كما جمع الشاعر

(٣) نفاده : فناءه، وهو يريد قضاءه .

هــذه سُــنّةُ الأماجدِ قِدمًا … كحُسَيْنٍ وسـعْدِ بْنِ عُبادَه

حازَهذا الشريفُ لُطفًا من اللـ … ـهِ وساوَى فى حَوْزِها أَجْدادَه

لوُفورِ الأُجُورِ والرتبـةِ العلْـ … ـيا وحُسْنَى من ربّـِا وزِيادَه

يا خليلِى لا تأسفنّ وأرخْ … قــدَّرَ الله قتـــلَهُ وأراده

٣٠٤ ٦٦ ٥٢٥ ٢١٨ = ١١٢٣

* * *

وقال فى بعض أسفاره متشوقًا الى مصر :

أعــدْ ذِكْرَ مصرٍ، إنَّ قَلْبِى مُولَعٌ … بمصرَ،ومَنْ لى أَنْ تَرَى مُقْلَتِى مِصرا؟[1]

وكرّر على سمْعِى أحاديثَ نِيلهـا، … فقــد ردَّتِ الأمواجُ سائلَه نَهرَا

بلادٌ بهـا مدَّ الســـماحُ جَنَاحَهُ … وأَظْهَرَ فيهـا المجدُ آيتَه الكُبْرَى

رُوَيْدًا إذا حدّثْتَنِى عن رُبُوعِها، … فتطويلُ أخبارِ الهوَى لذةٌ أُخْرَى

إذا صاحَ شُحْرورٌ على غُصنِ بانَةٍ … تذكّرتُ فيها اللحظ والصَّعْدَةَ السَّمْرَا[2]

عَسَى نحوَها يَلوِى الزمانُ مَطيَّتِى … وأشهدُ بعد الكسر من نيلها جبرا

لقــد كان لى فيهـا مَعَاهِـدُ لذةٍ … تَقَضَّتْ وأبقَتْ بعدَها أَنْفُسًا حَسْرَى

* * *

وقال من قصيدة يتشوّق فيها الى مصر :

أَحِنُّ إلى تلك المعاهِدِ كلّمـا … يُجَــدِّدُ لى مَرُّ النسيم بهـا ذِكْرا[3]

---

(١) مولع : مغرم . المقلة : شحمة العين التى تجمع سوادها وبياضها .

(٢) الشحرور : طائر . الصعدة : القناة المستوية يشبه بها قد الفتاة .

(٣) مرّ النسيم : مروره .

أَمَا والقُدُودِ المائساتِ بسَفْحِها ... وألحاظِ غاداتٍ قد امتلأَتْ سِحرا (١)
وما فى رُباها من قَوامٍ مُهفْهَفٍ ... علَا وغَلَا عن أَن يُباعَ وأَن يُشْرَى (٢)
لئن عادَ لى هـذا السرورُ بأَرْضها ... وقرَّتْ بِمَنْ أهواهُ مُقْلَتِىَ العَبْرَى
لأعتنقَنَّ اللهْوَ فى عَرَصاتِها ... وأَسجُدُ فى مِحْرابِ لذَّتِها شُكْرا (٣)
رعَى اللهُ مَرْعاها ، وحَيَّا رِياضَها ... وصَبَّ على أرجائِها المُزْنَ والقَطْرا (٤)

(ب) النـــثر

(١) قال الشيخ صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدىّ (٥)

يصف بستانا

فوصلْنا الى بستانٍ قد أخذ زُخرفَه وتزين ، وفاضتْ عيونه غيرةً من نازليه وتلوّن ، تنساب جداولُ جوانبه كالأراقم ، ويصفِّق النهر لرقص الغصون على غِناء الحمائم ، ويهُبّ النسيم فينقِّطُها من الزهر بدنانيرَ ودراهم ، قد تطاولَ فيه من البان كلُّ قدٍّ مخطوف ، وخجِل فيه من الوَرْد كلُّ خدٍّ موصوف ، فأجلسنا النَّرْجِس على

(١) المائسات : المتبخترات . الغادة : المرأة الناعمة اللينة البينة الغيد .

(٢) قوام مهفهف : ضامر البطن دقيق الخصر .

(٣) العرصة : كل بقعة بين الدور واسعة ليس فيها بناء .

(٤) المزن : السحب والمطر . والمراد هنا المطر .

(٥) ولد بصفد سنة ٦٩٦ هـ . وتلقى العلم بدمشق عن ابن نباته وعن أبي حيان اللغوى وغيرهما وتولى ديوان الإنشاء بصفد والقاهرة وحلب وهو كاتب شاعر مؤرخ . وتوفى فى سنة ٧٦٤ هـ .

عينيـه وأحداقه، وظلّلنا الغُصنُ بستائر أوْراقه، وحيّـا منثورُه الأبيضُ والأزرقُ بالأصابع، وفتح كفوفَه الصُّفرَ وهو بنّا غَيْرانُ فاقع، وجرَى النّهْرُ بين أيدينا متواضِعًا بسجوده، وشبّ الشّحْرور بمِفاره لمّا تغنّى الهَزار على عُوده، قد رقّ نسيمه وراق، وجذب الحمائم الى الغِناء بالأطواق :

أظنّ نسيمَ الرّوض لِلزّهْر قد رَوَى حديثًا فطابتْ من شذاه المسالكُ
وقال : دنا فصلُ الربيـع ؛ فكلّهُ ثُغُـورٌ لِمـا قال النسيمُ ضواحكُ

قد شابَ ذلك الزهْرُ قبـل شَبابه، وغنّاه الطـيْرُ فتساقطَ من طَرَبه وإعجابه، ومرّ عليه النسيمُ بذَيْله البَليل، فشبّ حتى عجِبنا من حصول الشفاء من العليل . فيالها روْضــةً صدحتْ أطيارُها فأطربتْ آلأشجـار ، وألبستْنا ثوبَ الخلاعة عنـد خلْع العِـــذار :

انظرْ إلى الرّوْض النضيـر كأنمـا نُشِرَتْ عليـــه مُـلاءةٌ خَضْراءُ
أنّى سَرحْتَ بلحْظِ عيْنك لا ترَى إلا غـــديرًا جَال فيـــه المـاءُ
وترَى بنفســـك عِزّةً فى دوْحه إذ فوْق رأسِك حيثُ سِرتَ لِواءُ

والمـاءُ قد رقّ وراق، وتَسلْسل وهو فى الإطلاق، وجرَى فتكسّر، وصفا ولم يتغيّر، وصاحَبَ النّسَماتِ وحالَفها، وقاطعَ الأغصانَ وخالفها؛ وأتتْه الرياحُ للزيارة من شِعابها وهِضابها، وسرَق حُلِيّ الأغصان فضمّها فى صدره وجرَى بها؛ والعيونُ ترمُقه فى جريه ومسيره، وهو لا يفتُرُ عن تصفيقه وخريره؛ حتى خشينا عليه التكسير من التمادِى، ورجوْنا من ماء عينيْه رِىّ كلّ صادِى :

يا حُسْـنَه من جَدْوَلٍ متدفقٍ ... يَلْهو بِرَوْنق حسـنِه مَنْ أَبصرا

ما زِلْتُ أُنْذِرُه عيـوناً حـوْله ... خوفًا عليـه أن يُصابَ فيعثُرا

فأَبَى وزادَ تمـادِيًا فى جَرْيه ... حتى هوَى من شاهقٍ فتكسَّرا

ولم يزل ٱلطير يَسْـعى بين النهر والغصن فى الاتّفاق ، ويكرِّر أَلحانَه ويُراسِـل فى الأوراق ، ويجتهد فى الصلْح ويَدْعو اليه ، ويَحرِص على الوفاء ويحرِّض عليه . وقام الشُّحرور بينهما واعظًـا وخطيبا ؛ فاجدَتْ مَواعظُه وكان قلبُ النهر صافيًـا وقريبا . وقامَ النَّسْرِين من السُّرور على ساق ، وجذب كلَّ صَدوح للغِناءِ بالأطواق ، وتبسمَتْ من الأُقْحوان الثغور ، ونَسمَتْ نفحاتُ المسك والكافور ؛ واعتلّ النسيمُ غَيْرةً وتغيَّر ، فتولّى وهو بذيله يَتَعـثَّر ؛ وجعل يجرُّ من الحياء ذيولاً على الأغصانِ ، فتعتنق ٱعتناق المواصل الغضبان :

فى روْضـةٍ عـلَّم أغصانُهـا ... أهلَ الهوَى العذرىِّ كيفَ العِناقْ

هبَّتْ بهـا ريحُ الصَّبا سُحْـرةً ... فالتفَّت ٱلأغصان ساقًا بِسـاق

وبكى النهرُ على مُواصَـلَةِ الغُصون ، وخرَّ لديها وفاضتْ منـه العيون ، ومثَّلَها فى قلبه شغفًا وحبًّا ، وصار بها من دون الصَّبا صَبًّا :

والنهر قد عَشِق الغُصونَ فلم يزل ... أبدًا يمثِّـلُ شخصَها فى قلبـه

حتى إذا فطَنَ النسيم لِمَـا به ... من غَيْرةٍ فأزالهـا من قُرْبه

وغدا عليـه مُنَمْنِمًا بعِتَـابه ... سِـرًّا فجعَّد وجْهَه من عَتْبه

فلم يَزْجُرْ ٱلنهرَ عن حُبِّ الغُصون زاجرٌ ولا عاذِل . ولم يَجِبِ ٱلعَذْلَ إلا بدمعه السائل، وصار يردّ بَرْد الهَوَى بحَرّ هواه العُذرى، وغدا ساعيًا بسعادة الأغصان يَجرى، فقنع منها بأدنى وِصال، وربما اقتصر منها فى الحب على الخيال :

ونهر بحب ٱلدوْح أصبح مُغْرَمًا   يَرُوحُ ويَغْدو هائمًا بِوِصالها
إذا أبعدتْ عنه شـكا بخـريره   جفاها، وأضحى قانِعًا بخَيالها

(٢) من رسالة عن الملك الناصر فرج بن برقوق الى صاحب فاس

وقد ورد فى كتابه ذِكْرُ لِوَقْعــة « تمرلَنْك » من إنشاء الشيخ أبى العباس أحمد القلقشندى[1] مؤلف صبح الأعشى :

وتحرّكنا من الديار المصرية فى جُيوش لا يأخُذها حَصر، ولا يَلْحَقها هَصْر، ولا يُظَنُّ بهـا على كَثْرةِ ٱلأعداد كَسْر، ولم نزل نحُثُّ السيْر، ونُسرع الحركة لقاء العَدُوّ إسْراعَ الطيْر، حتى وافينا دمشقَ المحروسةَ فنزلْنا بظاهرها، مُستمطرين النصر فى أوائل حركتِنا وأواخرِها، وانضم الينا من عساكر الشام وعُرْبانها، وتركُمانها الزائدة على العدّ وعشرانها، ما لا ينقطع له مَدَد، ولا يدخل تحت حَصْر ولا عَدَد؛ وأقبل القوم فى لفيف كالجراد المنتشر، وأمواجِ البحرِ التى لا تنحصر: من أجناس مُختلفة،

(١) هو أبو العباس أحمد بن على القلقشندى صاحب كتاب «صبح الأعشى فى كتابة الإنشا» ولد فى قرية قلقشندة من قرى القليوبية بمصر سنة ٧٥٦ هـ . من بيت عربى، وقد تأدب فى القاهرة وألف مؤلفات أشهرها ما ذكرنا . وعاش فاضلا مبجلًا حتى توفى سنة ٨٢١ هـ .

وجُمُوع على تبَايُن الأنواعِ مُؤتلفة، وتراءى الجمعان فى أفسح مكان، ورأى كل قبيلٍ الآخر رأىَ العَيْنِ وليس الخبر كالعِيان، واعتدَّ الفريقان للنِّزال، واحتَفَروا خَنادِقَ للاحتراس وتبوَّأنا مَقاعدَ للقتال، ولم يبقَ إلا المبارَزة، والتقاءُ الصفوف والمُناجزة، اذْ ورَدَ وارِدٌ من جِهَتهم بطَلَبِ الصلْح والمُوادَعَة، والجنُوح الى السَّلْم وقطْع المُنازَعَة؛ فأجبْناهم بالإجابة، ورأينا أنَّ حَقْنَ الدماءِ من الجانبيْن من أتمِّ مَواقِعِ الرأى إصابة؛ وكتبنا اليهم فى ضِمْن الجواب :

لمَّا أتانا منكُمُ قاصِدٌ يَسألُ فى الصُّلْح وكفِّ القِتال
قُلْنا له : نِعْمَ الذى قلْتَه! والصلحُ خيرٌ وأجَبْنا السؤال

(٣) وكتب عبد الرحمن عماد الدين الشامى الحنفى الى الشهاب الخفاجى وقد سمع بعودته لمصر :

« أسْعَدَ الله تعالى طالِعَ مِصروما حوْلها من الأمصار، وأنجَد هذا العصر وما يليه من الأعصار، وأبّد العلوم وأهليها، وأيّد دولة الفضائل وطالبيها، بدوام سعادة أيام عيْن أهل المعارف والمعالى، وواسطة عقدهم الغالى، ونادرة فلَكهم العالى، الذى هو صدر العلماء وبدرهم، ومن يدور عليه أمرهم؛ فكأنهم فلكٌ هو قطبه، أو جسدٌ هو روحه وقلبه. علّامة العلوم والمعارف، وروضةُ الأدب الـ... وظلُّها الوارف؛ شمس عصره، وعزيز مصره؛ جامع المزايا والمناقب، شهاب الـ...

الثاقب . أُهْدِى إلى حضرته العليَّة، تُحَفَ التحية، وطُرف الأَدْعية المرضية، وأُنهى اليه شكاية نِكايةِ الشوْق وٱستطالة سلطانه، ومدّ مدّة البين واستطالة زمانه، وأهنيه برتبة الرياسة العِلْميــة ، التى بعضُ صفاتها أنّ ولاية مصر المحمية جزءٌ من آلائها وآلائها، حيث أَتَتْ تَسْعى اليه، ومُدّ بالأمر الشريف رِواقها عليه؛ على أن المولى أَنبلُ قدرا، وأَبـه شأنًا وذِكرا، من أن يُهَنَّى بولايَةٍ و إن أمَر أُمُرها ، وعلا بين أهل العلا قدرها ، ومنصب بمصر و إن عظُم موقِعه؛ فالمولى بحمـد الله تعالى يَرفعُه والمنصب لا يرفعه؛ وما شَرفه المؤثّل المعلوم ، إلا بفنون الفضائل والعلوم ، وحين بلَغنا وصوله بالسلامة بتيسير الميسّر عجبنا كيف ركِبَ البحرُ البحرَ، وسلك البرّ البرّ. ولقد أحسن مولانا السلطان، إذ أنام الأنام فى حرز العدل والأمان، بنصْب فَيْصل حُكمه وحُسام قضائه، لحسم مادة الظلم وٱنتضائه، وفتح بذلك باب دوْلة العرَب، وروج بضاعة العلم والفضل والأدب؛ خلّد الله دولة سعادته مدى الليالى والأيام، ونظم أعوام مدّة سلطنته فى سلك التأبيد والدوام؛ ونسأل الله لحضرتكم طولَ البقاء، ودوام العز والآرتقاء .

من الكتابة العلمية التأليفية فى هـذا العصر

(١) ولابن خلكان[1] من كتابه وفيات الأعيان

يترجم لأبى طالب يحيى بن أبى الفرج سعيد بن أبى قاسم بن زيادة الشيبانى البغدادى المتوفى سنة ٥٨٣ هـ .

كان من الأعيان الأماثل[2]، والصدور الأفاضل، انتهت إليه المعرفة بأمور الكتابة والإنشاء والحساب، مع مشاركته فى الفقه وعلم الكلام والأصول وغير ذلك. وله النظم الجيد. جالس أبا منصور بن الجواليقى، وقرأ عليه وعلى من بعده، وسمع الحديث من جماعة. وخدم الديوان ـ من صباه إلى أن توفى ـ عدة خدمات. وكان مليح العبارة فى الإنشاء، جيد الفكرة حلو الترصيع، لطيف الإشارة. وكان الغالب فى رسائله العناية بالمعانى أكثر من طلب السجع. وله رسائل بليغة، وشعر رائق، وفضله أكثر من أن يذكر. وتولى النظر بديوان البصرة وواسط والحِلة، ولم يزل على ذلك الى المحرم سنة ٥٧٥ هـ . ورتب حاجبا بباب المتولى، وقلد النظر فى المظالم ثم عزل عن ذلك.

---

(١) هو قاضى القضاة شمس الدين الإربلى ولد سنة ٦٠٨ هـ . ثم تنقل فى البلاد حتى نزل دمشق سنة ٦٣٣ هـ . وتولى قضاء الشام ودرس فى مدارس عدة وتوفى سنة ٦٨١ هـ . واشتهر بكتابه وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان . وهو كتاب مفيد فى تراجم الرجال المشهورين .

(٢) الأماثل : جمع أمثل أى أفضل .

(٢) من كتاب المستطرَف للشيخ شهاب الدين أحمد الأَبْشِيهى

وهو من أدباء النصف الأول من القرن التاسع

أما علوُّ الهِمة فهو أصل الرياسة، فمّن علتْ همتُه وشرُفتْ نفسُه عُمارة بن حمزة، قيل إنه دخل يوما على المنصور وقعد فى مجلسه، فقام رجل وقال : مظلومٌ يا أمير المؤمنين ! قال : من ظلمك ؟ قال : عمارة بن حمزة غصبَنى ضَيْعتى! فقال المنصور : يا عمـارة قم فاقعـد مع خَصْمك، فقال : ما هُوَ لى بخصم، إن كانت الضيعةُ له فلستُ أنازعه فيها، و إن كانتْ لى فقد وهبْتها له؛ ولا أقوم من مقام شرّفنى به أمير المؤمنين، و رفعَنى وأقْعَدنى أدنى منه، لأجْلِ ضيعة .

وتحدّث السفّاح هو وأم سـلمة يوما فى نزاهة نفْس عمارة وكبره، فقالت له : آدع به وأنا أَهَب له سُبْحَتِى هذه، فانّ ثمنَها خمسون ألف دينار، فان هو قَبِلها عَلِمْنا أنه غير نَزِه النفس. فوجّه اليه فحضر، فحادثتْه ساعة ثم رمتْ اليه بالسُّبحة، وقالت: هى من الطُـرَف، وهى لك . فجعلها عمـارة بين يديه . ثم قام وتركها . فقالت : لعله نَسيهَا. فبعثتْ بها اليه مع خادم، فقال للخادم: هى لك. فرجع الخادم، فقال : قد وهبها لى، فأعطتْ أمُّ سلمةَ الخادم ألفَ دينار، وآستعادتْها منه .

وأهدى عُبيد الله بنُ السرى الى عبد الله بن طاهر لمـا وَلِىَ مِصْرَ مائةَ وصِيف، مع كل وصيف ألف دينـار، ووجه اليه بذلك ليلا ، فردّه وكتب اليه : لو قبِلتُ هديّتَكَ ليلا ، لقبِلْتها نهارا ؛ « فما آتانِىَ اللهُ خيرٌ ممَّا آتاكُمْ، بَلْ أَنْتمْ بِهدِيَّتِكُمْ تفرحُونَ» .

(وكان) سببُ فتح المعتصم عَمُّورِيَّةَ أن آمرأةً من الثَّغـر سُبِيَتْ فنـادتْ : وامحمداه! وامعتصماه! فبلغه الخبرُ . فركِبَ لوقْته، وتبعه الجيش . فلمّا فتحها قال : لَبَّيْكِ أيتها المنادية !

وكان سعيد بن عمرو بن العـاص ذا نَخْوة وهمـة . قيل له فى مَرَضِـه : إنّ المريض يستريح الى الأنين، والى شرح ما به الى الطبيب . فقال : أما الأنين فهو جَزَع وعار، والله لا يسمَع اللهُ منى أنينا، فأكونَ عنده جَزُوعا . وأما وصف ما بى الى الطبيب فوالله لا يحكم غيرُ الله فى نَفْسى، إن شاء أَمْسَكَها، و إن شاء قبضها .

ومن كِبَر النفس ما رُوى عن قيس بن زهير أنه أصابته الفـاقة، فكان يأكل الحنظل حتى قتله، ولم يخبر أحدا بحاجته .

ومن الشرف والرياسة حِفظُ الجوار وحَمى الذِّمار . وكانت آلعـرب ترى ذلك دِينا تدعو اليه، وحقا واجبا تحافظ عليه . وكان أبو سفيان بن حرب إذا نزل به جار قال : يا هـذا إنك آخترتَنى جارا ، واخترتَ دارى دارا ، فجنايةُ يَدِكَ علىّ دونك ، و إن جنَتْ عليك يدٌ فآحتكم حكم الصبىّ على أهله .

وكان الفَرَزْدق يُجير من عاذَ بقبر أبيه غالب بن صَعْصَعة؛ فممن آستجار بقبر أبيه فأجاره امرأة من بنى جعفر بن كلاب ، خافتْ لمّـا هجا الفرزدق بنى جعفر أن يُسميَها و ينسبَها، فعاذتْ بقبر أبيه، فلم يذكر لها آسما ولا نسبا ولكن قال :

عجوزٌ تصلى الخمسَ عاذتْ بغالبٍ فـلا والذى عاذت به لا أضيرُها

وقال مَرْوانُ بنُ أبى حفصة :

هُمُ يمنعون الجارَ حتى كأنمـا لِجارهم بين السِّماكَيْنِ منزِلُ

وقال ابن نباتة :

ولو يكونُ سوادُ الشعر فى ذِمَمٍ ما كان للشيْب سلطانٌ على اللّمَمِ

(وقيل) إنّ الحجاج أخذ يزيدَ بنَ المهلب بن أبى صُفرة وعذّبه واستأصل موجوده وسجَنه . فتوصل يزيد بحسن تلطُّفه وأرغبَ السجان واستماله وهرَب هو والسجان . وقصد الشام إلى سليمان بن عبد الملك بن مروان . وكان الخليفة فى ذلك الوقت الوليدَ بنَ عبد الملك . فلما وصل يزيدُ بنُ المهلب إلى سليمانَ بن عبد الملك أكرَمه وأحسن اليه وأقامه عنده . فكتب الحجاج الى الوليد يعلمه أن يزيد هرب من السجن ، وأنه عند سليمان بن عبد الملك أخى أمير المؤمنين ، وولى عهد المسلمين ، وأن أمير المؤمنين أعْلى رأيا . فكتب الوليدُ الى أخيه سليمان بذلك ، فكتب سليمانُ الى أخيه يقول : يا أمير المؤمنين إنى ما أجرْتُ يزيدَ بن المهلب إلا لأنه هو وأبوه وإخوته من صنائعنا قديما وحديثا ، ولم أُجرْ عدوًّا لأمير المؤمنين . وقد كان الحجاج قصده وعذبه وغرّمه أربعةَ آلاف ألف دِرهم ظُلْما ، ثم طالبه بعدها بثلاثة آلاف ألف درهم . وقد صار إلىّ واستجار بى ، فأجرته ، وأنا أغرم عنه هذه الثلاثة آلاف ألف درهم ، فان رأى أمير المؤمنين ألّا يُخزِيَنى فى ضيْفى فليفعل ، فإنه أهل الفضل والكرم . فكتب اليه الوليد : إنه لابدّ أن تُرْسِل إلىّ يزيدَ مغلولا مُقيدا . فلما ورد ذلك على سليمانَ أحضر ولده أيوبَ فقيّده ، ودعا يزيدَ بن المهلب فقيّده ، ثم شدّ قيْد هذا الى قيدِ هذا بسلْسلة ، وغلّهما جميعا بغُلّين ، وأرسلهما الى أخيه الوليد ، وكتب اليه :

أما بعدُ يا أمير المؤمنين فقد وجهْتُ اليك يزيدَ وٱبنَ أخيك أيوبَ بنَ سليمان ، ولقد هممْتُ أن أكون ثالثَهما . فان هَمَمْتَ يا أمير المؤمنين بقتل يزيد فبالله عليك ٱبدأْ بأيوبَ من قبله ، ثم ٱجعلْ يزيد ثانيا ، وٱجعلني اذا شئت ثالثا والسلام . فلما دخل يزيدُ بن المهلب وأيوب بن سليمان في سلسلة واحدة أطرق الوليد ٱستحْياء ، وقال : لقد أسأْنا الى أبي أيوب ، إذ بلغْنا به هذا المبلغ . فأخذ يزيد ليتكلم[1] ويحتجَّ لنفسه ، فقال له الوليد : ما تحْتاج الى كلام ، فقد قبِلْنا عُذْرك ، وعلِمْنا ظلمَ الحجاج . ثم إنه أَحْضر حدادا ، وأزال عنهما الحديد ، وأحسن اليهما ، ووصل أيوبَ ابنَ أخيه بثلاثين ألف دِرهم ، ووصل يزيدَ بن المهلب بعشرين ألف درهم ، وردّهما الى سليمان . وكتب كتابا الى الحجاج يقول له : لا سبيلَ لك على يزيدَ بنِ المهلب ، فاياك أن تعاودني فيه بعد اليوم . فسار يزيدُ الى سليمان بن عبد الملك وأقام عنده في أعلى المراتب وأرفع المنازل .

(٣) وصف ٱستيلاء التتار على بغداد

من كتاب الخميس في أحوال أنفس نفيس للديار بكري[2] :

وفي سنة أربع وخمسين وستمائة خرج الطاغية العنيد مبيدُ الأمم هولاكو ، فأخذ قلعة ألموت من الإسماعيلية ، وقتلهم وأَخْرَبَ نواحي الرَّي ، وبُذِلتْ السيوف على عوائدهم ، فتوجه الكامل محمد صاحب ميّافارقين ، إلى خدمة هولاكو فأعطاه الفَرَمان . ثم نزل هولاكو بأذربيجان وأخذها .

(١) أخذ ليتكلم : أخذ يتكلم .

(٢) هو حسين بن محمد بن الحسن الديار بكري نسبة الى ديار بكر ، تولى قضاء مكة وتوفى بها حوالي سنة ٩٨٢ هـ .

وفى سنة خمس وخمسين وستمائة ثارتْ فِتنة مَهُولة ببغدادَ بين السنية والرافضة أدّت إلى نهبٍ عظيم وخراب وقتــل عدّة من الرافضــة . فغضب لهــا وتَمَرّ ابن العلقمىّ الوزير، وجسّر التتار على العراق ليشتفى من السنية .

وفى أول سنة ست وخمسين وستمائة وصل الطاغية هولاكو بن تولى بن جنكيزخان المغلى بغداد بجيوشه وبالكَرَج وبعسكر الموْصل. فخرج الدُّويدار بالعسكر. فالتقى بطلائع هولاكو وعليهم باجنوس، فانكسر المسلمون لقلّتهم . ثم أقبل باجنوس فنزل على بغداد من غربيّها، ونزل هولاكو من شرقيّها . فقال الوزير ابن العلقمى للخليفة المستعصم بالله: إنى أخرج إلى القاآن الأعظم فى تقرير الصلح. فخرج الكلب وتوثق لنفسه ورجع . فقال: إن القاآن قد رَغِبَ فى أن يزوج بنته بابنك، وأن تكون الطاعة له كالملوك السلجوقية ويرحل عنك، فخرج المستعصم فى أعيــان دولته، وأكابرِ الوقت ليحضُروا العقد، فضُرِبَتْ رِقاب الجميــع، وقتلوا الخليفة: رفسوه حتى مات. ودخلت التتار بغداد واقتسموها. وأخذَ كلٌّ ناحيةً، وبقى السيف يعمَل أربعة وثلاثين يوما . وقَلَّ من سَلِم . فبلغت القتلى ألف ألف وثمانمائة ألف وزيادة . فعند ذلك نادَوْا بالأمان، ثم أمر هولاكو بضرب عنق باجنوس، لكونه كاتَب الخليفة . وأرسل إلى صاحب الشام يهدده إن لم يُخَرِّب أَســوار بلاده . كذا فى « دول الإسلام » .

وفى تاريخ الجمــالى يوسف : سبب قتل المستعصم بالله أنه لمــا وَلِىَ الخــلافة لم يتوثق أمرُه، لأنه كان قليل المعرفة بتدبير الملك ، نازِل الهمــة ، مُهمِلا للأمور

المُهِمة، محبا لجمْع المـال، أهمل أمْرَ هولاكو وانقاد إلى وزيره ابن العلقمى، حتى كان فى ذلك هَلاكُه وهلاك الرعيـة، فان وزيره ابن العلقمى الرافضى كان كتب كتابا إلى هولاكو ملك التتار فى الدشت : إنك تحضُر إلى بغداد، وأنا أسلمها لك، وكان قد داخل قلبَ اللعين الكفر . فكتب هولاكو : إنّ عساكر بغداد كثيرة، فان كنتَ صادقا فيما قلتَه، وداخلا فى طاعتنا ، فرّقْ عساكرَ بغـداد ونحن نحضُر . فلما وصل كتابه الى الوزير، دخل إلى المستعصم وقال: إن جُندك كثيرة وعليك كلفة كبيرة، والعدوّ قد رجع من بلاد العجم، والصواب أنك تعطى دستور الخمسة عشر ألفا من عسكرك، وتوفر معلومَهـم . فأجابه المستعصم لذلك . فخرج الوزير لوقتـه ومحا اسم من ذكر من الديوان، ثم نفاهم من بغداد ومنعهم من الإقامة بها . ثم بعد شهر فعل مثل فَعْلَته الأولى ومحا اسم عشرين ألفًا من الديوان. ثم كتب الى هولاكو بمـا فعل . وكان قصد الوزير بمجىء التتار أشياءَ منهـا أنه كان رافضيا خبيثا، وأراد أن ينقُل الخـلافة من بنى العباس الى العلويين ، فلم يتم له ذلك من عظم شوكة بنى العباس وعساكرهم، فأفكر أن هولاكو إذا قدم يقتُل المستعصم وأتباعه، ثم يعود الى حال سـبيله، وقد زالت شوكة بنى العباس، وقد بقى هو على ما كان عليه من العظمة والعساكر وتدبير المملكة، فيقوم عند ذلك بدعوة العلويين الرافضة، من غير ممانع لضعف العساكر ولقوّته ، ثم يضع السيف فى أهل السنة . فهذا كان قصدَه لعنه الله .

ولمـا بلغ هولاكو ما فعل الوزيرُ ببغـداد ركِب وقصدَها، إلى أن نزل عليها، وصار المستعصم يستدعى العساكر، ويتجهز لحرب هولاكو . وقد اجتمع أهل بغداد

وتحالفوا على قتال هولاكو، وخرجوا الى ظاهر بغـداد ، ومشى عليهـم هولاكو بعساكره فقاتلوا قتالا شديدا ، وصـبَر كل من الطائفتيْن صـبرا عظيما، وكثُرت الجراحات والقتـلى فى الفريقين، إلى أن نصر الله تعـالى عساكر بغـداد وانكسر هولاكو أقبح كسرة، وساق المسلمون خلفهم وأسروا منهم جماعة، وعادوا بالأسرى ورؤوسِ القتْلى الى ظاهر بغداد، ونزلوا بخيمهم مطمئنين بهروب العـدو. فأرسل الوزير ابن العلقمى فى تلك الليـلة جماعة من أصحـابه فقطعوا شطّ الدجلة، فخرج ماؤها على عساكر بغـداد وهم نائمون، فغَرِقَتْ مواشـيهم وخيامُهم وأموالهم وصار السعيد منهم من لِقىَ فرسا يركبها . وكان الوزير قد أرسل الى هولاكو يعرفه بما فعل، ويأمره بالرجوع إلى بغداد . فرجعتْ عساكر هولاكو إلى ظاهر بغداد، فلم يجدوا هناك من يردّهم . فلما أصبحوا استولَوا على بغداد، وبذلوا فيها السيف، ووقع منهم أمور يطول شرحها . والمقصود أن هولاكو آستوْلى على بغـداد، وأخذ المستعصمَ أسيرا . ثم بذل السيفَ فى المسلمين، فلم يرحم شيخا كبيرا لكِبَره، ولا صغيرا لِصِغَره.

ولمـا أخذ الخليفةُ أسيرا هو وولده وأُحْضر بين يديه، أمر به هولاكو فأُخرِج من بغداد، وأنزله بخُيَيّم صغير بظاهر بغداد هو وولده . ثم فى عصر ذلك اليوم وضع الخليفة وولده فى عدلين، وأمر التتَّار برفْسهما الى أن ماتا فى المحرّم سنة ست وخمسين وستّمائة . ثم نهبت دار الخلافة ومدينة بغـداد حتى لم يبق فيهـا لا ما قلّ ولا ما جلّ . ثم أُحرِقتْ بغدادُ بعد أن قُتل أكثر أَهلها، حتى قيل إن عدّة من قتل فى نوبة هولاكو يزيد على ألف ألف وثلاثين ألف إنسان . وانقرضت الخلافة من

بغداد بقتل المستعصم هذا ، وبقيت الدنيا بلا خلافة سنين الى أن أقام الملك الظاهر بيبرس البندُقدارى بعض بنى العباس فى الخلافة ، حسبما يأتى ذكره على سبيل الاختصار . وكانت خلافة المستعصم خمسَ عشْرةَ سنة وثمانيةَ أشهرٍ وأياماً وتقدير عمره سبع وأربعون سنة وزالت الخلافة من بغداد . قال الشاعر :

خَلَتِ المنابرُ والأسِرّة منهمُ فعليهمُ حتى المماتِ سلام

أما الوزير ابن العلقمى فلم يتم له ما أراد من أن التتار يبذلون السيف فى أهل السُّنّة ، فجاء بخلاف ما أراد وبذلوا السيف فى أهل السنة والرافضة كلهم ، وهو فى منصبه مع الذل والهوان ، وهو يُظهر قوّةَ النفْس والفرحَ ، وأنه بلغ مراده . فلم يلبث أن أمسكه هولاكو بعد قتل المستعصم بأيام ، ووبخه بألفاظ شنيعة معناها أنه لم يكن له خير فى مخدومه ، ولا فى دِينه فكيف يكون له خير فى هولاكو . ثم إنه قتله شرقِتْلة ، فى أوائل سنة سبع وخمسين وستمائة ، الى سقر لا دنيا ولا آخرة .

(٤) قال شهاب الدين محمود الخفاجى[١] فى كتابه ريحانة الألبّا وزهرة الحياة الدنيا يترجم ليحيى الأصيلى :

أديب ماهر ، وشاعر ساحر ، عَبِقتْ بالديار المصرية ، أنفاسُه النَّدية ، نشأ بدِمْياط وقد ابتسم بمحياه ثغرُها ، ودرّت عليه سحائب نِعَمها فالله درُّها ، ثم هاجر لمصر

(١) ولد فى سرياقوس وتعلم فى مصر ورحل الى الحرمين والآستانه وكان أديبا لغويا . توفى سنة ١٠٦٩ هـ .

وعودُ شبابه خَضِر(١)، وروْض محاسنه بماء الصِّبا بَهِجٌ نَضِر، فتخرج بالنور العُسيلي(٢) حتى حلا فى ذوقه شَهدُ آدابه، وتزينت حِقَاق أفكاره بفرائد خِطابه، وكان يتَغنَّى بالقرآن، ويَقْرِى بصوته الحسن الآذان؛ وله أنفاس فى الغِناء تُميتُ الهمومَ وتُحيي الطرب، وترشُف منها الآذان ماتسكر منه آبنـةُ العِنب، فإذا ترنَّم فى نادى سادةٍ أعيان، فكأنه نسيم الصَّبا والقومِ أغصان، فأنفاسه أطربُ من عود، وذكره الجميل أطيبُ من عود:

فإن العودَ مشتقٌ ... من العُودِ بإتقان

فهـذا طِيبُ آناف ... وهـذا طِيبُ آذانِ

ولم يزل بعد العسيلي يُدير سُلافَةَ اللطافة، وما برح بالديوان فى محل خلافة لا يرضى خِلافه، يقطِف ثمراتِ المُنَى، ويَقيل تحتَ ظِلال الهنا، حتى مدّ الغِناءُ له فى الغِنىٰ، مع ماله فى فنون العلم والآداب من المآرب.

فلله منه جانبٌ لا يُضيعه ... وللّهوِ منه والخلاعةِ جانبُ

مع أنه خفيف الروح خفيف الشُّقة على سائر الناس، فمحبته لذلك تجرى مع الأنفاس.

وإذا أحبَّ الله يومًا عبدَه ... ألقَى عليه محبةً لِلناس

ولم يزل كذلك حتى قصد الحج يطلب من شريف مكة أمله وتنويله، ولم يدر ما أضمرتْ له سودُ الليالى وما تنوِى له؛ فلما ألقى العصا بها وآستقرتْ به النوَى،

(١) الخضر: الغض الطرى.

(٢) يقصد نور الدين على العسيلي وهو من أدباء مصر فى ذلك العصر.

قَضَى مَناسِك حَجَّة وأخلص لله ما نَوَى ، ودعاه الكريم إلى داره ، فحل ممتعًا بالرحمة في جِواره، واقفًا فى عرفاتِ إحسانه، محرمًا فى إزار أكفانه .

وكان بيني و بينه ودّ جميل، إلا أنه لضيق وقته كشمس الشتاء عند الأصيل، فما نطق به لسانُ قلمه، وأودعه من نور معانيه فى كِمام كلمه قوله :

مَن مُنْصِفى من ظالمٍ بِنْتُ المَظالم بيتُه
أُخْفيه خشية بأسه وأودُّ لو سمّيتُه

العصر الحديث

(ا) الشـــعر

(١) قال السيد إسماعيل الخشّاب[١] متغزلا :

يَا شَـقِيقَ البَدْرِ نُورًا وسَـنًى ... وَأَخَا الغُصْنِ إِذَا مَا انْعَطَفَا [٢]
بِأَبِى مِنْــكَ جَبِينًــا مُشْرِقًا ... لَوْ بَدَا لِلنَّيِّرَيْنِ انْكَسَفَا [٣]
بُغْيَتِى مِنْكَ رُضَابٌ وَرِضًى ... وَعَلَى الدُّنْيَــا وَمَنْ فِيهَا العَفَا [٤]

وقال يتغــــزل :

ولِعتَ بِسُـودِ أجْفَانِ المِلاحِ ... وَهُنَّ أَحَدُّ مِنْ بِيضِ الصِّفَاحِ [٥]
وَشَاقتْكَ القُدُودُ أَلَسْتَ تَدْرِى ... كُمُونَ الحَتْفِ فى لُدْنِ الرِّماحِ [٦]
حَذَارِ ظِبَاَ الكِنَاسِ ؛ فَثَمَّ رِيمٌ ... يَصِـيدُ لُيُـوثَ آجَامِ البِطَاحِ

---

(١) كان الخشاب أديبا شاعرا ظهر فى مصر قبيــل الاحتلال الفرنسى وامتد به العمر الى أول زمن محمد على باشا . وقد توفى سنة ١٢٣٠ هـ . وله ديوان شعر مطبوع بالآستانه .

(٢) السنى : الرفعة والضوء . وانعطف : مال وانثنى .

(٣) بأبى : أفديك بأبى . والنيران : الشمس والقمر .

(٤) الرضاب : بضم الراء الريق المرشوف . والعفاء : الهلاك . والمراد أنه إذ ينال بغيته تلك لا يبالى الدنيا ومن فيها .

(٥) الصفاح : المراد بها هنا السيوف .

(٦) القدود : جمع قد ، وهو القامة . والحتف : بفتح الحاء الموت . واللدن : بضم اللام اللينة ، أى التى لا تقصف ، يقول إن القدود قد هاجت شوقه ، ولكنه غفل عن فتكها . وعن أن الموت كامن فى الرمح المعتدل .

1766—1835
1853 d.

(٢) وللشيخ حسن العطار (١)

قال يصف بركة الأزبكية :

بِالأَزْبَكِيَّةِ طَابَتْ لِي مَسَرَّاتُ   وَلَذَّ لِي فِي بَدِيعِ الأُنْسِ أَوقاتُ
حَيْثُ المِيَاهُ بِهَا وَالفُلْكُ سَابِحَةٌ   كَأَنَّهَا الزُّهْرُ تَحْوِيهَا السَّمَواتُ (٢)
وَقَدْ أُدِيرَ بِهَا دُورٌ مُشَيَّدَةٌ   كَأَنَّهَا لِبُدُورِ الحُسْنِ هَالَاتُ (٣)
وَالمَاءُ حِينَ سَرَى رَطْبُ النَّسِيمِ بِهِ   وَحَلَّ فِيهِ مِنَ الأَدْوَاحِ زَهْرَاتُ (٤)
كَسَابِغَاتِ دُرُوعٍ فَوْقَهَا نُقَطٌ   مِن فِضَّةٍ وَاحْمِرَارُ الوَرْدِ طَعَنَاتُ (٥)

وقال يمدح ابراهيم باشا عند عودته من الشام :

سَمْهَرِيٌّ يَنْثَنِي أَمْ غُصنُ بَانْ   أَمْ قَوَامٌ دُونَهُ صَبْرِيَ بَانْ (٦)
صَانَ بِالعَسَّالِ مَعْسُولَ اللَّمَى   وَتَهَادَى هَادِمًا مَا أَنَا بَانْ (٧)

---

(١) هو حسن بن محمد العطار كان من علماء الأزهر ، رحل الى كثير من الممالك الإسلامية ، وانتهت به الحال الى أن صار محررا للوقائع المصرية أول ظهورها ، ثم صار شيخا للازهر ، وكان على جلالة محله فى العلم شاعرا كاتبا بليغا توفى سنة ١٢٥٠ هـ .

(٢) الفلك : بضم الفاء وسكون اللام . السفينة : ولفظ جمعه كلفظ مفرده . ويريد (بالزهر) بضم الزاى النجوم المشرقة .

(٣) الهالات : جمع هالة ، وهى الدائرة التى ترى حول القمر ، كالطفاوة بضم الطاء للشمس .

(٤) الأدواح : جمع دوحة بفتح الدال وهى الشجرة العظيمة .

(٥) سابغات : طويلة ضافية . يشبه البركة وما يعلوها من الزبد والفقاقيع بالدرع الضافية رصعت بالفضة ، وخيال الورد فيها بالدم من آثار الطعنات ، وهو تشبيه جيد .

(٦) السمهرى : الرمح يشبه به القد . وبان : ذهب وفقد .

(٧) العسال : الرمح يهتز لينا . واللمى هنا : الثغر . وبان الثانية : أى ما بنيته .

يا مَليــكَ الحُسْنِ رِفْقا بِشَجٍ كلّمـا حاوَلَ كتمَ الشجْوِ بَانْ(١)
مزجَ البحْرينِ فيضًا دمعُــه إذ رأى جَفْنيهِ لا يلتَقِيـانْ(٢)
جاءَ لمـا جارَ سُـلطانُ الهوى طالِبـٌ من عادلِ القَدِّ الأَمانْ(٣)
رُبَّ ساقٍ، وهْوَ قاسٍ قلبُه، عِطفُــه منذُ أدارَ الكأْسَ لانْ(٤)
أهيفٌ، إنْ ماسَ تِيهاً ورَنَا، رُحْتُ منهُ بين سيفٍ وسِـنانْ(٥)
كسَرَ القلبَ، وما كانَ اُلتَقِي فيــه من حينِ هواهُ ساكِنانْ(٦)

✦ ✦ ✦

يا نديمى قُم وبادِرْها وطِبْ هــذه الجنــةُ والحُورُ الحِسانْ(٧)
وَأَدِرْ لى بِنتَ كَرْمٍ عُتِّقتْ نُورِها البـاهرُ يحكى البَهرمانْ(٨)
بالنُّهى قد فعلتْ كاساتُها فِعلَ ابراهيمَ سلطانِ الزمانْ(٩)

---

(١) الشجى : الحزين والمتيم عشقا . وبان : ظهر .
(٢) مرج : خلط .
(٣) عادل القد : يريد معتدله وفيه تورية .
(٤) العطف بكسر العين : الجانب . ولان عطفه : مال
(٥) الأهيف : الرقيق الخصر . ماس : تبختر . رنا : أدام النظر بسكون الطرف . السنان : نصل الرمح ويطلق على الرمح، يقصد به القد، والسيف يقصد به الطرف .
(٦) يورى الى الكسرة فى النحو بدليل (التقى ساكنان) .
(٧) النديم : المنادم على الشراب . والحور : النساء جميلات العيون .
(٨) بنت كرم : خمر . والبهرمان : فارسى نوع من الياقوت الأحمر .
(٩) النهى : جمع نهيه بضم النون : العقل .

أَسَدُ الهيْجاء ضِرغامُ الوغَى قاصِمُ الأعداء من قاصٍ ودَان (١)
فَهو كالشمسِ سمَتْ آفاقُها وسَناها كان فى كلِّ مَكان (٢)
فَرعُ أَصلٍ قد تسامَى فى العُلا وعلا شأْناً على رغْمِ لشان (٣)
كَم لهُ فى السلْمِ من مَرحمةٍ وكأيِّنْ من حُنُوٍّ وحَنان
يَمِّمِ الْيَمَّ وَرِدْ ما تَشْتَهِى وعلى المَوْرد يا صاحِ الضَّمان (٤)
لم يكن فى كل بحرٍ لؤلؤ إنما اللؤلؤ فى بَحرِ عُمان (٥)
حِلْمُه الروضُ جَناهُ يُجتنَى ويُرجِّى العفوَ فيهِ كُلُّ جان (٦)
هِمَم فوقَ السموات سمَتْ ومعالٍ دونَهُنَّ الصعْبُ هان
وحُلًى حلَّت وجلَّت غايةً أيُجارَى مَن له سَبْقُ الرِّهان
يا عزيزاً لا يُضَاهَى أبداً عِزُّهُ يكسُو العِدَا ثوبَ الهوان
كم حروبٍ كشَفَتْ عن ساقِها خاضها طِرفُكَ مِطواعَ العِنان (٧)
بِجُيوش شمَّرتْ عن ساعِدٍ ما له يومَ نزالٍ من تَوان .

---

(١) الوغى والهيجاء : الحرب : والضرغام : الأسد .
(٢) السنى : الضوء .
(٣) على رغم لشان : أى على رغم الشانئ : العدو المبغض .
(٤) يمم : اقصد . واليم : البحر يشبه به الكريم .
(٥) يقصر الخير على الممدوح ويمثله بحر عمان لاستئثاره باللؤلؤ
(٦) جان : الجانى الآثم .
(٧) كشفت عن ساقها : جدت والطرف بكسر الطاء : الفرس .

هالكَ مِـنِّى بِنتَ فِكرٍ تَجـَـلِى … فى حُلِّىٍّ من بديع وبيَـان (١)

قد أُعيــذَتْ بِشِهاب ثاقِبٍ … صانَها عن كل شيطان وجان (٢)

وبدتْ من خِــدْرِها قائلةً … إنَّ وصْــلِي للحبيب الآن آن

وبِوُدِّى لو أُلاقى خُطــوةً … منه تكسونى جلابيب امْتنان

فدُنُوِّى منــه غاياتُ المُنَى … وقَبولى مُنتهى كلِّ الأمان

(٣) لمحمود صفوت الساعاتى (٣)

قال يعاتب بعض أصحابه، وكان قد وعده بمسعًى ولم ينجز :

يَا مَنْ إِذَا قَالَ لَمْ يَغلَطْ بِحُسْنِ وفَا … طَالَ انتِظَارِى بَيْنَ اليَأْسِ وَالأَمَلِ

لِى عِندَكُمْ مَوْعِدٌ قَــدْ لَاحَ بَارِقُهُ … بَيْنَ السَّحَابِ فَـلَمْ يُدْرَكْ وَلَمْ يَنَلِ (٤)

حَتَّى مَتَى وَإِلَى كَمْ طُـولُ وَعْدِكُمُ … أَمَا لَهُ أَجَلٌ قَبْلَ انْقِضَا أَجَــلِى ؟

إِنِّى أُحِبُّ بِأَنِّى اليَــوْمَ أَمْدَحُكُمْ … وَالمَدْحُ خَيْرٌ لَكُمْ لَوْ تَعْلَمُــونَ وَلِى

أَمَّلْتُ إِدْرَاكَ شَىْءٍ أَنْتَ وَاسِــطَةٌ … فِيهِ فَــلَمْ تَجْتَهِدْ، كَالْوَعْدِ فِى أَمَلِى

وَقَــدْ بَخِلْتَ بِشَىْءٍ لَسْتَ غَارِمَهُ … وَالْبُخْلُ بِالْجَاهِ أَقْصَى غَايَةِ البُخْلِ (٥)

---

(١) [illegible] بنت فكر: [illegible]

(٢) [illegible]

[illegible]

(٤) قال عبد الله باشا فكرى يشكر الخديو توفيق باشا على إجابة ملتمس له (١)

بِعُلَى مَجْدِكَ تَفْخَرُ العَلْيَاءُ ... وَبِجُودِ كَفِّكَ تَقْتَدِى الأَنْوَاءُ (٢)

وَإِلَيْكَ يَنْتَسِبُ الكَمَالُ وَيَنْتَهِى ... كَرَمُ الخِلَالِ وَيَنْتَمِى الكُرَمَاءُ (٣)

وَعَلَيْكَ مِنْ نُورِ الإِلٰهِ جَلَالَةٌ ... تَعْنُو لَدَيْكَ لِعِزِّهَا العُظَمَاءُ (٤)

وَمَحَبَّةٌ غَدَتِ القُلُوبُ بِأَسْرِهَا ... أَسْرَى لَهَا وَانْقَادَتِ الأَهْوَاءُ (٥)

فَلْتَفْخَرِ الدُّنْيَا بِمَجْدِكَ وَالعُلَا ... وَالمُلْكُ وَالوُزَرَاءُ وَالكُبَرَاءُ

مَوْلَاىَ دَعْوَةَ عَبْدِ رِقٍّ مُخْلِصٍ ... نَاءٍ يُقَرِّبُهُ إِلَيْكَ وَلَاءُ

أَوْلَيْتَنِى مِنْ جُودِ كَفِّكَ نِعْمَةً ... غَرَّاءَ كَانَتْ قَبْلَهَا آلَاءُ (٦)

فَلَأَشْكُرَنَّ نَدَاكَ مَا صَحِبَتْ يَدِى ... قَلَمًا وَصَاحَبَ مَنْطِقِى إِصْغَاءُ (٧)

---

(١) هو الكاتب الشاعر الأديب عبد الله فكرى بن محمد بليغ، نشأ بالأزهر وأجاد العربية والتركية وشغل مناصب عدة حتى أفضت إليه الوزارة . وكانت كتابته نموذج الكتابات الديوانية . وتوفى سنة ١٣٠٧ هـ .

(٢) الأنواء : الأمطار، واحدها نوء بفتح النون وسكون الواو .

(٣) ينتمى : ينتسب .

(٤) تعنو : تذل وتخضع .

(٥) الأهواء : الميول .

(٦) كان هنا تامة بمعنى وجد : والآلاء النعم .

(٧) الندى : الجود والعطاء .

* * *

وقال يتغـــزل :

وَعَارِفٍ بِفُنُونِ الطِّبِّ تَجْرِبَةً — وَخِبْرَةً لَيْسَ يَخْفَى عَنْهُ مَا الْتَبَسَا

وَافَى لِيَبْلُوَ مَا أَشْكُو بِجَسِّ يَدِى — حِينًا وَأَرْسَلَهَا حِينًا وَقَدْ عَبَسَا (١)

وَقَالَ: دَاءُ هَوًى يَأْبَى الشِّفَاءَ فَإِنْ — أَهْمَلْتَهُ زَادَ أَوْ دَاوَيْتَهُ نُكِسَا (٢)

(٥) وقال نجيب الحدّاد يمدح مصر والمصريين (٣)

يَا أَرْضَ مِصْرَ تَحِيَّةٌ وَسَلَامُ — وَسَقَاكِ مِنْ صَوْبِ الْغَمَامِ رُكَامُ (٤)

بَلْ أَنْتِ غَانِيَةٌ عَنِ الْمَطَرِ الَّذِى — يَهْمِى، فَإِنَّ النِّيلَ فِيكِ غَمَامُ (٥)

نَهْرٌ تَبَارَكَ مَاؤُهُ فَيَكَادُ أَنْ — تُمْحَى بِطُهْرِ مِيَاهِهِ الْآثَامُ

وَيَكَادُ لَوْ رَشَفَ الْعَلِيلُ زُلَالَهُ — يُشْفَى الْعَلِيلُ وَتَذْهَبُ الْأَسْقَامُ (٦)

يُحْيِي الْبِلَادَ بِمَائِهِ، فَكَأَنَّهُ الرُّ — وحُ الَّتِى تَحْيَا بِهَا الْأَجْسَامُ

إِنْ شَابَهُ كَدَرٌ فَفِى أَكْدَارِهِ — صَفْوٌ وَفِى فَيَضَانِهِ إِنْعَامُ (٧)

---

(١) يبلو : يختبر . وما أشكو ما أحد من العلة . وعبس عبوسا : قطب وجهه .

(٢) نكس المريض بالبناء للمجهول وانتكس بالبناء للمعلوم : عاوده المرض بعد الشفاء .

(٣) نشأ الشيخ نجيب الحداد نشأة أدبية فصار شاعرا رقيقا وكاتبا بليغا ، له روايات شتى تأليفا وترجمة توفى سنة ١٨٩٩ م .

(٤) صوب الغمام : نزوله . والغمام : السحاب . والركام : بضم الراء المتراكب بعضه فوق بعض .

(٥) غانية : غنية . ويهمى : يسيل .

(٦) الماء الزلال بضم الزاى : العذب الصافى .

(٧) شابه : خالطه . ويريد بأكداره ما يحمله من الغرين (الطمى) أيام الفيضان فإن فيه زيادة فى خصب الأرض ، وهذا ما عبر عنه بالصفو ليقابل به الأكدار .

\+ + +

أَرْضٌ إِذَا لَمْ يَعْلُ فِي أَرْجَائِهَا … عَلَمٌ فَإِنَّ كِرَامَهَا أَعْلَامُ (١)

لَبِسَتْ مِنَ الْمَجْدِ التَّلِيدِ مَطَارِفًا … وَلَهَا مِنَ الْمَجْدِ الطَّرِيفِ وِسَامُ (٢)

وَتَعَانَقَتْ وَالْفَخْرَ مِنْ قِدَمٍ كَمَا … قَدْ عَانَقَتْ أَلِفَ الْكِتَابَةِ لَامُ

مَجْدٌ بِهِ هَرِمَ الزَّمَانُ وَلَمْ يَزَلْ … غَضًّا وَقَدْ شَهِدَتْ بِهِ الْأَهْرَامُ (٣)

هَرَمَانِ زَانَا صَدْرَ مِصْرَ فَأَشْبَهَا … نَهْدَيْنِ زَانَهُمَا سَنًى وَتَمَامُ (٤)

نَهْدَانِ كَانَ الدَّهْرُ يَرْضَعُ مِنْهُمَا … إِنَّ الزَّمَانَ لِمَجْدِ مِصْرَ غُلَامُ

أَرْضُ الْفَرَاعِنَةِ الَّذِينَ بَنَوْا لَهَا … فِي الدَّهْرِ مَا لَا تَبْلُغُ الْأَوْهَامُ

بُنْيَانَ عِزٍّ فِي السُّطُورِ مُخَلَّدٍ … وَبِنَاءَ مَجْدٍ فِي الصُّخُورِ يُقَامُ

لَا بِدْعَ إِنْ بَقِيَتْ مَآثِرُهُمْ فَقَدْ … بَقِيَتْ جُسُومُهُمُ وَهُنَّ رِمَامُ (٥)

---

(١) العلم بفتحتين : الجبل العالي . والأعلام : جمع علم بفتحتين أيضا وهو سيد القوم . يريد أن مصر إذا خلت أرضها من الجبال العظيمة فان فيها السادة العظماء .

(٢) التليد : القديم . والمطارف جمع مطرف بكسر الميم وفتح الراء : الثوب من الحرير . والطريف : الجديد .

(٣) الغض : الناضر .

(٤) النهد : بفتح النون الثدي وجمعه نهود . والسنى : بفتح السين الضوء . والتمام بتثليث التاء : الكمال .

(٥) رمام : بالية .

(٦) قال مصطفى بك نجيب (١) يشكر بعض الأدباء على ساعة أهداها إليه :

مَتَّعَنَا أَخٌ كَرِيمٌ حَسَبَا ... وَحَاتِمِيٌّ مَحْتِدًا وَنَسَبَا
بِسَاعَةٍ مِن خَيْرِ مَا قَدْ جَلَبَا ... مَا إِنْ رَأَتْ عَيْنٌ لَهَا مُضْطَرِبَا
تَمْشِي مَعَ الزَّمَانِ سَيْرًا عَجَبَا ... لَا تُخْطِئُ الوَقْتَ وَلَوْ تَذَبْذَبَا
كَأَنَّ بِالنَّجْمِ لَهَا مُنْتَسَبَا ... وَبِذُكَاءٍ لُحْمَةً وَنَسَبَا (٢)
حَتَّى إِذَا وَقْتُ الزَّوَالِ وَجَبَا ... وَرَامَتِ الشَّمْسُ لَهَا مُنْقَلَبَا (٣)

* رَأَيْتَ فِيهَا العَقْرَبَيْنِ عَقْرَبَا *

وكتب على يد مروحة :

إِذَا يَدٌ لَعِبَتْ بِي ... قَابَلْتُهَا بِهَوَاهَا
مَزَجْتُ لُطْفَ نَسِيمِي ... بِلُطْفِ رَيَّا مُنَاهَا (٤)
فَزَادَهَا الرِّيحُ وَجْدًا ... وَزَادَهَا الوَجْدُ آهَا
جَاءَتْ لِتَبْرُدَ شَوْقًا ... فَزِدْتُ مِنْهَا جَوَاهَا

---

(١) هو ابن محمد نجيب أديب ادارى وكاتب شاعر مقل ، صاحب كتاب حماة الإسلام ومقالات أحلام الأحلام توفى سنة ١٣٢٠ هـ .

(٢) ذكاء بضم الذال : الشمس . واللحمة بضم اللام : القرابة .

(٣) وقت الزوال : الظهر . ويريد بقوله وجب : حل .

(٤) الريا : بفتح الراء وتشديد الياء : الريح الطيبة .

(٧) كتب السيد على أبو النصر إلى بعض أصحابه (١) :

حُرُوفُ وُدِّى وَسَائِلْ ... وَالدَّمْعُ جَارٍ وَسَائِلْ (٢)
وَلَوْعَتِي وَشُجُونِي ... تَضِيقُ عَنْهَا الرَّسَائِلْ (٣)
لى فِي هَوَاكُمْ غَرَامٌ ... طُولَ المَدَى غَيْرُ زَائِلْ
لَمَّا هَجَرْتُمْ وَبَانَتْ ... صَبَابَتِي لِلْعَوَاذِلْ (٤)
دَخَلْتُ دَارَ اصْطِبَارِي ... خَرَجْتُ مِنْ غَيْرِ طَائِلْ (٥)
فَقُلْتُ لِلْعَيْنِ : جُودِي ... بِالْمُرْسَلَاتِ الهَوَامِلْ (٦)
وَقَدْ أَمَرْتُ يَرَاعِي ... بِخَطِّ مَا أَنَا قَائِلْ
وَحُبُّكُمْ فِي ضَمِيرِي ... سِوَاهُ زُورٌ وَبَاطِلْ
وَمَدْحُكُمْ كُلَّ وَقْتٍ ... فَرَائِضٌ لَا نَوَافِلْ (٧)

(١) أصله من منفلوط بمديرية أسيوط ، تعلم بالأزهر واتصل بالبيت الخديوى من عهد محمد على باشا الكبير الى توفيق باشا ، وقد توفى سنة ١٢٩٨ هـ . وله شعر متوسط وزجل بديع .

(٢) وسائل الأولى : جمع وسيلة ، أما الثانية فاسم فاعل من سال يسيل . وهذا من الجناس التام .

(٣) اللوعة : حرقة الهوى . والشجون : جمع شجن بفتحتين وهو الهم والحزن .

(٤) الصبابة : شدة العشق .

(٥) جعل للاصطبار دارا وهو غير مستحسن ، وإنما الذى جشمه هذا هو التوصل الى الإتيان بالجملة السائرة « خرجت من غير طائل » .

(٦) المرسلات : يريد بها الدموع الجاريات . والهوامل : القائضات بالدموع .

(٧) النوافل : جمع نافلة وهى ما يفعله الانسان طلبا للثواب وإن كان غير مفروض عليه . وأكثر

وَإِنْ سَأَلْتُمْ فَإِنِّى ... بِشُكْرِكُمْ لَا أُمَاطِلْ (١)
أَوَاخِرُ الشَّوْقِ عِنْدِى ... إِلَى لِقَاكُمْ أَوَائِلْ

(٨) قال المرحوم الشيخ على الليثى وقد زارته سائحة أمريكية وهو فى ضيعته فى الصف (٢)

وَزَائِرَةٍ زَارَتْ عَلَى غَيْرِ مَوْعِدِ ... غَرِيبَةِ دَارٍ تَنْتَحِى كُلَّ مَوْرِدِ (٣)
تَبَدَّى لَنَا وَقْتَ الظَّهِيرَةِ نُورُهَا ... وَنَحْنُ عَلَى رَوْضٍ زَهَا بِالتَّوَرُّدِ
مِنَ اللَّاءِ لَمْ يَدْخُلْنَ مِصْرَ لِحَاجَةٍ ... سِوَى رُؤْيَةِ الآثَارِ فِى كُلِّ مَشْهَدِ
لَهَا فِى أَمِيرِيكَا انْتِسَابٌ وَدَارُهَا ... بِبُسْتَنَ إِذْ تُعْزَى لِمَسْقِطِ مَوْلِدِ (٤)
تَحَيَّتْ وَقَالَتْ وَالْمُتَرْجِمُ بَيْنَنَا ... لَنَا فَأْذَنُوا نَحْظَى بِرَوْضِكُمُ النَّدِى (٥)
فَقُلْنَا وَنَوْرُ الْبِشْرِ أَزْهَرَ بَيْنَنَا ... عَلَى الرَّحْبِ وَالإِقْبَالِ مَشْكُورَةَ الْيَدِ (٦)
وَدَارَتْ أَحَادِيثُ التَّسَاؤُلِ بَيْنَنَا ... فَجَاءَتْ بِدُرٍّ مِنْ حَدِيثٍ مُنَضَّدِ (٧)

---

(١) أماطل : أتراخى وأسوف .

(٢) ولد حوالى سنة ١٢٣٠ هـ . ونبغ فى الأدب والشعر والفكاهة ، واتصل بالمغفور له اسماعيل باشا . وقد توفى سنة ١٣١٣ هـ . وكان رقيق الشعر غزير الأدب .

(٣) يريد بقوله تنتحى تقصد . ويريد بكل مورد كل مكان .

(٤) بستن : ولاية ومدينة فى أمريكا . وتعزى بسكون العين وفتح الزاى : تنسب .

(٥) الندى : الذى بلله المطر .

(٦) النور : بفتح النون الزهر . واليد : النعمة .

(٧) المنضد : المنتظم .

* * *

وَلَمَّا رَأَتْ شَمْسَ النَّهارِ تَأَزَّرَتْ بِأَصْفَرَ فِي بُرْدِ الأَصِيلِ المُجَسَّدِ (١)

دَعَتْنَا لِمَرْسَاهَا وَكانَ رُكُوبُهَا ذُرَى جَمَلٍ رَامَتْهُ عِنْدَ التَّزَوُّدِ (٢)

* * *

عَنِ البَحْرِ حَدِّثْ إِذْ وَرَدْنَا وَقَدْ غَدَا بِصَفْوٍ يُصَافِينَا فَيَاطِيبَ مَوْرِدِ

سَفِينَتُنَا تَعْلُو عَلَى فَلَكِ السَّمَا بِمَا حَلَّ فِيهَا مِنْ شُمُوسٍ وَفَرْقَدِ (٣)

هُنَاكَ مُرَادُ العَيْنِ وَالسَّمْعِ وَالهَوَى مَعَ العِفَّةِ العَلْيَاءِ فِي كُلِّ مَقْصِدِ

وَقُمْنَا وَوَدَّعْنَا القُلُوبَ فَهَلْ دَرَتْ بِمَا نَابَنَا عِنْدَ الوَدَاعِ المُمَهَّدِ (٤)

وَلَوْلَا اللِّقَا فِي مِصْرَ مَا انْطَفَأَ الجَوَى وَهَذَا الَّذِي أَبْقَى تَمَامَ التَّجَلُّدِ (٥)

---

(١) تأزرت : لبست الإزار وهو كل ماستر . والبرد بضم الباء وسكون الراء : الثوب . والأصيل : الوقت بين العصر والمغرب . وفيه يصفر لون الشمس .

(٢) الذرى : بضم الذال وفتح الراء ، جمع ذروة وهى أعلى الشىء . وأصل التزود اتخاذ الزاد عند السفر ، ولكنه يريد به هنا الارتحال .

(٣) الفرقد : نجم قريب من القطب الشمالى ، وهما فرقدان ، يريدها ومن كانوا معها ممن أشار اليهم فيما حذفناه من القصيدة .

(٤) يريد بالممهد المتهيأ .

(٥) الجوى : حرقة العشق .

(٩) وقال البارودى يصف الفراق[١] :

مَحَا البَيْنُ مَا أَبْقَتْ عُيُونُ المَهَا مِنِّى ... وَشِبْتُ وَلَمْ أَقْضِ اللُّبَانَةَ من سِنِّى[٢]
عَنَاءٌ وَيَأْسٌ وَاشْتِيَاقٌ وَغُرْبَةٌ ... أَلَا شَدَّ مَا أَلْقَاهُ فِى الدَّهْرِ مِن غَبْنِ![٣]
فَإِنْ أَكُ فَارَقْتُ الدِّيَارَ فَلِى بِهَا ... فُؤَادٌ أَضَلَّتْهُ عُيُونُ المَهَا عَنِّى
بَعَثْتُ بِهِ يَوْمَ النَّوَى إِثْرَ لَحْظَةٍ ... فَأَوْقَعَهُ المِقْدَارُ فِى شَرَكِ الحُسْنِ[٤]
فَهَلْ مِن فَتًى فِى الدَّهْرِ يَجْمَعُ بَيْنَنَا ... فَلَيْسَ كِلَانَا عَن أَخِيهِ بِمُسْتَغْنِ!
وَلَمَّا وَقَفْنَا لِلْوَدَاعِ وَأَسْبَلَتْ ... مَدَامِعُنَا فَوْقَ التَّرَائِبِ كَالمُزْنِ[٥]
أَهَبْتُ بِصَبْرِى أَنْ يَعُودَ فَعَزَّنِى ... وَنَادَيْتُ حِلْمِى أَنْ يَثُوبَ، فَلَمْ يُغْنِ[٦]
وَمَا هِىَ إِلَّا خَطْرَةٌ، ثُمَّ أَقْلَعَتْ ... بِنَا عَنْ شُطُوطِ الحَىِّ أَجْنِحَةُ السُّفْنِ[٧]

---

(١) هو محمود باشا سامى البارودى ابن حسن حسنى بك البارودى، نشأ بالمدرسة الحربية وكان عصاميا فى الشعر لم يتعلق شاعر من معاصريه بغباره. وله مواقف مشهورة فى الحروب وفى الثورة العرابية. يمثل شعره صورة مقاربة لفحول المتقدمين، وقد توفى سنة ١٣٢٢ هـ.

(٢) البين : البعد والفرقة. والمها : جمع مهاة وهى البقرة الوحشية يضرب بها المثل فى جمال العيون. واللبانة : الحاجة فى غير فاقة. ولبانة الشباب : ما يقتضيه من لهو ومراح.

(٣) ألا شدّ : ما أشدّ. والغبن بفتح الغين : يريد به الظلم.

(٤) النوى : الفراق. وإثر لحظة : عقب لحظة. واللحظة : النظرة بمؤخر العين. والمقدار : القدر بفتح الدال. والشرك : بفتحتين حبائل الصيد.

(٥) أسبلت : أرسلت. والترائب : جمع تريبة وهى عظمة الصدر، والمراد بها هنا الصدر. والمزن بضم الميم وسكون الزاى : المطر.

(٦) أهاب به : دعاه. وعزّنى : غلبنى. ويثوب : يرجع.

(٧) الحى : منازل القوم.

فَكَمْ مُهْجَةٍ مِن زَفْرَةِ الوَجْدِ فِي لَظًى ... وَكَمْ مُقْلَةٍ مِن غَزْرَةِ الدَّمْعِ فِي دَجْنِ (١)

وَمَا كُنْتُ جَرَّبْتُ النَّوَى قَبْلَ هٰذِهِ ... فَلَمَّا دَهَتْنِي كِدْتُ أَقْضِي مِنَ الحُزْنِ (٢)

وَلٰكِنَّنِي رَاجَعْتُ حِلْمِي وَرَدَّنِي ... إِلَى الحَزْمِ رَأْيٌ لَا يَحُومُ عَلَى أَفْنِ (٣)

وَلَوْلَا بُنَيَّاتٌ وَشِيبٌ عَوَاطِلٌ ... لَمَا قَرَعَتْ نَفْسِي عَلَى فَائِتٍ سِنِّي (٤)

ومن قصيدة له يرثى بها زوجته وقد ماتت بمصر وهو لا يزال فى منفاه :

لَا لَوْعَتِي تَدَعُ الفُؤَادَ وَلَا يَدِي ... تَقْوَى عَلَى رَدِّ الحَبِيبِ الغَادِي (٥)

يَا دَهْرُ فِيمَ فَجَعْتَنِي بِحَلِيلَةٍ ... كَانَتْ خُلَاصَةَ عُدَّتِي وَعَتَادِي (٦)

إِنْ كُنْتَ لَمْ تَرْحَمْ ضَنَايَ لِبُعْدِهَا ... أَفَلَا رَحِمْتَ مِنَ الأَسَى أَوْلَادِي (٧)

وَمِنَ البَلِيَّةِ أَنْ يُسَامَ أَخُو الأَسَى ... رَعْيَ التَّجَلُّدِ وَهْوَ غَيْرُ جَمَادِ (٨)

هَيْهَاتَ بَعْدَكِ أَنْ تَقَرَّ جَوَانِحِي ... أَسَفًا لِبُعْدِكِ أَوْ يَلِينَ مِهَادِي

---

(١) المهجة : دم القلب . واللظى : لهب النار . والمقلة : بضم الميم العين . والدجن : الظلمة .

(٢) قضى الرجل يقضى من باب ضرب : مات .

(٣) الأفن : سوء الرأى .

(٤) البنيات : بضم الباء وفتح النون وتشديد الياء : جمع بنية وهى البنت الصغيرة . والمرء يقرع سنه فى حالة الندم . والفائت مالم يدركه الانسان من خير ونحوه . يريد أنه لولا بناته الصغار، ولولا من يعولهم من أهله المسنين الذين لا كسب لهم ماندم على شىء .

(٥) غدا يغدو فهو غاد : ذهب فى الصباح . والمراد هنا مجرد الذهاب عن الدنيا .

(٦) عتاد المرء بفتح العين ماهيأه . فهو مثل العدة . يريد أنها كانت سنده فى الحياة وعونه .

(٧) الضنا : الضعف والسقم . والأسى : الحزن .

(٨) رعى التجلد : مراعاته .

وَلِهِى عَلَيْـكِ مُصَاحِبٌ لِمَسِيرَتِى ... والدَّمْعُ فِيـكِ مُلَازِمٌ لِوِسَادِى [١]
فَإِذَا انْتَبَهْتُ فَأَنْتِ أَوَّلُ ذِكْرَتِى ... وَإِذَا أَوَيْتُ فَأَنْتِ آخِرُ زَادِى [٢]

وقال يصف الحرب :

وَلَمَّا تَدَاعَى الْقَـوْمُ وَاشْتَبَكَ القَنَـا ... وَدَارَتْ ، كَمَا تَهْوِى ، عَلَى قُطْبِهَا الْحَرْبُ [٣]
وَزُيِّنَ لِلنَّاسِ الفِرَارُ مِنَ الرَّدَى ... وَمَاجَتْ صُدُورُ الْخَيْلِ وَالْتَهَبَ الضَّرْبُ [٤]
وَدَارَتْ بِنَا الأَرْضُ الفَضَاءُ كَأَنَّنَا ... سُقِينَا بِكَأْسٍ لَا يُفِيقُ لَهَا شَرْبُ [٥]
صَبَرْتُ لَهَا حَتَّى تَجَلَّتْ سَمَاؤُهَا ... وَإِنِّى صَبُورٌ إِنْ أَلَمَّ بِىَ الْخَطْبُ

(١٠) قال حفنى بك ناصف [٦] يتحسر على ضياع علمه بموته :

أَتَقْضِى مَعِى إِنْ حَانَ حَيْنِى تَجَارِبِى ... وَمَا نِلْتُهَا إِلَّا بِطُـولِ عَنَائِى [٧]
وَأَبْذُلُ جُهْدِى فِى اكْتِسَابِ مَعَارِفٍ ... وَيَفْنَى الَّذِى حَصَّلْتُهُ بِفَنَائِى؟

---

(١) المسيرة : المسير .

(٢) أويت : يريد الدخول فى الفراش لطلب النوم . ومعنى هذا البيت شبيه بقول الشاعر :

آخر شىء أنت فى كل هجعة ... وأول شىء أنت عند هبوبى

على أن بيت البارودى أسلس وأبين . وما أبدع قوله « فأنت آخر زادى » .

(٣) تداعى القوم : دعا بعضهم بعضا الى القتال . والقنا : جمع قناة وهى الرمح . وشبه الحرب [illegible] دورانها على قطبها . وكما تهوى : لا تبالى [illegible]

(٤) الردى : الموت .

[illegible] شربون .

[illegible]

وَيَحْـــزُنُنِي أَلَّا أَرَى لِيَ حِيـــلَةً لِإِعطَائِهَا مَنْ يَسْتَحِقُّ عَطَائِي
إِذَا وَرِثَ الجُهَّالُ أَبْنَاءَهُمْ غِـــنًى وَجَاهًا فَمَا أَشْـــقَى بَـــنِي العُلَمَـاءِ!

ومن قصيدة له قالها فى حفلة للجمعية الخيرية الإسلامية وقد مضى على تأسيسها خمس وعشرون سنة :

اليَوْمَ أَوْفَتْ عَلَى خَمسٍ وعِشْرِينَا فَاسْتَقْبِلُوا عِيدَهَا الفِضِّيَّ مَيْمُونَا (١)
وَهَنِّئُـــوا فُقَرَاءَ المُسْـــلِمِينَ بِهِ وَصَافِحُوا بِيَـــدِ البِشْرِ المَسَاكِينَا
وَعَلِّلُوهُـــمْ بِآمَالٍ مُفَـــرِّحَـــةٍ فَطَالَمَا سَرَّتِ الآمَالُ مَحْـزُونَا (٢)
لَوْلَا الأَمَانِيُّ فَاضَتْ رُوحُهُمْ جَزَعًا مِنَ الهُمُومِ، وَأَمْسَى عَيْشُهُمْ هُونَا (٣)
وَاليَأْسُ يُحْدِثُ فِي أَعْضَاءِ صَاحِبِهِ ضَعْفًا، وَيُورِثُ أَهْلَ العَزْمِ تَوْهِينَا (٤)
وَيُخْرِسُ البُلْبُلَ الصَّدَّاحَ سَـــوْرَتُهُ وَتَسْـــلُبُ الذَّلِقَ المِنْطِيقَ تَبْيِينَـا (٥)
خَلُّوا سَـــوَاعِدَهُمْ تَمْتَدُّ نَاشِـــطَةً زَرْعًا وَصُـــنْعًا وَتَطْرِيقًا وَتَعْدِينَـا (٦)
اللهَ فِيهِمْ، فَحَرْثُ الأَرْضِ فِي يَدِهِمْ يُبْدُونَ مِن سِرِّهَا مَا كَانَ مَكْنُونَا (٧)
وَهُمْ قِيَامٌ عَلَى الأَنْعَامِ سَائِمَـــةً وَهُـــمْ طُهَـاةٌ وَنُسَّـاجٌ وَبَانُونَا (٨)

(١) أوفت : أشرفت . والميمون : المبارك .

(٢) علله بالشىء : شغله به وألهاه .

(٣) هونا : حقيرا .

(٤) توهينا : إضعافا .

(٥) سورته : حدته وسطوته . والذلق بكسر اللام : الفصيح .

(٦) طرق الحديد تطريقا : مدده ورققه . وتدن الحجر : قلعه . واستعمال التعدين فى صناعة المعادن مولد .

(٧) المراد بسر الأرض ماتخرج من ألوان النبات .

(٨) قيام : قائمون . وسائمة : راعية .

لَهُـــمْ يَدٌ كُلَّ يَوْمٍ فِي مَرَافِقِنَا ... فَلْتَجْرِ مِن فَوْقِ أَيْدِيهِـمْ أَيَادِينَـا (١)

أَنْتُمْ خَلَائِفُــهُ فِي الأَرْضِ أَلْزَمَكُمْ ... أَنْ تَعْمُرُوهَا وَتَفْتَنُّوا الأَفَانِينَا (٢)

وَلَنْ تَنَالُوا نَصِيبًا مِن خِلَافَتِــهِ ... إِلَّا بِأَنْ تُنْفِقُوا مِمَّـا تُحِبُّــونَا (٣)

فَبَـادِرُوا بِزَكَاةِ المَـالِ إِنَّ بِهَـا ... لِلنَّفْسِ وَالمَـالِ تَطْمِينًا وَتَحْصِينَا (٤)

(١١) وقال اسماعيل باشا صبرى (٥) يرثى (عمر) ابن المرحوم الشيخ على يوسف وقد مات صغيرا

يَا مَالِئَ العَيْنِ نُورًا وَالفُؤَادِ هَوًى ... وَالبَيْتِ أُنْسًا تَمَهَّـلْ أَيُّهَا القَمَـــرُ

لَا تُخْلِ أُفْقَكَ يَخْلُفْــكَ الظَّلَامُ بِهِ ... وَالْزَمْ مَكَانَكَ لَا يَحْلُلْ بِهِ الكَدَرُ (٦)

فِي الحَيِّ قَلْبَــانِ بَاتَا ـيَانَعِيمَهُمَاـ ... وَفِيهِمَا إِذْ قَضَيْتَ النَّارُ تَسْتَعِرُ (٧)

---

(١) أيادينا : نعمنا .

(٢) تفتنوا : تتفننوا . والأفانين : الأنواع واحدتها أفنونة بضم الهمزة . يريد الإبداع فى تعمير الأرض بكل ما أوتوا من ذكاء وجهد .

(٣) يشير الى قوله تعالى : « لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون » .

(٤) تحصين النفس حمايتها ووقايتها كأنه جعل لها حصنا .

(٥) ولد المرحوم اسماعيل باشا صبرى سنة ١٨٥٤ م ودرس الحقوق والآداب بمصر وفرنسا ، وشغل مناصب سامية آخرها وكالة الحقانية . وقد توفى سنة ١٩٢٣ م . . ويعد صبرى من أئمة الشعر الناهضين به فى رقة وجدة وبراعة مع إفادة من الأدب الغربى واتقان للأدب العربى .

(٦) لا يحلل : لا يحل .

(٧) الحى : منازل القوم ، ويريد به بيت أبيه . والقلبان : قلبا والديه ، وكان نعيمهما حيا . وقضى الرجل : مات .

وأعينٌ أربعٌ تبكي عليكَ أسًى ومن بُكاءِ الثَّكالَى السَّيلُ والمَطَرُ (١)

قد كُنتَ ريحانةً في البيتِ واحدةً يَروحُ فيهِ ويغدُو نَفحُها العَطِرُ (٢)

ما كانَ عيشُكَ في الأحياءِ مُختصرًا إلَّا كما عاشَ في أكمامِهِ الزَّهَرُ

فارحَلْ تُشيِّعكَ الأرواحُ جازعةً في ذِمَّةِ اللهِ بعدَ القبرِ يا عُمَرُ

ومن قوله يحمِّس المصريين على لسان فرعون :

لا القومُ قومِي ولا الأعوانُ أعواني إذا وَنَى يومَ تحصيلِ العُلا وانِي (٣)

ولستُ إنْ لم تؤيِّدْني فراعنةٌ منكُمْ بفرعونَ عالِي العرشِ والشَّانِ (٤)

* * *

لا تقرَبوا النِّيلَ إنْ لم تعملُوا عملًا فماؤُهُ العذبُ لم يُخلَقْ لكسلانِ

وقال في مسامحة الصديق :

إذا خانَني خِلٌّ قديمٌ وعقَّني وفَوَّقْتُ يومًا في مَقاتِلِهِ سَهْمِي (٥)

تعرَّضَ طيفُ الودِّ بيني وبينَهُ فكسَّرَ سَهْمِي، فانثنيتُ ولم أرْمِ

(١) الأسى : الحزن . والثكالى : جمع ثاكل وهو الذى يفقد ولده . ومن بكاء الخ : أى منه ما يشبه السيل والمطر فى تدفقه وانهماره .

(٢) ريحانة واحدة : لأنه مات ولم يكن لكلا والديه غيره . ونفح الطيب نفحاً : انتشرت رائحته . والعطر بفتح العين وكسر الطاء الطيب الرائحة .

(٣) ونى ينى فهو وان : أى ضعف وفتر .

(٤) يريد بالفراعنة من أهل مصر الذائدين عن حمى الوطن المشمرين للاصلاح . فاذا لم يكونوا كذلك فقد مددوا مبرلله وأضاعوا ذكره .

(٥) عقه : عصاه ولم يبر به وفوق السهم بتشديد الواو المفتوحة جعل الوتر فى فوقه عند الرمى ، والفوق بضم الفاء : هو رأس السهم . يريد بتسديد السهم الى ذلك الخائن التهيؤ لإيذائه والكيد له .

(ب) النـــثر

(١) كتب الشيخ حسن العطار

لَمَّا نَزَحْتُ عَنِ الأَوْطَانِ(١)، وَتَرَامَتْ بِي البُلْدَان، وَفَارَقْتُ الإِخْوَانَ وَالخُلَّان، وتَبَاعَدْتُ عَنِ السَّكَنِ والجِيرَان، أَخَذْتُ أَنْتَقِلُ مِن بَلَدٍ إلَى بَلَد، وَأَتَقَلَّبُ فِي السَّفَرِ مِن سُرورٍ إلى نَكَد، أَجُوبُ أَرْضًا بَعْدَ أَرْض، بَيْنَ رَفْعٍ وَخَفْض، وَتَرْحَالٍ وَحَطّ، وَضِيقٍ وَبَسْط، حَتَّى لَاحَ لِي وَجْهُ الرَّجَاءِ بَعْدَ القُنُوط، وَأَنَخْتُ(٢) بِبَلْدَةِ أُسْيُوط. فَشَاهَدْتُ أَحْسَنَ بَلَد، بِهَا يَلْهُو الوَالِدُ عَنِ الوَلَد:

مَنْزِلٌ فَسِيح، وَهَوَاءٌ صَحِيح. فَلَمَّا نَظَرْتُ الى ذَلِكَ الحُسْنِ، ذَهَبَ عَنِّي مَا أَجِدُهُ من الحُزْن. وَأَنَخْتُ الرَّحْلَ(٣) عَجِلَا، وَقُلْتُ مُرْتَجِلا:

سَقْيًا لِأُسْيُوطَ ذَاتِ الظِّلِّ وَالشَّجَرِ ... وَمَرْتَعِ اللَّهْوِ وَاللَّذَّاتِ وَالزَّهَرِ(٤)
مَنَازِلٌ بِصُنُوفِ العَيْشِ عَامِرَةٌ ... يَلْهُو النَّدِيمُ بِهَا فِي مُنْتَهَى الْعَطَرِ

فَأَلْقَيْتُ بِهَا عَصَا التَّسْيَار، وَتَبَوَّأْتُهَا(٥) خَيْرَ دَار.

---

(١) نزح عن الأوطان: فارقها وبعد عنها.

(٢) أناخ الجمل: بركه لينزل عنه. والمراد هنا حلوله بأسيوط.

(٣) الرحل بفتح الراء وسكون الحاء: ما يوضع على ظهر البعير كالسرج. وأطلقه هنا على البعير. والمراد على كل حال بإناخة الرحل نزوله بذلك البلد.

(٤) العيش: الحياة. ويريد بصنوف العيش أسباب متاعم الحياة.

(٥) تبوأ الدار: أقام بها.

(٢) رفاعة بك رافع الطهطاوى(١)

من كلام له فى حب الوطن :

إنَّ حُبَّ الوَطَنِ مِن الإِيمَانِ، وَمِن طَبْعِ الأَحْرَارِ إِحْرَازُ الحَنِينِ إِلَى الأَوْطَانِ ومَوْلِدُ الإِنْسَانِ عَلَى الدَّوَامِ مَحْبُوبٌ ، وَمَنْشَؤُهُ مَأْلُوفٌ لَهُ وَمَرْغُوبٌ . وَلِأَرْضِكَ حُرْمَةُ وَطَنِهَا، كَمَا لِوَالِدَتِكَ حَقُّ لَبَنِهَا . وَالْكَرِيمُ لا يَجْفُو أَرْضًا بِهَا قَوَابِلُهُ(٢) ، وَلَا يَنْسَى دَارًا فِيهَا قَبَائِلُهُ . فَإِنِّى وَإِنْ أَلْبَسَتْنِى المَحْرُوسَةُ نِعَمًا، وَرَفَعَتْ لِى بَيْنَ أَمْثَالِى عَلَمًا(٣) وَكَانَتْ أُمَّ الْوَطَنِ الْعَامِّ، وَوَلِيَّةَ الآلَاءِ وَالْإِنْعَامِ . وَأُحِبُّهَا حُبًّا جَمًّا، لِأَنَّهَا وَلِيَّةُ النَّعْمَاءِ. وَقَضَيْتُ فِيهَا الْأَرْبَعِينَ مُجَاوِرًا « كِرَامَ السَّجَايَا وَالْبُحُورَ الطَّوَامِيَا » فَلَا زِلْتُ أَتَشَوَّقُ إِلَى وَطَنِي الْخُصُوصِيِّ وَأَتَشَوَّفُ(٤) ، وَأَتَطَلَّعُ إِلَى أَخْبَارِهِ السَّارَّةِ وَأَتَعَرَّفُ . وَلَا أُسَاوِى بِطَهْطَا الْخِصْبَةِ سِوَاهَا، فِى الْقِيَامِ بِالْحُقُوقِ وَإِكْرَامِ مَثْوَاهَا .

مَنَازِلُ لَسْتُ أَهْوَى غَيْرَهَا سُقِيَتْ ... حَيًا يَعُمُّ وَخُصَّتْ بِالتَّحِيَّاتِ(٥)

---

(١) ولد بطهطا مدينة بسوهاج ودرس بالأزهر وفرانسا وشغل مناصب تعليمية وسواها وألف عدة كتب، وهو على الجملة من أول بناة النهضة الحديثة فى العلم والأدب . وتوفى سنة ١٢٩٠ هـ .

(٢) القوابل : جمع قابلة وهى امرأة التى تتلق الولد عند ولادته .

(٣) العلم بفتحتين : الراية . يريد أنها أعظمت شأنه وأكرمت محله .

(٤) تشوف الى الشىء : تطلع اليه .

(٥) الحيا : المطر . يدعو لها بالخصب .

وَأَمْنَحُها زَمَنًا بَعْدَ زَمَنٍ الزِّيَارَةَ، وَأَجَدِّدُ فِيهَا مِن هِبَاتِ الحُكُومَةِ العِمَارَةَ . وَأَبْذُلُ فِي مَحَبَّتِهَا النَّفِيسَ لِتَحْصِيلِ الأَرَاضِي لِلزَّرْعِ وَالغَرْسِ، وَأَفْتَخِرُ بِهَا كَمَا افْتَخَرَ عِصَامٌ بِالنَّفْسِ[1] . وَأُنْشِدُ قَوْلَ الحَافِظِ كَمَالِ الدِّينِ الأُدْفُوِيِّ :

أَحِنُّ إِلَى أَرْضِ الصَّعِيدِ وَأَهْلِهِ ... وَيَزْدَادُ وَجْدِي حِينَ تَبْدُو قِبَابُهَا
وَتَذْكُرُهَا فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ مُهْجَتِي ... فَتَجْرِي دُمُوعًا إِذْ يَزِيدُ الْتِهَابُهَا

(٣) للعلم بطرس البستاني[2] من مقدمة دائرة المعارف له

« ... لَيْسَ مَنْ يُنْكِرُ أَنَّ الأُمَمَ الشَّرْقِيَّةَ قَدْ شَرَعَتْ فِي تَوْسِيعِ خُطَاهَا فِي سَبِيلِ التَّمَدُّنِ وَالارْتِقَاءِ فِي سُلَّمِ المَعَارِفِ المُؤَدِّيَةِ إِلَى مَا هُنَالِكَ . وأَنَّ المُؤَلَّفَاتِ المَعْرُوفَةَ عِنْدَ الافرنج « بالأنسكلوبيديات » هِيَ من أَسْبَابِ المَنَافِعِ العُمُومِيَّةِ الَّتِي تَبْسُطُ أَمَامَ المُطَالِعِ كُلَّ عِلْمٍ ومَعْرِفَةٍ وَفَنٍّ وَصِنَاعَةٍ وَحِكْمَةٍ؛ بَلْ كُلَّ مَا فِي العَالَمِ مِنَ المَطَالِبِ والمَعَارِفِ المُهِمَّةِ، بِحَيْثُ يَسْتَغْنِي بِهَا عَنْ مِئَاتٍ مِنَ الكُتُبِ، وَتَفْتَحُ الأَبْوَابَ لِجَمِيعِ مَا ذُكِرَ، مَعَ سُهُولَةِ مِرَاسٍ وَقُرْبِ مَأْخَذٍ؛ حَتَّى إِنَّ كُلَّ شَعْبٍ مُتَمَدِّنٍ قَدْ أَدْخَلَ تِلْكَ المُؤَلَّفَاتِ فِي لُغَتِهِ، وَزَانَ جِيدَ مَكْتَبَتِهَا بِقَلَائِدِهَا .

(١) يشير الى قول النابغة الذبياني :

نفس عصام سودت عصاما ... وعلمتـه الكر والإقداما
وصيرته ملكا همـاما

(٢) هو بطرس بن بولس البستاني صاحب دائرة المعارف، وكان عالما واسع الاطلاع يعرف عدة لغات؛ وله عدا الدائرة معجم محيط المحيط ومختصره وقطر المحيط . وتوفي سنة ١٢٩٩ هـ .

ولمّا كان لابدّ لأهل العربيّة من الحصول على ذلك لمناسبة أحوالهم، وترقية أسباب التقدّم والتمدّن والثروة والرفاهية والعلوم والمعارف في ربوعهم، لكي يخطوا في مسالك من نهج هذا المنهج من معاصريهم، ولا سيّما بعد أن كثرت عندهم المؤلّفات والجرائد، ورأوا أنّهم في افتقار الى تحسين كلّ عمل من أعمالهم، لمجاورتهم البلدان المتمدّنة، وأنّهم غير فائزين بأسباب قطع سبلها لإدراكها وصيانة أنفسهم بإتقان أعمالهم من آفة اقتباس عادات وأعمال ليسوا بقادرين على القيام بسدّ احتياجاتها لافتقارهم الى معارف هذا الزمان، وأسباب إتقان زراعته وصناعته وتجارته؛ وهلمّ جرّا ممّا هو من أسباب النجاح والثروة — خطر لنا أن نؤلّف «أنسكلو بيديا» عربيّة تقوم بسدّ هذه الاحتياجات المقصودة .

(٤) لأديب إسحاق[1]

"أوروبا والشرق"

كتب تحت هذا العنوان :

قضى على الشرق أن يهبط بعد الارتفاع، ويذلّ بعد الامتناع . ويكون هدفاً لسهام المطامع والمطالب، تعبث به أيدى الأجانب من كلّ جانب . فمنهم من يغير عليه بحجّة الغيرة على الإنسانيّة، ومنهم من يتداخل فيه بدعوى إقامة المدنيّة . ولم نر منهم من صدق في دعواه، بل كلّهم تابع في ذلك قصده وهواه .

(١) ولد بدمشق وتعلم فى مدارس المرسلين العربية والفرنسية وأجاد الأدب العربى واشتغل بالسياسة والصحافة وأنشأ جريدة مصر واتصل بجمال الدين الأفغانى . توفى سنة ١٨٨٥ م . ويمتاز أسلوبه بالإرسال الممزوج بالسجع مع السهولة .

(٥) كتب المرحوم عبد الله فكرى باشا إلى صديق له

سَيِّدِى . سَلَّمَكَ اللهُ وَحَيَّاكَ ، وَأَسْعَدَنِى بِرُؤْيَةِ مُحَيَّاكَ(١) ، وَزَادَ عِزَّكَ وَعُلْيَاكَ ، وَحَرَسَ دِينَكَ وَدُنْيَاكَ ، وَجَمَعَنِى عَلَى بِسَاطِ الْمَسَرَّةِ وَإِيَّاكَ ، وَلَا حَرَمَنِى دَوَامَ لُقْيَاكَ . وَلَا بَرِحَ الدَّهْرُ مُبْتَسِمَ الثَّغْرِ بِمَحَاسِنِ مَعَالِيكَ ، مُبَاهِيًا أَعْصَارَ الْأَوَائِلِ بِأَيَّامِكَ وَلَيَالِيكَ ، مُحَلِّيًا أَجْيَادَ الْمَفَاخِرِ بِزَوَاهِرِ لَآلِيكَ .

وَرَدَ عَلَيَّ كِتَابُكَ الْكَرِيمُ ، مَوْرِدَ إِعْزَازٍ وَتَكْرِيمٍ ، فَبَلَّ بَعْضَ مَا فِي الْجَوَانِحِ(٢) مِنَ الصَّدَى(٣) ، وَأَنْعَشَنِي وَلَا انْتِعَاشَ الزَّهْرِ بِمُبَاكَرَةِ النَّدَى(٤) . وَجَلَا عَلَيَّ مِنَ الْبَلَاغَةِ رَوْضًا غَضًّا(٥) ، وَأَدَارَ لَدَيَّ صَفْوًا مِنْ سُلَافَةِ الْمَحَبَّةِ مَحْضًا(٦) . وَهَزَّنِى هِزَّةَ النَّشْوَانِ شَوْقًا وَطَرَبًا ، وَاسْتَفَزَّنِى بِمُعْجِزِ آيَاتِهِ الْحِسَانِ عُجْبًا(٧) وَعَجَبًا . وَنَثَرَ عَلَيَّ مِنْ مَحَاسِنِ لَفْظِكَ الْحُرِّ ، وَكَلِمَاتِكَ الْغُرِّ ، مَا يُخْجِلُ الدَّرَارِيَ(٨) وَيَفْضَحُ الدُّرَّ :

كَلَامٌ كَسَتْهُ بَهْجَةُ الْحُسْنِ رَوْنَقًا ... هُوَ السِّحْرُ لَا بَلْ جَلَّ قَدْرًا عَنِ السِّحْرِ

---

(١) المحيا بضم الميم وتشديد الياء : الوجه .

(٢) الجوانح : الأضلاع واحدتها جانحة .

(٣) الصدى : شدة الظمأ ، والمراد به هنا شدة الشوق .

(٤) الندى : المطر ، ومباكرته : نزوله فى الصباح الباكر

(٥) الغض : الناضر .

(٦) السلافة من أسماء الخمر ، ومحضا أى خالصة لم تمزج بماء .

(٧) العجب بضم العين وسكون الجيم : الزهو والتكبر .

(٨) الدرارى : الكواكب المضيئة .

(٦) وكتب سليم تقلا[1]

"القطر المصري"

عن جريدة الأهرام في سنة ١٨٨٣ :

اَخْتَلَفَتِ الجَرَائِدُ الأُورُبِيَّةُ رَأْيًا فِي شَأْنِ أَحْوَالِ المَالِيَّةِ المِصْرِيَّةِ، فَخَاضَتْ فِي هَذَا المَوْضُوعِ تَخْبِطُ فِيهِ خَبْطَ عَشْوَاءَ، لا تُمَيِّزُ صَحِيحَهُ مِنْ فَاسِدِهِ، وجُلُّ ما بَنَتْ عَلَيْهِ بَحْثَهَا مُرَاسَلَاتٌ غَيْرُ وَافِيَةٍ، نَقَلَتْهَا إِلَيْهَا أَقْلَامُ بَعْضِ الأَجَانِبِ الَّذِينَ لَمْ تَتَوَفَّرْ لَهُمُ الخِبْرَةُ الكَافِيَةُ، مِنْ مَاهِيَّةِ البِلَادِ وَحَالَتِهَا، وَأَسْبَابِ زِيَادَةِ وَارِدَاتِهَا أَوْ نُقْصَانِهَا وَمَا شَاكَلَ ذَلِكَ .

وَلَمَّا كَانَ بَعْضُ هَؤُلَاءِ الكُتَّابِ قَدْ حَرَّرُوا مَقَالَاتٍ بِهَذَا الشَّأْنِ خَرَجَتْ عَنْ دَائِرَةِ الحَالَةِ الوَاقِعِيَّةِ، وَتَوَرَّطُوا فِي شُرُوحٍ لَمْ يَكُونُوا لِيُدْرِكُوا مُقْتَضَيَاتِهَا حَقَّ الإِدْرَاكِ، جَنَحَ بَعْضُ أَصْحَابِ الغَايَاتِ إِلَى تَأْوِيلِ تِلْكَ المَقَالَاتِ تَأْوِيلًا يَحْسَبُونَهُ آئِلًا الى مَنْفَعَتِهِمُ الخَاصَّةِ، فَأَخَذَتْ تَتَضَارَبُ الأَفْكَارُ وَالمَصَالِحُ تَضَارُبًا عَادَ بِالضَّرَرِ الحِسِّيِّ وَالمَعْنَوِيِّ عَلَى البِلَادِ المِصْرِيَّةِ، وَلِذَلِكَ رَأَيْنَا أَنْ نَذْكُرَ مِنْ غَوَامِضِ هَذِهِ المَسْأَلَةِ، وَنَكْشِفَ عَنْ مُخَبَّآتِهَا، لَعَلَّ مَا نَبْسُطُهُ بِهَذَا الشَّأْنِ يَكُونُ فِيهِ بَعْضُ الفَائِدَةِ لِقُرَّاءِ هَذِهِ الجَرِيدَةِ وَسِوَاهَا فَنَقُولُ :

---

(١) نشأ في لبنان وزاول فن التحرير والإنشاء وهاجر الى مصر وأصدر جريدة الأهرام ولقي في إصدارها صعابا جمة وكان يساعده في إصدارها أخوه بشارة تقلا واضطر أيام الثورة العرابية إلى الهجرة الى سورية ثم عاد الى القاهرة وأعاد إصدار الأهرام، ثم مرض وعاد الى لبنان وبها مات سنة ١٣١٠ هـ .

المُقَرَّرُ أنَّ البِلَادَ المِصْرِيَّةَ مِنْ أحْسَنِ البِلَادِ تُرْبَةً، وَأغْنَاهَا أرْضًا، فَإنَّ حَيَاتَهَا وَخِصْبَهَا وَغِنَاهَا وَثَرْوَتَهَا مُتَوَقِّفَةٌ عَلَى مَا خَصَّهَا اللهُ بِهِ مِنْ بَرَكَاتِ بَحْرِ النِّيلِ الَّذِي يُرْوِي أرَاضِيَهَا بِمِيعَادٍ مَضْرُوبٍ فَيُقَوِّي مَا ضَعُفَ فِيهَا، وَيُكْسِبُهَا قُوَّةً جَدِيدَةً عَنِ الَّتِي اقْتَضَتْهَا مِنْهَا المَزْرُوعَاتُ الشَّتَوِيَّةُ، فَهُوَ لَهَا إكْسِيرٌ وَمَعْدِنٌ مِنَ الخِصْبِ لَا يَفْنَى، وَلِذَا فَمَا نَسَبَهُ البَعْضُ إلَيْهَا مِنَ الافْتِقَارِ لَيْسَ إلَّا أمْرًا وَهْمِيًّا نَاتِجًا مِنَ الجِهَةِ الوَاحِدَةِ عَنْ سُوءِ حَالَةِ الفَلَّاحِ وَعَدَمِ انْتِظَامِ أعْمَالِهِ. وَمِنَ الجِهَةِ الثَّانِيَةِ عَنِ ازْدِيَادِ النَّفَقَاتِ السَّنَوِيَّةِ مِنْ جَرَّاءِ الاحْتِلَالِ وَالتَّعْوِيضَاتِ وَمَا ضَارَعَ ذَلِكَ، لِأنَّ الرَّجُلَ إذَا أصَابَهُ ألَمٌ فِي بَعْضِ أعْضَائِهِ، وَهَى جِسْمُهُ إجْمَالًا وَامْتَدَّ الضَّعْفُ إلَى أعْضَائِهِ السَّلِيمَةِ لَا عَنْ خَلَلٍ بِهَا، بَلْ عَنْ تَأثِيرٍ مِنَ العُضْوِ السَّقِيمِ. وَهَذِهِ هِيَ حَالُنَا.

(٧) ولعلى باشا مبارك(١) من كتابه الخطط التوفيقية

"القاهرة قبل العائلة المحمدية"

مَنْ أمْعَنَ النَّظَرَ فِيمَا كَتَبْنَاهُ، وَتَأمَّلَ فِيمَا سَطَّرْنَاهُ، عَلِمَ أنَّ الفَاطِمِيِّينَ مَا قَصَدُوا بِوَضْعِ القَاهِرَةِ إلَّا جَعْلَهَا مَعْقِلًا لِعَسَاكِرِهِمْ، وَمَقَرًّا لِخُلَفَائِهِمْ. فَلِذَا سَوَّرُوهَا بِالسُّورِ، وَجَعَلُوا لَهَا الأبْوَابَ المَنِيعَةَ وَاشْتَرَطُوا لِلْمُرُورِ بِهَا شُرُوطًا، وَلَمْ يُبِيحُوا سُكْنَاهَا لِكُلِّ أحَدٍ، كَمَا هُوَ شَأنُ الحُصُونِ. وَلَمْ يَحْصُلِ التَّهَاوُنُ فِي ذَلِكَ إلَّا آخِرَ مُدَّتِهِمْ، فَسَكَنَهَا بَعْضُ النَّاسِ وَانْبَثُّوا فِي رِحَابِهَا. وَكَانَتْ عَاصِمَةُ الحُكُومَةِ مَدِينَةَ

---

(١) هو العالم المؤرخ والمؤلف المترجم على بن مبارك بن سليمان. ولد بمديرية الدقهلية ودرس بالمدارس المصرية وبأوربا، وقام بإصلاح فى الحربية والمعارف، وأسس دار العلوم ودار الكتب. وبقى يتقلب فى النظارات ووكالاتها وقد توفى سنة ١٣١١ هـ. وله عدة مؤلفات.

الفُسْطَاطِ . وَلَمَّا زَالَتْ دَوْلَةُ الفَاطِمِيِّينَ بالأَكْرَادِ الأَيُّوبِيَّةِ، أَبَاحُوا سُكْنَاهَا لِكُلِّ أَحَدٍ، وَأَخَذَ رِجَالُ الدَّوْلَةِ يَغْرِسُونَ حَوْلَهَا البَسَاتِينَ وَيَبْنُونَ بِهَا القُصُورَ لِلنُّزْهَةِ وَتَغْيِيرِ الهَوَاءِ كَمَا هُوَ الآنَ فِي مَبَانِي جِهَةِ شُبْرَى (شبرا) ثُمَّ بِتَقَادُمِ الزَّمَانِ وَازْدِيَادِ الثَّرْوَةِ بَنَى النَّاسُ فِي الفَضَاءِ وَفِي أَرْضِ تِلْكَ البَسَاتِينِ، وَعَلَى مَا تَخَلَّفَ مِنَ النِّيلِ فِي الأَرَاضِي، وَحَوْلَ البِرَكِ المُتَخَلِّفَةِ عَنْهُ . وَتَجَدَّدَتِ الأَسْوَاقُ والدُّرُوبُ فَاتَّسَعَتِ المَدِينَةُ بِاتِّصَالِ تِلْكَ المَبَانِي بِهَا، حَتَّى كَانَ زَمَنُ النَّاصِرِ مُحَمَّدِ بْنِ قَلَاوُونَ فَأَخَذَتْ فِيهِ العِمَارَةُ غَايَتَهَا، وَبَلَغَتِ البَلَدُ فِي السَّعَةِ نِهَايَتَهَا، لِكَوْنِهِ كَانَ مَشْغُوفًا بِالأَبْنِيَةِ، فَحَذَا النَّاسُ حَذْوَهُ، وَجَدَّدُوا المَبَانِيَ العَظِيمَةَ، لَا سِيَّمَا عِنْدَ مَا حَفَرَ الخَلِيجَ النَّاصِرِيَّ، فَإِنَّ النَّاسَ أَكْثَرُوا مِنَ المَبَانِي عَلَى حَافَّتَيْهِ كَمَا نَوَّهْنَا بِذَلِكَ فِيمَا تَقَدَّمَ .

(٨) وكتب نجيب الحدّاد فى « إرضاء الناس »

«عِبَارَةٌ لَوْ وُضِعَتْ فِي كُتُبِ اللُّغَةِ لَكَانَتْ أُخْتَ المُسْتَحِيلِ فِي المَعْنَى، وَمُرَادِفَ النَّجْمِ فِي البُعْدِ، وَشِبْهَ الكِبْرِيتِ الأَحْمَرِ فِي النُّدْرَةِ والقِلَّةِ . و إِنْ شِئْتَ فَقُلْ : إِرْضَاءُ النَّاسِ كَلِمَةٌ تُقَالُ، وَلَا تُنَالُ، حَتَّى يُصَاغَ مِنَ الخَاتَمِ خَلْخَالٌ . وَمَنْ لَا يَقْدِرُ أَنْ يُرْضِيَ الوَاحِدَ الفَرْدَ فِي جَمِيعِ أَخْلَاقِهِ فَكَيْفَ يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يُرْضِيَ الجميعَ؟ ... » .

ومن كلامه الجارى مجرى الحكم :

مَنْ جَارَ عَلَى صِبَاهُ، جَارَتْ عَلَيْهِ شَيْخُوخَتُهُ .

مهما اجتهدت المرأة في أن تقلد الرجل فكل ما تصل إليه أنها لا تصير رجلا ولا تعود امرأة .

من غريب طبائع الإنسان أنه يحب العدالة مظلوما ، ويكرهها ظالما ، ويطلب الحرية مرءوسا ، وينكرها رئيسا .

(٩) قال مصطفى بك نجيب يصف الحاكى (الفونغراف)

مثال القوة الناطقة ، من غير إرادة سابقة . يقتطف الألفاظ اقتطافا ، ويختطف الصوت اختطافا . مطبعة الأصوات ، ومرآة الكلمات . ينقل الكلام من ناحية إلى ناحية ، نقل كلام عمر رضى الله عنه إلى سارية[1] . أشد من الصدى في فعله ، في إعادة الصوت إلى أصله . كأنه الحرف عن يد الطابع ، والوتر عن يد الضارب ، والقصب عن فم القاصب . يحفظ الكلام ولا يبيده ، ومتى استعدته منه يعيده . من غير أن يبقى لفظا في صدره ، أو يكتم شيئا من أمره . كأنما حفظ الوديعة ، في نفسه طبيعة . فلو تقدم له الوجود في مرتبة الزمن لما احتجنا في الأخبار الى عنعنة ، ولا في الدعاوى الى بينة . بل كان يسمعنا كلام السيد المسيح في المهد ، وصوت عازر[2] من اللحد . وكانت استودعته الفلاسفة حكمتهم ، وأنشدوه كلمتهم . فرأينا به غرائب اليونان ، وبدائع الرومان ، وربما سمعنا خطب سحبان ، وشعر سيدنا حسان ، بذلك اللسان ، وأصبح وجود الإنسان ،

---

(١) هو سارية الجبل الذى روى أنه سمع نداء عمر بن الخطاب رضى الله عنه من مكان بعيد .

(٢) عازر بفتح الزاى هو الذى أحياه عيسى عليه السلام .

غيرَ محدودٍ بزمنٍ من الأزمانِ . لله دَرُّه من تلميذٍ يستوعبُ ما عندَ المعلِّمِ ويستخلصُهُ في لحظةٍ، مُعيدًا لقولِهِ ناقلًا صوتَهُ ولفظَهُ :

لقدْ وجدتَ مكانَ القولِ ذا سعةٍ فإنْ وجدتَ لسانًا قائلًا فقُلِ

نديمٌ ليسَ فيهِ هفوةُ النديمِ، وسميرٌ لا يُنسبُ إليهِ تقصيرٌ . تُسكتُهُ وتَستعيدُهُ، وتذمُّهُ وتستجيدُهُ . وهوَ في كلِّ هذهِ الأحوالِ ، راضٍ بما يُقالُ . لا يكلُّ من تحادثٍ ، ولا يملُّ من حديثٍ . نمّامٌ كما ينمُّ لكَ ينمُّ عليكَ، وينقلُ لغيركَ كما ينقلُ إليكَ . فهوَ المصوّرُ لكلِّ فنٍّ، المتكلّمُ بكلِّ لغةٍ . المحدّثُ عن كلِّ إنسانٍ، المؤرّخُ لكلِّ زمانٍ . الشاعرُ الناثرُ، المغنّي العازفُ . لا تُعجزُهُ العبارةُ، ولا تُجهدُهُ الإدارةُ . ولا يَضيرُهُ اختلافُ شكلٍ، ولا تباينُ أصلٍ .

(١٠) من كتاب لابراهيم بك المويلحى[١] الى السيد أبى الهدى الصيادى رحمهما الله

أُقبِّلُ يدًا خُلِقَ باطنُها للكرمِ، وظاهرُها للقُبَلِ . وبعدُ فقد أقرأني (فلان) كتابًا أتاهُ منْ (فلان) فيه منَ الطعنِ على البيتِ الرفاعيِّ[٢] الرفيعِ . وذكرَ السيّدَ (فلانًا) بما لو سمعَهُ المسكينُ لكرَّ[٣] هائمًا على وجهِهِ، أو عائمًا على قفاهُ . ولترَكَ بلدًا ليسَ فيه

---

(١) أصل أجداده من مرفأ المويلح ببلاد العرب جاءوا الى مصر من زمن قديم . وقد ولع بالأدب منذ صغره حتى خرج كاتبا أديبا وأنشأ جريدة نزهة الأفكار وحرر فيها وفى غيرها وشغل مناصب عدة وتوفى سنة ١٣٢٣ هـ .

(٢) البيت الرفاعى : بيت السيد أبى الهدى .

(٣) كر : رجع .

للحق سمّاعون، ولا لكلمة الصدق واعون . لا هو كالبادية فيحفظ المرء فيها شرفه بقوته، ولا كالحضر فيعتز المرء فيه بحسن سيرته؛ بل كالجحيم كلما دخلت أمة لعنت أختها . وماذا أقول في بلد لو كان المرء يمشى فيه على بساط سليمان ، ويجلس على عرش بلقيس، ويأكل شواء من كبش إسمعيل ، ويشرب مع الخضر من عين الحياة، وينادمه مالك وعقيل(١)، ويصرف خاتمه الأمر من مصر إلى عدن، فالشام، فالعراق، فأرض الروم، فالنوب(٢) . وكان معه أمثال هؤلاء يساكنون فيه وهو غير قادر على أن يسحقهم فيؤذيهم، أو يمحقهم فيرديهم(٣)، لكان المشى على شوك السيال(٤)، والجلوس على صخرة من منقطع العمران، والأكل من رأس الضب(٥)، والشرب من الطحلب(٦)، والجلوس مع حسن باشا محافظ بشكطاش، أهنأ للنفوس وأروح للبال :

لمن تطلب الدنيا إذا لم ترد بها سرور محب أو إساءة مجرم

* * *

أكتب كتابي هذا إليك ونفسي تنظر إلى نفسك في علوها وارتفاعها نظر السلحفاة إلى الأجدل(٧)، فوق شرفات المجدل(٨) . وتحدثني : لو مدّ لي طريق قضبانه

(١) مالك وعقيل : نديمان مشهوران قديمان .

(٢) النوب : بلاد النوبة . (٣) يرديهم : يهلكهم .

(٤) السيال بفتح السين : نبات له شوك أبيض طويل .

(٥) يضرب المثل برأس الضب فى الصلابة فيقال : هو يذيب دماغ الضب .

(٦) الطحلب : خضرة تعلو الماء المزمن .

(٧) الأجدل : الصقر . (٨) المجدل بكسر الميم وفتح الدال : القصر .

مِنَ الذَّهَبِ لَا الحَدِيدِ، وَمَرْكَبَاتُهُ مِنَ اليَوَاقِيتِ، وَسَائِقُ آلَتِهِ جِبْرَائِيلُ، لِيُبْلِغَنِي بَلَدًا أُسَاكِنُ فِيهِ هَؤُلَاءِ القَوْمَ، لَفَضَّلْتُ الجُلُوسَ حَيْثُ أَنَا الآنَ. أَكْتُبُ لَكَ هَذَا الكِتَابَ تَحْتَ ظِلِّ هَذِهِ الشَّجَرَةِ لَا أَظْلِمُ وَلَا أُظْلَمُ.

(١١) للشيخ محمد عبده[(١)] يصف نهج البلاغة

أَوْفَى لِي حُكْمُ القَدَرِ بِالاطِّلَاعِ عَلَى كِتَابِ (نَهْجِ البَلَاغَةِ) مُصَادَفَةً بِلَا تَعَمُّلٍ. أَصَبْتُهُ عَلَى تَغَيُّرِ حَالٍ، وَتَبَلْبُلِ بَالٍ[(٢)]، وَتَزَاحُمِ أَشْغَالٍ، وَعُطْلَةٍ مِنْ أَعْمَالٍ. فَحَسِبْتُهُ تَسْلِيَةً. وَجَعَلْتُهُ لِلتَّخْلِيَةِ. فَتَصَفَّحْتُ بَعْضَ صَفَحَاتِهِ، وَتَأَمَّلْتُ جُمَلًا مِنْ عِبَارَاتِهِ، مِنْ مَوَاضِعَ مُخْتَلِفَاتٍ، وَمَوَاضِيعَ مُتَفَرِّقَاتٍ. وَكَانَ يُخَيَّلُ لِي فِي كُلِّ مَقَامٍ أَنَّ حُرُوبًا شُبَّتْ. وَغَارَاتٍ شُنَّتْ. وَأَنَّ لِلبَلَاغَةِ دَوْلَةً. وَلِلفَصَاحَةِ صَوْلَةً. وَأَنَّ لِلأَوْهَامِ عَرَامَةً[(٣)]، وَلِلرَّيْبِ دَعَارَةً[(٤)]. وَأَنَّ جَحَافِلَ[(٥)] الخَطَابَةِ، وَكَتَائِبَ[(٦)] الذَّرَابَةِ[(٧)].

---

(١) نشأ الشيخ محمد عبده بمحلة نصر من قرى البحيرة، وحفظ القرآن ودرس بالأزهر واتصل بجمال الدين الأفغاني فخرج عالما كاتبا خطيبا حر الفكر، درس بالأزهر ودار العلوم وشغل مناصب القضاء والإفتاء وله مؤلفات ومقالات دينية واجتماعية وسياسية، توفي سنة ١٣٢٣ هـ.

(٢) تبلبل البال: سوءه واضطرابه.

(٣) عرامة بفتح العين: شدة وشراسة.

(٤) الدعارة بفتح الدال وكسرها: الفجور وسوء الخلق.

(٥) الجحافل: جمع جحفل بفتح الجيم وهو الجيش الكثير.

(٦) الكتائب: جمع كتيبة بفتح الكاف، وهي القطعة من الجيش.

(٧) الذرابة بفتح الذال. الفصاحة.

في عُقُـودِ النِّظَامِ، وَصُـفُوفِ الانْتِظَامِ. تُنَافِحُ بِالصَّـفِيحِ الأَبْلَجِ، وَالقَـوِيمِ الأَمْلَجِ. وَتَمْتَلِجُ المُهَـجَ، بِرَوَائِـعِ الحُجَجِ. وَتَفِـلُّ دَعَارَةَ الوَسَاوِسِ، وَتُصِيبُ مَقَـاتِلَ الخَوَانِسِ. فَمَـا أَنَا إِلَّا وَالحَقُّ مُنْتَصِرٌ، وَالبَاطِلُ مُنْكَسِرٌ. وَمَرَجُ الشَّكِّ فِي خُمُـودٍ، وَهَرَجُ الرَّيْبِ فِي رُكُودٍ. وَأَنَّ مُدَبِّرَ تِلْكَ الدَّوْلَةِ، وَبَاسِـلَ تِلْكَ الصَّـوْلَةِ. هُوَ حَامِلُ لِوَائِهَا الغَالِبُ. أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ. بَلْ كُنْتُ كُلَّمَـا انْتَقَلْتُ مِنْ مَوْضِـعٍ إِلَى مَوْضِعٍ أُحِسُّ بِتَغَـيُّرِ المَشَاهِـدِ. وَتَحَوُّلِ المَعَاهِـدِ: فَتَارَةً كُنْتُ أَجِدُنِي فِي عَالَمٍ يَغْمُرُهُ مِنَ المَعَانِي أَرْوَاحٌ عَالِيَـةٌ، فِي حُلَلٍ مِنَ العِبَارَاتِ الزَّاهِيَةِ. تَطُوفُ عَلَى النُّفُوسِ الزَّاكِيَةِ، وَتَدْنُو مِنَ القُلُوبِ الصَّافِيَةِ. تُوحِي إِلَيْهَا رَشَادَهَا، وَتُقَوِّمُ مِنْهَا مُنَآدَهَا. وَتَنْفِرُ بِهَا عَنْ مَدَاحِضِ المَزَالِّ، إِلَى جَوَادِّ الفَضْلِ وَالكَمَالِ. وَطَوْرًا كَانَتْ تَتَكَشَّفُ لِي الجُمَلُ عَنْ وُجُوهٍ بَاسِرَةٍ،

(١) تنافح: تدافع.

(٢) الصفيح: يريد به السيف.

(٣) الأبلج: الأبيض اللامع.

(٤) يريد بالقويم الأملج: الرمح المعتدل الأسمر.

(٥) تمتلج: تمتص.

(٦) المهج: جمع مهجة بضم الميم وهي دم القلب.

(٧) لعله يريد بالخوانس: ما يجول في النفس من خواطر السوء.

(٨) المرج بفتح الراء القلق والاضطراب، وإنما تسكن الراء اذا قرنت بالهرج. والمرج بسكون الراء: الفتنة.

(٩) الزاكية: المطهرة.

(١٠) المنآد: المعوج.

(١١) المداحض: جمع مدحضة بفتح الميم وهي المزلقة والمزلة.

(١٢) الجواد بتشديد الدال: جمع جادة وهي معظم الطريق ووسطه.

(١٣) باسرة: متقطبة.

وأنياب كاشرة . وأرواح في أشباح النمور ، ومخالب النسور . وقد تحفزت للوثاب ، ثم انقضت للاختلاب . فخلبت القلوب عن هواها ، وأخذت الخواطر دون مرماها . واغتالت فاسد الأهواء ، وباطل الآراء . وأحيانا كنت أشهد أن عقلا نورانيا ، لا يشبه خلقا جسدانيا . فصل(١) عن الموكب الإلهي . واتصل بالروح الإنساني . نخلعه عن غاشيات الطبيعة وسما به إلى الملكوت الأعلى . ونما(٢) به إلى مشهد النور الأجلى . وسكن به إلى عمار جانب التقديس ، بعد استخلاصه من شوائب التلبيس . وآنات كأني أسمع خطيب الحكمة ، ينادي بأعلياء الكلمة . وأولياء أمر الأمة . يعرفهم مواقع الصواب ، ويبصرهم مواضع الارتياب ، ويحذرهم مزالق الاضطراب . ويرشدهم إلى دقائق السياسة ، ويهديهم طريق الكياسة ، ويرتفع بهم إلى منصات(٣) الرياسة . ويصعدهم بشرف التدبير ، ويشرف بهم على حسن المصير .

(١٢) كتب الشيخ ابراهيم اليازجي(٤) الى صديق له

مهما زدتني من جميلك المألوف ، وصنيعك المعروف ، فما أزيدك على ما ينطق به لسان حالي من الاعتراف بتطولك(٥) ، والثناء على تفضلك ، لا سيما فيما

(١) فصل عنه بصيغة البناء للفاعل : خرج منه .

(٢) نما به : ارتفع .

(٣) المنصات : جمع منصة بكسر الميم وهي الكرسي .

(٤) كان إبراهيم اليازجي من علماء اللغة والنحو والأدب ، ألف عدة كتب وأصدر بمصر مجلتي البيان والضياء ، وقد توفي سنة ١٣٢٤ هـ .

(٥) تطولك : تفضلك .

أبديت من الحفاوة[1] واللطف في جانب أخي وأخيك النازل في كنف[2] تدبيرك، الموكول إلى حسن رأيك. وهي يد[3] لك حملت جميلها على عاتقي[4] فوق ما أثقلته أياديك السابقة، وألطافك[5] السالفة. وإني لآمل له بموازرتك نجحا لا يعترضه إخفاق مسعى، وفوزا لا يصدف[6] عنه طيش رأي. وأسأل الله لك وله السلامة والتوفيق بمنه وطوله[7].

(١٣) ولمصطفى كامل باشا[8] من خطبة له رحمه الله

... مثل مصر اليوم وهي على باب السعادة المقبلة مثل مريض قارب الشفاء، ينصح له الطبيب بزيادة التحفظ وعدم التعرض للهواء لئلا ينتكس بالعلة فتعود عليه بويل أشد من ويلها الأول. فلنحترس جميعا معشر المصريين من التعرض إلى ما وراءه تعريض الوطن نفسه إلى خطر عظيم.

وإن صفتي التسامح والغفران اللتين اشتهرت بهما الأمة المصرية كانتا من أعظم الأسباب التي استمالت قلوب الأوربيين نحوها، وجعلتهم يعتبرون مصر

(١) الحفاوة بالرجل: إكرامه وإظهار السرور برؤيته
(٢) الكنف بفتحتين: الظل.
(٣) اليد: النعمة.
(٤) العاتق: ما بين المنكب والعنق.
(٥) الألطاف: جمع لطف بفتحتين وهو الإحسان والإتحاف.
(٦) لا يصدف: لا يصرف.
(٧) الطول بفتح الطاء: الفضل.
(٨) نشأ بمصر ودرس الحقوق واشتغل بالسياسة مناهضا الاحتلال الانجليزي بخطبه ومقالاته وكتبه ونشر دعوته في أوربا، وقد أنشأ بمصر جريدة اللواء وألف الحزب الوطني، وتوفي سنة ١٣٢٦ هـ.

كَقِطْعَةِ أَرْضٍ مِن أَقْطَارِهِمْ، فَهُمْ يَقْطُنُونَهَا آمِنِينَ مُطْمَئِنِّينَ، مُمَتَّعِينَ بِرَاحَةِ البَالِ، والبُعْدِ عن البَلْبَالِ[1]. ولِذَا وَجَدْنَا مِنْهُمْ، عَلَى اخْتِلَافِ جِنْسِيَّاتِهِمْ نُصَرَاءَ أَشِدَّاءَ لِلْمُطَالَبَةِ بِحُقُوقِ مِصْرَ وتَحْقِيقِ رَغَبَاتِ أَبْنَائِهَا .

فَدَاوِمُوا أَيُّهَا الوَطَنِيُّونَ الأَعِزَّاءُ عَلَى إِكْرَامِ وِفَادَةِ ضُيُوفِكُمْ وَنُزَلَائِكُمْ الَّذِينَ يَشْتَرِكُونَ مَعَكُمْ فى الإِحْسَاسَاتِ نَحْوَ هَذَا البَلَدِ الأَمِينِ . وَلْيَكُنْ مَبْدَؤُنَا دَائِمًا : "أَحْرَارٌ فِي بِلَادِنَا . كُرَمَاءُ لِضُيُوفِنَا" .

وَإِنَّ فى مِصْرَ فِئَةً مِنَ النَّاسِ نَسِيَتْ أَنَّ الأَمَلَ، دَاعِي العَمَلِ . فَلَبِسَتْ ثِيَابَ اليَأْسِ، وَقَضَتْ بِظُنُونِهَا عَلَى مُسْتَقْبَلِ الوَطَنِ العزيز . وَجَعَلَتْ مُهِمَّتَهَا فى الأُمَّةِ تَثْبِيطَ الهِمَمِ وَإِقْعَادَ العَزَائِمِ . فَلَا تُنَادِي فِي المَحَافِلِ وَالأَنْدِيَةِ إِلَّا بِأَنَّهُ لَيْسَ لِمِصْرَ حَظٌّ فى المُسْتَقْبَلِ مِن الحُرِّيَّةِ والسَّعَادَةِ الاجْتِمَاعِيَّةِ . وَأَنَّ شَعْبَهَا قَدْ مَاتَ مِن زَمَنٍ طَوِيلٍ، وَلَيْسَ لِمُفَكِّرٍ عَاقِلٍ أَنْ يُؤَمِّلَ لَهُ مُسْتَقْبَلًا جَدِيدًا . وَتَرَى رِجَالَ هَذِهِ الفِئَةِ اليَائِسَةِ يَرْمُونَ كُلَّ رَجُلٍ يَقُوم بِالدِّفَاعِ عَنْ حُقُوقِ البِلَادِ المُقَدَّسَةِ بِعَدَمِ الخِبْرَةِ وَقِصَرِ النَّظَرِ، قَائِلِينَ له :

لَقَدْ أَسْمَعْتَ لَوْ نَادَيْتَ حَيًّا   وَلَكِنْ لَا حَيَاةَ لِمَنْ تُنَادِى

وَعِنْدِى أَنَّ الرِّجَالَ اليَائِسِينَ، وَإِنْ كَانُوا أَقَلَّ مِن القَلِيلِ، يَضُرُّونَ بِلَادَهُمْ أَعْظَمَ ضَرَرٍ بِمَا يَقُولُونَهُ وَيُكَرِّرُونَهُ، إِذْ أَنَّ قَتْلَ العَوَاطِفِ الشَّرِيفَةِ، وَإِخْمَادَ نَارِ الغَيْرَةِ الوَطَنِيَّةِ أَكْبَرُ جِنَايَةٍ تُجْنَى عَلَى الوَطَنِ وَأَهْلِهِ . فَلْيَكُنْ مِن وَاجِبَاتِنَا أَنْ نَتْرُكَ

---

(١) البلبال بفتح الباءين : شدة الهم .

هَؤُلَاءِ اليَائِسِينَ فى سُفُنِ يَأْسِهِمْ، تُصَعِّدُهُمْ أَمْوَاجُ الأَفْكَارِ وَتَهْبِطُ بِهِمْ، حَتَّى يَصِلُوا إِلَى شَاطِئِ الْخَيْرِ وَبَرِّ الرَّفَاهِيَةِ . فَنُذَكِّرُهُمْ عِنْدَئِذٍ بِفَسَادِ مَزَاعِمِهِمْ وَخَطَإِ آرَائِهِمْ .

(١٤) لقاسم بك أمين من كتاب المرأة الجديدة[1]

فى حرية المـــرأة

دلت التجربةُ على أن الحريةَ هى منبعُ الخير للانسان وأصلُ ترقّيه وأساسُ كماله الأدبى، وأن استقلالَ إرادة الإنسان كانت أهمَّ عامل أدبى فى نهوض الرجال ؛ فلا يمكن أن يكون لها إلا مثل ذلك الأثر فى نفوس النساء .

غاية الأمر أن كل تغيــير يُعرَض على الأنظار فى صورة مشروع يُلتمس قبــوله ولم يكن بدأ الناس فيه من قبل هو فى الحقيقة فكرٌ سبق أوانَه وقتُ عَرْضه، ولهذا لا يفهمه ولا يقدُره حق قدره إلا العدد القليل ممن يمتد نظرهم الى ما يُكنّه المستقبل من الحوادث . انظر الى حالة مصر : عاشت الأمة المصرية أجيالًا فى الاُســتعباد السياسى فكانت النتيجة انحطاطا عاما فى جميع مظاهر حياتها ؛ انحطاطا فى العقول. وانحطاطا فى الأخلاق، وانحطاطا فى الأعمال . وما زالت تهبط من درجة الى أسفلَ منها حتى انتهى بها الحال الى أن تكون جسما ضعيفا عليلا ساكنا يعيش عيشة النبات أكثرَ من عيشــة الحيوان . فلما تخلصت من الاُستعباد رأت نفسها فى أول الأمر فى حَيرة لا تدرى معها ما تصنع بحريتها الجديدة، وكان الكل لا يفهم لهذه الكلمة

---

(١) ولد قاسم أمين مصريا يجرى فى عروقه دم كردى من أسرة متوسطة الحال، ودرس الحقوق فى مصر وفرانسا وترقى الى منصب القضاء، ثم عين مستشارا بمحكمة الاستئناف الى أن توفى سنة ١٩٠٨ م . ويعدّ من رجال الإصلاح الاجتماعى وخاصة الناحية النسوية .

معنى، ولا يقدر لها قيمة، وكان الناس يستخفون ويهزءون بالحرية بل ويتألمون منها، وينسبون إليها اختلال عيشتهم وعلل نفوسهم؛ فكم من مرة سمعنا بآذننا أن سبب شقاء مصر هو تمتعها بالحرية والمساواة، ثم اعتاد القوم شيئًا فشيئًا على الحرية، وبدءوا يشعرون بأن اختلال عيشتهم لا يمكن أن يكون ناتجًا عنها، بل له أسبابٌ أخرى، وتعلق بنفوس الكثير منا حبُّ الحرية حتى صاروا لا يفهمون للوجود معنى بدونها، ولنا الأمل فى أن أولادنا الذين يشبُّون على الحرية التامة يجنون جميع ثمراتها النفيسة التى من أهمها تهيئة نفوسهم للعمل. عند ذلك يعرفون جيدًا أن الحرية هي أساس كل عمران.

(١٥) كتب المرحوم الشيخ حمزة فتح الله (١)

الى بعض الأفاضل يطلب ودّه

كما أنّ شَغَفَ (٢) الجَنانِ (٣)، بِالحُسْنِ وَالإِحْسَانِ، تكونُ دَاعِيَتُهُ المُشَاهَدَةَ وتَسْرِيحَ الأَنْظَارِ فِي مُحَيَّا (٤) الكَمَالِ، ومُجْتَلَى (٥) الجَمَالِ. فَتَرَى العَيْنُ مِن تِلْكَ الغُرَّةِ (٦) مَا يَمْلَؤُهَا قُرَّةً (٧).

(١) ولد بالأسكندرية ودرس بالأزهر وأجاد اللغة ونحوها واشتغل بالصحافة فى تونس ومصر. ثم مدرسا ثم رئيسا لمفتشى اللغة العربية بالمعارف. وقد توفى سنة ١٩١٨ م.

(٢) الشغف: شدة الحب.

(٣) الجنان بالفتح: القلب.

(٤) المحيا بضم الميم وتشديد الياء: الوجه.

(٥) مجتلاه: منظره.

(٦) الغرة: الوجه.

(٧) قرت العين: جف دمعها وبردت من السرور. والاسم منه القرة بضم القاف.

فَكَذَلِكَ السَّمَاعُ يَسْتَدعِى هَـذَا الشَّغَفَ فَيتأثّرُ الفُؤَادُ بِمَا يُشَنِّفُ(١) الأُذُنَ مِمَّا تُهْدِيهِ إِلَيْهِ طَرَائِفُ(٢) الأَخْبَارِ حَتَّى كَأَنَّ حَاسَّتَى السَّمْعِ والبَصَرِ فى ذلك صِنْوَان(٣)، بل أَخَوَان، فى هَيكل هذا الجُثْمان(٤) .

* * *

أَلَا وَإِنَّ مَحَاسِنَ السَّيِّدِ الأَجَلِّ لَمَّا سَارَتْ بِهَا الرُّكْبَانُ، وَأَثْنَى عَلَيْهَا كُلُّ لِسَانٍ، مَا بَيْنَ أَخْلَاقٍ أَبْهَى مِنَ الرَّوْضِ النَّضِيرِ(٥)، وأَعْرَاقٍ(٦) أَشْهَى من عُذَيْبِ النَّمِيرِ(٧). قَدِ احْتَلَّتْ من فُؤَادِى لَا أَقُولُ مَنْزِلًا رَحِيباً، ولَا وَادِياً خَصِيباً . بَلْ مَنْزِلَةً شَمَّاء(٨)، ودَارَةً(٩) عَلْيَاء . وَأَوْجاً(١٠) بطَوَالِعِها السَّعِيدَة يَسْعَد، وَيَلُوحُ بِهَا مِن ذِكْرَاهُ كُلَّ حِينٍ فَرْقَد(١١) . فَلَمْ أَنْشَبْ(١٢) أَنْ قَدَّمْتُ كِتَابِى هٰذَا لِمَوْلَاى بَيْنَ يَدَى اللِّقَاءِ عَلَّهُ أَنْ يَسْمَحَ بِهِ الزَّمَانُ

---

(١) يشنف الأذن : يطربها ، وأصله من لبس الشنف وهو القرط .

(٢) الطرائف : الأحاديث المستملحة .

(٣) الصنوان : الأخوان الشقيقان .

(٤) الجثمان بضم الجيم : الجسم .

(٥) النضير : الحسن .

(٦) الأعراق هنا : بمعنى الطباع والصفات

(٧) النمير : الكثير من الماء .

(٨) شماء : عالية .

(٩) الدارة : الدار ، ويريد بها المكانة .

(١٠) الأوج : العلو .

(١١) الفرقد : نجم قريب من القطب الشمالى ، وهما فرقدان

(١٢) لم أنشب : لم ألبث .

وتُشعِرُ(١) عَنْهُ اللّيالِي والأيّام، لِيُتاحَ(٢) لِي رِىّ الفُؤادِ بِمَا أَرْوِيهِ مِن حَدِيثِ زَيْدِ الخَيْل الّذِى سَمّاهُ رَسُولُ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْه وَسَلّم زَيْدَ الخَيْرِ، وَقَالَ لَهُ : مَا وُصِفَ لِى أَحَدٌ فَرَأَيْتُهُ إلّا وَجَدْتُهُ دُونَ مَا وُصِفَ لِى سِوَاكَ ، وإِنّ فِيكَ خَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللهُ (الحِلْمُ وَالأَنَاةُ)(٣) مُقْتَدِياً بِالإِمَامِ مَحْمُودٍ جَارِ اللهِ(٤) فِى تَقْدِيمِ هٰذَا الحَدِيثِ الشّرِيفِ عَلَى مَا أَنْشَدَهُ إِيّاهُ الشّرِيفُ ابْنُ الشّجَرِىّ أَوّلَ مَا لَقِيَهُ وَكَانَا قَدْ تَحَابّا بِالسّمَاعِ :

كَانَتْ مُسَاءَلَةُ الرُّكْبَانِ تُخْبِرُنَا ... عَنْ جَابِرِ بْنِ رَبَاحٍ أَطْيَبَ الخَبَرِ
حَتّى اجْتَمَعْنَا فَلَا وَاللهِ مَا سَمِعَتْ ... أُذْنِى بِأَحْسَنَ مِمّا قَدْ رَأَى بَصَرِى

(١٦) وكتب حفنى بك ناصف يعزى كبيرا (ولعله الشيخ على يوسف) رحمه الله فى ولده

خَفّفَ اللهُ لَوْعَتَكَ(٥)، وَأَرْقَأَ(٦) دَمْعَتَكَ . وَجَنّبَكَ الجَزَعَ . وَوَقَاكَ الهَلَعَ . وَأَلْهَمَكَ الصّبْرَ، وَأَجْزَلَ لَكَ الأَجْرَ . وَرَزَقَكَ مِنَ البَنِينَ ، فِى مُسْتَقْبَلِ السّنِينَ ، مَا تَقَرُّ بِهِ عَيْنَاكَ(٧) . وَيَقْوَى بِهِ عَنَاكَ(٨) . وَأَنْتَ وَالحَمْدُ لِلّهِ فِى قُوّةٍ ، وَبَقِيّةٍ مِنَ الفُتُوّةِ، تُمَكّنُكَ

(١) تشعر : تكشف .
(٢) يتاح لى : يتهيأ لى .
(٣) الأناة : الوقار والحلم .
(٤) هو الإمام الزمخشرى العالم المفسر المشهور .
(٥) اللوعة : حرقة الحزن .
(٦) أرقأ دمعته : جففها .
(٧) قرت عيناه : بردت سرورا .
(٨) العنا بفتح العين : الجانب .

مِن الأُبُوَّةِ، بِخَيْرِ الْبُنُوَّةِ، عَلَى أَنَّ لَكَ فِى عَالَمِ السِّيَاسَةِ، وَضُرُوبِ الكِيَاسَةِ (١) . فى هٰذِهِ البِلَادِ . أَلْوَانًا مِن الأَوْلَادِ، وَآثَارًا كُبْرَى، تَضْمَنُ لَكَ الذِّكْرَى، وتَجْعَلُ لَكَ عَلَى مَدَى السِّنِينِ، لِسَانَ صِدْقٍ فى الآخِرِينَ . والسَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللهِ .

(١٧) كتب السيد مصطفى لطفى المنفلوطى (٢)

" الشـاعر "

إِنَّمَا يَشْقَى فى هَـذَا العَالَمِ أَحَدُ ثَلَاثَةٍ . حَاسِدٌ يَتَأَلَّمُ لِمَنْظَرِ النِّعَمِ الَّتِى يُسْبِغُهَا اللهُ عَلَى عِبَادِهِ، وَنِعَمُ اللهِ لَا تَنْفَدُ وَلَا تَفْنَى؛ وَطَامِعٌ لَا يَسْتَرِيحُ إِلَى غَايَةٍ مِنَ الغَايَاتِ حَتَّى تَنْبَعِثَ نَفْسُهُ وَرَاءَ غَايَةٍ غَيْرِهَا، فَلَا تَفْنَى مَطَامِعُـهُ، وَلَا تَنْتَهِى مَتَاعِبُهُ؛ وَمُقْتَرِفُ جَرِيمَةٍ مِنْ جَرَائِمِ العِرْضِ وَالشَّرَفِ لَا يُفَارِقُهُ خَيَالُهَا حَيْثُمَا حَلَّ وأَيْنَمَا سَارَ. وَمَا أَنْتَ يَا سَيِّدِى بِوَاحِدٍ مِنْ هٰؤُلَاءِ، فَمِنْ أَىِّ بَابٍ مِنَ الأَبْوَابِ يَتَسَرَّبُ الشَّقَاءُ إِلَى قَلْبِكَ ؟

أَنْتَ شَاعِرٌ يَا مَوْلَاىَ، وَقَلْبُ الشَّاعِرِ مِرْآةٌ تَتَرَاءَى فِيهَا صُوَرُ الكَائِنَاتِ صَغِيرِهَا وكَبِيرِهَا، دَقِيقِهَا وَجَلِيلِهَا، فإِن أَعْوَزَتْكَ (٣) السَّعَادَةُ فَفَتِّشْ عَنْهَا فى أَعْمَاقِ قَلْبِكَ، فَقَلْبُكَ الصُّورَةُ الصُّغْرَى لِلْعَالَمِ الأَكْبَرِ وَمَا فِيهِ .

---

(١) الكياسة : الفطنة وصحة الرأى .

(٢) نشأ بمنفلوط وتعلم بالأزهر وتوفر على إرسال المقالات الأدبية فى جريدة المؤيد . ثم اتصل بالمرحوم سعد باشا زغلول بجعله محررا بالمعارف ثم الحقانية، وكان كاتبا يجيد تصوير الشعور المتصل بالفواجع والأحزان وله شعر قليل، توفى سنة ١٣٤٣ هـ . وآثاره مشهورة .

(٣) أعوزتك : احتجت إليها .

السماء جميلة ، والشاعر هو الذى يستطيع أن يدرك سر جمالها ، ويخترق بنظراته أديمها (١) الأزرق الصافى ، فيرى فى ذلك العالم العلوى النائى ما لا تراه عين ، ولا يمتد إليه نظر .

والبحر عظيم ، والشاعر هو الذى يشعر بعظمته وجلاله ، ويرى فى صفحته الرجراجة (٢) المترجحة (٣) صور الأمم التى طواها ، والمدن التى محاها ، والدول التى أبادها ، وهو باق على صورته لا يتغير ولا يتبدل ، ولا يبلى على العصور والأيام .

والليل موحش ، والشاعر هو الذى يسمع فى سكونه وهدوئه أنين الباكين ، وزفرات (٤) المتألمين ، وأصوات الدعاء ، المتصاعدة إلى آفاق السماء ، ويرى صور الأحلام الطائفة بمضاجع النائمين ، وخيالات السعادة أو الشقاء الهائمة (٥) فى رءوس المجدودين (٦) والمحدودين (٧) .

الشاعر يرى الجمال فى كل شىء يتناوله سمعه وبصره ، حتى فى الزهرة الذابلة ، والنبتة الحائلة (٨) ، والنحلة الطائرة ، والفراشة الحائمة (٩) ، وفى مدارج (١٠) النمال ، وأفاحيص (١١)

---

(١) الأديم : الجلد . وأديم الأرض والسماء : ما ظهر منها .

(٢) الرجراجة بفتح الراء : المتحركة . (٣) المترجحة : المهتزة المضطربة .

(٤) زفر الرجل : أخرج نفسه مع مده إياه ، ولا يكون ذلك إلا من ضيق وحزن . والاسم منه زفرة وجمعها زفرات . (٥) يريد بالهائمة : الطائفة .

(٦) المجدودون : جمع مجدود وهو ذو الحظ . (٧) المحدودون : جمع [illegible]

(٨) الحائلة : المتغيرة أى التى ذبلت . (٩) الحائمة : الدائرة لأنها [illegible]

(١٠) المدارج : جمع مدرج بفتح الميم والراء موضع الدروج وهو المشى .

(١١) الأفاحيص : جمع أفحوص بضم الهمزة وهو الموضع الذى تفحص [illegible]

القَطَا[1]، والثُّوِي[2] المُتَهدِّم . والحَـدَثِ البَالِي، والشَّبَحِ المُخِيف ، والخَيَـال الرَّائِـع ، وفى الضَّفْدعَةِ المُلْقَاةِ عَلَى شَاطِئِ البَحْرِ، والدُّودَةِ المُمْتَدَّة فى بَاطِنِ الصَّخْرِ، فَهُو من خَيالِه الوَاسِـعِ فى نِعْمَةٍ دَائِمَةٍ لا تَنْفَدُ وَلَا تَبْلَى .

أَنْتَ كَالطَائِرِ السَّجِينِ فى قَفَصِه ، فَمَزِّقْ عَنْ نَفْسِكَ هَذا السِّجْنَ الَّذى يُحِيطُ بِكَ، وَطِرْ بِجَناحَيْكَ فى أَجْوَاءِ هَـذَا العَالَمِ المُنْبَسِطِ الفَسِيحِ ، وَتَنَقَّـلْ مَاشِئْتَ فى جَنَبَاته وأَكْنَافِه، وَاهْتِفْ[3] بِأَغَارِيدِكَ[4] الجَمِيلَةِ فَوْقَ قِمَمِ[5] جِبَالِهِ ، وَرُؤُوسِ أَشْجَارِه ، وَضِفَافِ[6] أَنْهَارِه، فَأَنْتَ لَمْ تُخْلَقْ للسِّجْنِ والقَيْدِ، بَلْ للهُتَافِ والتَّغْرِيد .

(١٨) ومن رسالة للدكتور يعقوب صروف[7] أنشأها لتلقى فى أساتذة فلسطين

إذا راجعتُ ما أتذكره من سِـيَر الذين علَّمونى والذين علمتهم منذ كنت أتعلم مبادئَ القراءة الى أن تركتُ التعليم من نحو أربعين سنة فإنى أستنتج منه النتائج التالية :

(الأولى) أن تهذيب الأخلاق أهم جدا من تثقيف العقول ، وهـذا التهذيب يقتضى أن يكون المعلم على خُلق عال لا يكذب ولا يرائى ولا يداهن ، مترفعا عن الدنايا ،

(١) القطا : جمع قطاة وهى طائر فى حجم الحمام . (٢) الثوى : الحفر التى تحفر حول الخيام لينحاز اليها السيل . (٣) اهتف : مدّ صوتك . (٤) الأغاريد : جمع أُغرودة بضم الهمزة : غناء الطائر . (٥) قمم الجبال : أعاليها [illegible] قمة بكسر القاف . (٦) الضفاف بكسر الضاد : جمع ضفة ، وضفة النهر جانباه .

(٧) ولد الدكتور يعقوب صروف سنة ١٨٥٢ بلبنان ودرس بها دراسة علمية عالية واشتغل بعد ذلك [illegible] التى أنشأها [illegible] مع زميله الدكتور فارس نمر . ويعد الدكتور يعقوب صروف من رجال [illegible] الفكرية فى هذا العصر ، وقد توفى سنة ١٩٢٧ م .

يستعمل الشِّدّة فى محلها واللين فى محله . فإذا كان كذلك سهل عليه أن يهذِّب أخلاق تلاميذه لأنهم يصيرون يقتدون به ويهابونه ويحبونه ، وإذا كانت أخلاقهم فاسدةً لا تصلُح فإخراجهم من المدرسة ينفع غيرهم ولا يزيدهم ضررا ، ومدرسة العالم تُصلحهم أو تحطهم ، وأسمى الأخلاق الفاضلة الصدق والشمم والشهامة .

(الثانية) أن إكرام النفس فى المنزلة الثانية بعد تهذيب الأخلاق ، كل ولد إذا فسح له فى الأجل صار عضوا عاملا فى الأمة لنفعها أو لضرها ، فعلى المعلم أن ينظر اليه هذا النظر ، وهو من هذا القبيل كالبستانى الذى يرى نبتة صغيرة من التُّفاح أو البرتقال فلا يحتقرها لصغَرها ، بل ينظر الى ما تصير اليه فيربيها ويهذبها ويتعهدها بكل ما ينميها حتى تاتى بثمر جيد غزير ، وأضر شىء بالتلميذ أن تظهر احتقارك له ، فإذا عمل عملاً يستحق الاحتقار فأظهر احتقارك للعمل لا للعامل ، واجتهد حتى تجعله ينظر اليه كذلك ويأنَف منه ، و إذا عمل عملا مجيدا فامدحه له أو امدحه عليه .

(الثالثة) أنه يُطلب من المعلم تقويةُ أبدان التلاميذ وحفظ صحتهم بالحث على الرياضة البدنية ، ومنعهم عن كل ما يضعف الجسم أو أحد أعضائه ولا سيَّما العينين . ولا مانع من أن يشاركهم فى بعض الألعاب الرياضية إذا كان يُحسنها ، ولكن لا يليق به أن يتبذَّل أو يظهر أنه أضعف من تلاميذه لئلا تَقل هيبته فى نفوسهم .

(الرابعة) أن تثقيف العقل يأتى بعد كل ما تقدم ، ولو كان المفهوم أن تثقيف العقل هو الغرض الأول المقصود بالذات من التعليم ، لأن من ينال الثلاثة الأولى أى تهذيبَ الأخلاق وإكرامَ النفس وقوةَ البدن يصير عضوا عاملا مفيدا فى المجتمع

الإنسانى ولو كان أُميا، ولكنَّ أكبرَ العلماء والفلاسفة لا يستفيد ولا يفيد إذا كان فاسد الأخلاق صغير النفس عليل الجسم .

(١٩) من خطبة لسعد باشا زغلول(١) فى حفلة تكريم أقيمت لبعض المصريين

" ... يَقُولُونَ : إنَّمَا تُكَرَّمُ المَبَادئُ ! قولٌ خطأ ، فإنَّ المَبَادئَ لا وُجُودَ لها إلّا فى الأشْخَاص . وَإذَا كَرَّمْنَا إنسانًا فإنّما نُكَرِّمُهُ لأنَّ هذا الإنسانَ نَفَّذَ ذَلكَ المَبْدأَ ، كمَا أنّنَا إذَا ذَمَمْنَا شخصًا فإنّما نَذُمُّهُ لأنّه اعتنق مبدأً رَذيلا . هكذا جَرَى النَّاسُ من القِدَم ، وجَاءَتْ به الأديانُ ، فإنّما يعذّبُ الشَّخْصُ لأنَّهُ ضَلَّ ، ويُثَابُ لأنَّهُ أطَاعَ رَبَّهُ وَلَمْ يَعْصِه . فلَمْ تُخْلَق الجنَّةُ لِمَثُوبَةِ المَبْدَإ ، وَلَمْ تُخْلَق النَّارُ لتَعْذِيب المَبْدَإ ! وَلَوْ أنَّ المَبَادئَ هِيَ الّتى تُكَرَّمُ وَهِيَ الّتى تُعَذَّبُ لَرَأيْنَا جَهَنَّمَ مَمْلُوءةً بالمَبَادئ ، وَلَرَأيْنا الجنَّةَ مَمْلُوءةً بالمَبَادئ كَذَلكَ ! وَلَمَا كُنَّا نُقيمُ مَأتَمًا لِرَاحل كَرِيم ، فالشَّخْصُ يَفْنَى وَالمَبْدأُ بَاقٍ .

لِمَاذَا نَبْكِي وَنَنُوح عَلَى مَوْتِ الكِرَام وَالكَرَمُ بَاقٍ من بَعْدهِمْ ؟ ! ذَلكَ لأنَّنَا نُكَرِّمُ الأشْخَاصَ الكِرَام ، وَلَا مَعْنَى لتَكْرِيم المَعَانِي المُجَرَّدَة عَن الأشْخَاص ... " .

ومن خطبة له فى حفلة تكريم أخرى خطبها وهو رئيس للوزارة :

" ... أنَا لَسْتُ رَئِيسَ حِزْب . وَلَكِنِّي وَكِيلُ أمَّة . قُلْتُ ذَلكَ مِرَارًا ، وَكَرَّرْتُهُ تَكْرَارًا . قُلْتُهُ عَقِبَ خُرُوجِي من مَنْفَايَ ، وَقُلْتُه بَعْدَ عَوْدَتِي مِنْهُ . وَسَأقُولُهُ دَائمًا

(١) يعدّ سعد باشا زغلول زعيم الخطابة العربية فى هذا العصر الذى نحن بصدد الكلام فيه فلقد درس فى الأزهر وغيره دراسة استقلالية ، أعدّته ليكون كاتبا خطيبا من رجال المحاماة والقانون ، وأخيرا رأس الحركة الوطنية المصرية الحديثة وكذا الحكومة الدستورية ، ومواقفه فى السياسة معروفة ، توفى سنة ١٣٤٧ هـ .

وأَعْمَلُ به . فَلا أُحَابِي شَخْصًا لِمَبْدَئِه السِّيَاسِيّ، ولَا أَتَعَرَّضُ لآخَرَ لِآرَائِه السِّيَاسِيَّة؛ وَلَكِنِّي أُحْسِنُ لِمَنْ يَعْمَلُ لِمَصْلَحَةِ الوَطَنِ، وأُنَكِّلُ بِمَنْ يُسِيءُ إِلَيْه . فَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِه وَللأُمَّة، وَمَنْ عَمِلَ بِضِدِّ ذَلِكَ فَعَلَيْهِ إِثْمُ مَا عَمِلَ . وَلَوْ أَجْرَمَ ابْنُ سَعْدٍ لَحَقَّتْ عَلَيْهِ كَلِمَةُ العِقَاب ... " .

(٢٠) من وصف قصر الجيزة والإشادة بسلطان إسماعيل لمحمد بك المويلحى (١)

من كتاب حديث عيسى بن هشام :

قال عيسى بن هشام — وَوَصَلْنَا إلى قَصْرِ الجِيزَةِ وَمَتْحَفِ الآثَار . ومُلْتَقَى السَّيَّارَةِ (٢) مِنْ سَائِرِ الأَقْطَار . فَدَخَلْنَا رَوْضَةً تَجْرِي الأَنْهَارُ من بَيْنِها . كَأَنَّها الجَنَّة بِعَيْنِها . ولما رأى الباشا (٣) مَسَالِكَ الرَّوْضِ مُنَضَّدَةً . وطُرُقَهُ مُرَصَّعَةً مُزَرَّدَةَ . حَسِبَهَا أَرْضًا مَفْرُوشَةً . بِبُسُطٍ مَنْقُوشَة . وأَشْكَلَ الأَمْرُ عَلَيْه . فَهَمَّ بِخَلْعِ نَعْلَيْه . فَقُلْتُ طَرِيقٌ مُعَبَّدٌ (٤) . لا فَرْشٌ مُنَجَّد . وَحَصْبَاءُ ومَرْوٌ (٥) . لا بِسَاطٌ وفَرْو . ثم شَاهَدْنَا قَصْرًا يَكِلُّ عَنْهُ الطَّرْف . وَيَقْصُرُ دُونَهُ الوَصْف . فَسِرْنَا نَرْتَادُ خِلَالَه . وَنَتَفَيَّأُ ظِلَالَه . فَإذَا

(١) هو ابن ابراهيم بك المويلحى، وقد أخذ الأدب عن أبيه واتصل بجمال الدين الأفغانى ومحمد عبده وانتفع بهما ، وكان أديبا يعرف لغات أجنبية ويحرر فى جريدة مصباح الشرق الأسبوعية وله « حديث عيسى ابن هشام » توفى سنة ١٩٣٠ م .

(٢) السيارة : القافلة . وأصلها القومُ يسيرون .

(٣) الباشا : هو الذى تخيله صاحب هذا الحديث تدهب من قبره، وجعل يرود به مشاهد البلاد ومعاهدها .

(٤) الطريق المعبد بتشديد الباء المفتوحة : المستوى المذلل .

(٥) المرو: حجارة بيض رقاق براقة .

الأُسُودُ مقصوراتٌ في المَقَاصِير . والأساوِدُ(١) مكفوفاتٌ في القوارير(٢) . ورأينا النمور في الخُدُور(٣) ، والرئال(٤) في الجِجال(٥) ، والذئاب في القباب ، والظباء في الخباء . فقال الباشا لمن هذه الجنان ، وكيف يسكنها الحيوان ، وما علمت من قبل أن الليوث الضواري(٦) ، تسكن مغاني(٧) الجواري ، وأن أوابد(٨) البيد(٩) ، تحتجب في خدور الغيد . فقلت له سبحان القادر العظيم ، هذا بيت إسماعيل بن إبراهيم . طالما كانت حجراته مطالع للأقمار ، ودرجاته منازل للأقدار . كان إذا نادى صاحبه فيه « يا غلام » ، شقيت أقوام وسعدت أقوام . ولبى نداءه البؤس والندى ، بأسرع من رجع الصدى .

وكان من احتمى بظل هذا الجدار . تحامته(١٠) غوائل الأزمان والأدهار . هنا كان يفصل الأمر ويحكم . وينقض الحكم ويبرم — هنا كانت تنفرط فرائد القلائد . من أجياد الخرائد(١١) . فتختلط بمنثور أزهاره . وترصع لجين(١٢) أنهاره — هنا كانت تتناثر الحلي من قدود الحسان . فتشتبه بأثمار الأغصان — هنا كانت

(١) الأساود : جمع أسود وهو العظيم من الحيات .

(٢) القوارير : الزجاج . ومكفوفات : محبوسات .

(٣) الخدور : جمع خدر بكسر الخاء ، وهو ما يفرد من البيت لسكن المرأة .

(٤) الرئال : جمع رأل وهو ولد النعام . (٥) الجال : جمع حجلة بفتح الحاء والجيم ، وهي الموضع الذي يزين في البيت للعروس .

(٦) الضواري : الفواتك .

(٧) المغاني جمع مغنى بفتح الميم والنون : المنزل . (٨) الأوابد : جمع آبدة وهي الوحش .

(٩) البيد : جمع بيداء وهي الفلاة . (١٠) تحامته : تحاشته .

(١١) الخرائد : جمع خريدة ، وهي الفتاة البكر .

(١٢) اللجين : بضم اللام الفضة .

تَصْدَحُ القِيَانُ[١] عَلَى المَزَاهِرِ[٢] والأَعْوَادِ. فَتُجِيبُهَا ذَوَاتُ الأَطْوَاقِ[٣] فَوْقَ الأَفْنَانِ[٤] والأَعْوَادِ[٥]. فَأَصْبَحَ اليَوْمَ حَدِيقَةً مُبْتَذَلَةً عَامَّةً. وَمَوْطِئًا لأَقْدَامِ الخَاصَّةِ والعَامَّةِ.

وله رحمه الله من (حديث عيسى بن هشام) فى وصف حديقة الأزبكية :

وَلَمَّا جَاوَزْنَا البَابَ أَعْجَبَ البَاشَا[٦] حُسْنُ المَنْظَرِ وَازْدَهَاهُ[٧]، وَرَاقَهُ بَهَاءُ المَكَانِ وَاسْتَهْوَاهُ، وَتَمَلَّكَهُ الابْتِهَاجُ وَتَوَلَّاهُ. فَقَالَ: مَا شَاءَ اللهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ: لِمَنْ هٰذِهِ الجَنَّةُ مِنْ كُبَرَاءِ البَلَدِ؟ قُلْتُ هِيَ مِلْكُ كُلِّ وَاحِدٍ وَلَيْسَتْ بِمِلْكِ أَحَدٍ. أَنْشَأَتْهَا الحُكُومَةُ مِنْ «المَنَافِعِ العَامَّةِ»، لِنُزْهَةِ الخَاصَّةِ والعَامَّةِ. ثُمَّ سِرْنَا نَطُوفُ فِى أَنْحَاءِ الحَدِيقَةِ، بَيْنَ أَشْجَارِهَا الوَرِيقَةِ[٨]، وَأَغْصَانِهَا الرَّشِيقَةِ[٩]، وَأَزْهَارِهَا الأَنِيقَةِ[١٠]؛ والبَاشَا يَهْتَزُّ طَرَبًا، وَيَمِيلُ عَجَبًا، لِحُسْنِ هٰذَا المَنْظَرِ العَجِيبِ، والمَنْبِتِ الخَصِيبِ. ثُمَّ وَقَفَ بِنَا وَقْفَةً بَيْنَ بَرْدِ الظِّلَالِ وَخَرِيرِ[١١] المَاءِ. وَرَفَعَ بِبَصَرِهِ يُقَدِّسُ بَاسِطَ الأَرْضِ وَرَافِعَ السَّمَاءِ، ثُمَّ رَأَيْتُهُ يَنْحَنِى لِلرُّكُوعِ انْحِنَاءَ القَوْسِ، بَعْدَ أَنْ أَنْشَدَ قَوْلَ حَبِيبِ بْنِ أَوْسٍ[١٢]:

أَرْضٌ إِذَا جَرَّدْتَ فِى حُسْنِهَا فِكْرَكَ دَلَّتْكَ عَلَى الصَّانِعِ

---

(١) القيان بكسر القاف جمع قينة بفتحها : المغنية . (٢) المزاهر جمع مزهر بكسر الميم : وهو العود . (٣) ذوات الأطواق : الحمائم .

(٤) الأفنان : جمع فنن بفتحتين وهو الغصن المستقيم . (٥) الأعواد : الأغصان .

(٦) الباشا : هو الشخص الذى تمثله الكاتب منبعثا من قبره ليطيف به الحديث .

(٧) ازدهاه : أعجبه وأطربه . (٨) شجرة وريقة : كثيرة الورق خضراء حسنة .

(٩) الرشيقة : حسنة القد اللطيفة . (١٠) الأنيقة : الحسنة المعجبة .

(١١) خرير الماء : صوته . (١٢) حبيب بن أوس : هو أبو تمام الطائى الشاعر المعروف .

وَسَمِعْتُهُ يَتْلُو فِى الرُّكُوعِ والسجُودِ . قَوْلَ صَانِعِ الوُجُودِ : ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴾ . وقولَهُ أيضًا عَزَّ مِنْ قَائِل : ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمٰوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلٰكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ .

تم طبع هذا الكتاب بالمطبعة الأميرية ببولاق
فى يوم ٣ من جمادى الثانية سنة ١٣٥٣
(١٢ من سبتمبر سنة ١٩٣٤ م)
مدير المطبعة الأميرية
محمد أمين بهجت

المطبعة الأميرية ٥٢٢-١٩٣٤-١٠٠٠٠